أبو تمّام وأبو الطيّب

في أدب المغاربة

الدكتور محمّد ابن شريفة



دار الغرب الإسلامي
بيروت

الطبعة الاولى
1986



أبو تمّام وأبو الطيّب

في أدب المغاربة

الدكتور محمّد ابن شريفة



دار الغرب الإسلامي
بيروت

الطبعة الاولى
1986



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

يقوم أساس هذا العمل على فقرتين مستلتين من مشروع كتاب حول تاريخ الصلات الثقافية بين مشرق الوطن العربي ومغربه عبر العصور، وهو مشروع قطعت فيه شوطاً لا بأس به، وأرجو أن أنجزه بعون الله في و قت قريب.

وقد رأيت أن أنشر منه قبل إخراجه هاتين الفقرتين حول عناية المغاربة بشاعري العربية الكبيرين الطائي والمتنبي وتأثيرهما في الآداب العربية ببلدان المغرب.

وإنما جمعتهما في قرن بهذا الكتاب لأن أهل المغرب كانوا يطلقون تثنية «الشعرين» على شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب، ويقولون في ابن هانىء وابن دراج إنّهما «نظيران لحبيب والمتنبّي»، ولأن بعض الشراح والنقاد القدماء جمعوا بينهما كمؤلف «النظام، في شرح ديواني المتنبي وأبي تمام» ومؤلف «المآخذ الكندية، من المعاني الطائية» ومؤلف «نزهة الأديب، في سرقات المتنبي من حبيب» ومؤلفنا الأندلسي الذي يرد عليهما فيما يبدو في رسالته: «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب».

ثم إن نشر هذه الرسالة الأخيرة في ذيل هذا الكتاب اقتضى الجمع بين الشاعرين والتعريف بمكانتهما عند المغاربة.

وشفعت هذا النص. الذي عثرت عليه وحققته وعرفت بصاحبه. باختيارات من نسخة ديوان المتنبي السعدية المنصورية، وهي نسخة نفيسة

مقابلة على أصول أندلسية ومغربية عتيقة ذات طرر مأخوذة من «منصف» ابن وكيع في معظمها، وهذه الطرر مفيدة في ترميم «المنصف» وتتميم الناقص منه، وفي هذه النسخة المنصورية أيضاً زيادات على ما في دواوين المتنبي المطبوعة تنشر هنا لأول مرة.

تدور موضوعات هذه الدراسة حول الأسانيد والشروح والآثار النقدية والمعارضات وغيرها من الموضوعات المتعلقة بأبي تمام والمتنبي في الأندلس والمغرب.

وقد جمعت مادة هذه الموضوعات من مختلف المظان المطبوعة والمخطوطة واستعملت مخطوطات لم تكن معروفة من قبل كشرح الأعلم الشنتمري على شعر أبي تمام وشرحه أيضاً على الشعر الذي قاله المتنبي في صباه.

وكشفت عن صاحب «سرقات المتنبي» التي نشرها الشيخ الطاهر ابن عاشور منسوبة إلى ابن بسام، وهي لغيره.

وقد اكتفيت في هذه المحاولة الأولى بجمع المادة وتوثيقها وعرضها لأني أرى أنّهُ لا بد من الفراغ من هذه الأمور قبل الانتقال إلى ما سواها.

وأرجو في الأخير أن يكون في هذا العمل فائدة للدارسين والله الموفق.

الفصل الأول

أبو تمّام في أدب الأندلسيّين والمغاربة



ـ ذكر أبو تمّام الأندلس في شعره مرتين: إحداهما في قصيدته التي مدح بها خالد بن يزيد الشيباني ومطلعها:

يـا موضِـعَ الشدَنيـة الـوجنـاء
ومـصــارع الأدلاج والإســراء

وذلك في هذه الأبيات التي يصف فيها تخلّص ممدوحه من عثرته:

قـد كان خـطبٌ عاثـرٌ فأقـالَهُ
رأيُ الخليفَـة كوكب الخُلَفـاء
فخرجتَ منهُ كالشّهاب ولم تَزَلْ
مـذْ كنتَ خَرّاجـاً من الغَمّـاءِ
ما سرّني بِخِداجِها من حجّـةٍ
ما بينَ أندلـسٍ إلى صَنعاء[1]

وذكرها مرة ثانية في قصيدته في مدح المعتصم:

---

(1) ديوان أبي تمام 1 :15 - 16. تحقيق محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر. ط. 3.

الحق أبلجُ والسيــوف عــوار
فحذار من أسد العرينِ حَذارِ

وفي هذه القصيدة يشير أبو تمّام إلى سعة رقعة الدولـة العباسيـة فيقول:

فـالصينُ منظومٌ بـأندلسٍ إلَى
حيـطانِ روميـةٍ فَمُلكِ ذمـارِ[2]

وفي كلتا المرتين نراه يعدّها في تخوم الدولة العبّاسية.

أما الأندلس وأهلها فقد عرفوا أبا تمام ووصل إليهم شعره في حياته، وفتنوا به، وشغلوا بفنه وصنعته، وأدرك لديهم من القبول والحظوة ما لم يدركه إلاّ المتنبّي بعد ظهوره.

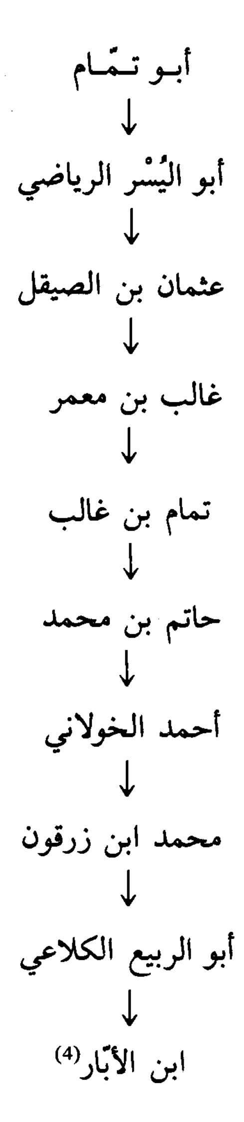
ويبدو اهتمامهم به من خلال مظاهر مختلفة وفي مستويات متعدّدة:

فعلى مستوى الرواية نجد شعر أبي تمّام ينتشر في الأندلس عبر عددٍ من الطرق والروايات:

منها رواية الرحالة البغدادي أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الرياضي الذي جاب بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وأدخل إلى أفريقية والأندلس أشعار المحدثين وأخبارهم، ومنها شعر أبي تمّام[3] وقد ظلت روايته لشعر أبي تمام موصولة السند حتى القرن السابع الهجري ونجد هذا السند عند الحافظ ابن الأبار على النحو التالي:

(2) المصدر نفسه 2 :209.

(3) تكملة ابن الأبار: 174 (نشر عزت العطار) والترجمة رقم 2262 في ملحق التكملة، ونفح الطيب 3 :134 - 135 تحقيق د. إحسان عباس.



ومنها رواية عثمان بن المثنى المؤدب والشاعر القرطبي (ت 273) قال ابن الفرضي في ترجمته: «وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه»[5] وقال الزبيدي في الطبقات: «رحل إلى المشرق فلقي

(4) ذكر ابن الأبار هذا السند في ترجمة أبي اليسر إبراهيم وأشار إليه في ترجمة عثمان بن الصيقل. التكملة: 174 ورقم 2262 (ملحق).

(5) تاريخ العلماء 1 :346 وبغية الوعاة 2 :136. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

حبيب بن أوس فقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس»[6]» وقال ابن سعيد في المغرب: «وذكر أنه رحل ولقي أبا تمام الطائي وأخذ عنه شعره»[7] وعندنا خبر طريف يفصّلُ كيفية آلتقائه بالشاعر، وينص على تكرّر اللقاء، ونسوقه هنا لغرابته نقلاً عن ابن الأبار قال: «حكي أنّ عثمان بن المثنّى جمعه مركبٌ في بحر القلزم (أي البحر الأحمر) مع حبيب بن أوس أبي تمام الطائي فأنشدَه شعره الذي يقول فيه:

اللهُ أكبرُ، جاءَ أكبرُ منْ مَشَى
فتعثّـرتْ في كُنْهِــه الأوْهــامُ

وكانَ هذا البيت مبتدأ الشعر فقال له ابن المثنّى: شعر حسن لولا أنّه لا ابتداء له، فوقذت في نفس حبيب وابتدأ الشعر بقوله:

دمَنٌ ألمَّ بِهــا فَقــالَ ســلامُ
كَمْ حـلَّ عقدةَ صَبْـرِه الإلْمامُ

ثمّ أنشدَهُ في اليوم الثاني الشعر بهذا الابتداء إلى تمامِه، فقال له ابن المثنّى: أنت أشعر الناس، فعظُم في نفس حبيب، ثم لقيه في انصرافه، وحبيب قد عَظُم قدرُه، وجَلّ خطره، فكان يؤثره، ويعرف له فضله وكان أولَ من أدخل شعره، ويقال إن كثيراً من غزلِ حبيب له»[8] وهذا الخبر يصور الصلة بين الرجلين على أنها صلة شاعر بشاعر أو ناقد بشاعر، وهو خبر له أشباه ونظائر كخبر عباس بن ناصح مع أبي نواس وخبر يحيى الغزال مع أدباء بغداد، وخبر سعيد بن أحمد مع بعض أدباء مصر، وخبر القاضي محمد بن عيسى مع أحد أدباء المشرق[9]؛ وتشير هذه الأخبار إلى مواقف

(6) طبقات النحويين واللغويين: 288 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(7) المغرب 1 :112 تحقيق د. شوقي ضيف. ط. 1.

(8) تكملة ابن الأبار: 10 - 11.

(9) انظر تفصيل الأخبار المذكورة في طبقات الزبيدي: 284 - 286 ونفح الطيب 2 :260 وتكملة =

بعض الأدباء الأندلسيين تجاه أضرابهم في المشرق وتذكر شيئاً من الحوار الأدبي الذي كان يجري بين الطرفين؛ ولهذا فإننا لا نستبعد ما ورد في الخبر المذكور، ولا نستكثر على ابن المثنى انتقاده أبا تمّام، فقد كانَ أسنّ من الشاعر الطائي[10] ويفهم من الخبر أن ابن المثنّى لم يخرج من الأندلس إلّا بعد أن تمكّن من أدوات الشعر والنقد وتزوّد بحظٍّ جيّد من الأدب، وتجدر الإشارة إلى أن البيت الذي انتقده ابن المثنّى كمطلع انتقده فيما بعد أبو الطاهر السرقسطي[11] وصالح بن شريف الرندي[12]، أما الجزء الأخير من الخبر وهو المذكور بصيغة التمريض والمتعلّق بنسبة كثير من غزل أبي تمّام إلى ابن المثنّى فقد يكون محلّ نظر، ومع ذلك فإن النقاد الأقدمين ـ ومنهم ابن شرف وابن رشيق ـ ذكروا أن أبا تمام كان ضعيفاً في النسيب ولم يكن حسن التغزّل «وإنّما يقع له من ذلك التافه اليسير في خلال القصائد»[13].

وثمة راوية أندلسي آخر لشعر أبي تمام وهو الشاعر الفحل مؤمن بن سعيد الذي لقي أبا تمام ببغداد وأخذ عنه شعره وأدخله الأندلس وكانت له حلقة يقرىء فيها هذا الشعر، وروايته أتمُّ من رواية ابن المثنّى، إذ يبدو أنه أدرك أبا تمّام في آخر حياته، وقد ذكر أنّه لقيه في بغداد[14].

وهناك مؤدّبون أندلسيون آخرون ظهروا بعد هؤلاء المذكورين الذين لقوا أبا تمّام ورووا عنه شعره مباشرة، ومنهم أبو عبدالله محمد ابن

= ابن الأبار: 216 وجذوة المقتبس: 212 تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، والمقتبس 5 :46 نشر شالميتا ومعاونيه.

(10) ولد أبو تمام سنة 192 هـ وتوفي ابن المثنّى سنة 273 عن 99 سنة فهو إذن من مواليد سنة 174 هـ.

(11) المقامات اللزومية: مقامة الشعراء وهي المقامة الثلاثون.

(12) الوافي (مخطوط).

(13) العمدة 2 :119 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ورسالة الانتقاد لابن رشيق.

(14) المغرب 1 :132.

الأصفر القرشي الذي كان له «بصر بمعاني شعر حبيب»[15] وأبو عبدالله الغابي الذي «كان يقرأ عليه شعر حبيب»[16] وأبو العباس وليد الطبيخي شارح شعر أبى تمّام[17]، وقد أخذه عن أبي عبدالله الغابي، ومنهم أيضاً جماعة الأدباء الذين كلفهم عبد الرحمن الناصر بانتساخ شعر حبيب ومنهم محمد بن أرقم وموسى بن محمد الحاجب ومحمد بن يحيى القلفاط وابن فرج البلساري، فهؤلاء الأعلام الذين عنوا بشعر أبي تمّام لا بد أن لهم أسانيد في رواية شعره لم تذكرها كتب التراجم.

وقد بلغ الاهتمام المبكّر بشعر أبي تمّام غايته في عهد عبد الرحمن الناصر الذي كلّف ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ـ لجنة من الأدباء بعمل نسخة من ديوانه، وفي طبقات الزبيدي خبر مفصل حول هذا الموضوع يحسن بنا أن نورده برمّته، قال: «ولمّا أمر أمير المؤمنين عبد الرحمن رضي الله عنه بانتساخ شعر حبيب أحضره (يعني محمد بن أرقم) وأحضر جماعة من الأدباء منهم موسى بن محمد الحاجب ومحمد بن يحيى القلفاط وابن فرج المعروف بالبلساري، وكان ابن فرج من أهل العربية، وكان لا يناظر الحُكيّم والقلفاط من أهل الزمان غيره، فشاورهم أي القصائد يقدّم في صدر الكتاب، فقال ابن أرقم: إنّما يفضّل الشعر ويقدّم لغرابته وحسن معناه، وشعره الذي فيه وصف القلم لم يتقدّمه عليه متقدِّم ولا لَحِقه فيه متأخِّر؛ فدفعوا جميعاً عليه، وقالوا: الوضيع يتعصّبُ للوضيع ـ يعنون ابن الزيات ـ فأخجلوه، فبينما هم كذلك إذ استؤذن لأبي عبدالله الغابي فأُذن له، فلمّا استوى في المقعد سُئل عما جرى من القول، فقال: أخبرني أبو الحسن المُغَنّي[18] أن أهل بغداد لا يفضّلون على شعره اللاّمي الذي ذكر

(15) طبقات الزبيدي: 328.

(16) المصدر نفسه: 315.

(17) المصدر نفسه: 328.

(18) يبدو أن المقصود به علي بن نافع الملقب بزرياب، وعلى هذا الأساس يعتبر هو أيضاً من

فيه القلم شيئاً لغرابة معناه، ولم يكن الغابي يعلم شيئاً من اختلافهم في ذلك، وإنّما سُئل عمّا يجب تقديمه، فاستطال ابن أرقم على أصحابهِ فقال: مثلي مع هؤلاء ما قاله حبيب:

كِلابٌ أغارتْ في فَريسَة ضَيْغَم
طروقاً وهامٌ أطعمتْ صيدَ أجدلا

وإنّما يغمّني أن أكونَ في بلدٍ يتحكّم علي فيه من لا يعرفُ ما أقول». وهذه نسخة قديمة من شعر أبي تمّام جمعت من المحفوظ والمكتوب الذي كان بين يدي أدباء الأندلس يومئذ من هذا الشعر، وقد نظر في ترتيبها إلى جودة القصائد ودرجاتها في الجودة، ولم ترتب على الحروف أو الأغراض.

وبعدَ قليل من التاريخ الذي جمعت فيه هذه النسخة دخل أبو علي القالي الأندلس، وأدخل معه ـ فيما أدخل ـ شعر أبي تمّام في صورتين: إحداهما قراطيس ذكر أنها بخط يد أبي تمّام، والأخرى ما قيده أبو علي من شعر أبي تمّام في سفر الكاغد الذي قرأ فيه على أبي محمّد عبدالله بن جعفر بن درستويه. وهكذا كان ما أدخله أبو علي أتمَّ ما دخل من شعر أبي تمّام إلى الأندلس، وقد غطت روايته على الروايات السابقة عليها واعتمدها رواة الأندلس والمغرب كما سنرى فيما بعد، ونسخة أبي علي غير مرتبة على الحروف كذلك، وقد نقل عن أصلها نسخ متعددة توجد مخطوطاتها في الأسكوريال بإسبانيا والخزانة الحسنية وغيرها[19] بالمغرب، ولعل من

= نقلة شعر أبي تمام إلى الأندلس؛ وانظر تراجم الأعلام المذكورين في الخبر في طبقات الزبيدي وتاريخ العلماء لابن الفرضي والمغرب لابن سعيد.

(19) تحدّث عن نسخة الاسكوريال محقق الديوان الأستاذ محمد عبده عزّام، وفي الخزانة الحسنية نسخ متعددة يبدو أنها فروع من نسخة الاسكوريال ومنها النسخة التي تحمل رقم 548 م وقد فرغ من نسخها «في التاسع من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وتسعمائة» والنسخة رقم 5512 وتاريخ نسخها 1129 هـ. وفيها أيضاً نسخ متعددة برواية الصولي.

المفيد أن نثبت هاهنا نص الكلمة التي توجد في آخر نسخة الأسكوريال وبعض نسخ الخزانة الحسنية بالرباط، وهي هذه:

«وجد في الأصل المكتوب منه هذا ما نصه:

كتبه لنفسه بخط يده علي بن محمد بن عيسى القيسي[20] نفعه الله به، استنسخه من كتاب الشيخ الأجل الوزير الأستاذ أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الزهـري المعروف بـابن الأفليلي المكتوب بخط يـده المنقول من القراطيس التي اجتلبها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي وذكر أنها بخط يد أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي. ووجدت أيضاً فيه ما نصّه:

«وألفيت في آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الأستاذ أبي القاسم المذكور رحمه الله؛ كمل في هذا السفر جميع ما تضمنته القراطيس التي اجتلبها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي من شعر أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي، وذكر أبو علي أنها بخط يد أبي تمّام واستقرت عند صاحب الشرطة الكاتب أبي القاسم بن سـيد[21] وصارت إلي من جهته؛ وكذلك كمل فيه جميع ما قيده أبو علي من شعر أبي تمّام في سفر الكاغد الذي قرأ فيه على أبي محمّد عبدالله بن جعفر بن درستويه[22] وأقرأه ذلك رواية عن علي بن مهدي الكسروي[23] عن أبي تمّام حبيب بن أوس، واستقرّ

---

(20) في الذيل والتكملة هذه الترجمة القصيرة (5) «علي بن محمد بن عيسى: بطليوسي أبذي الأصل؛ روى عن أبي محمد بن عتاب». ويبدو من تـوافق الاسم ومن تاريـخ نسخة الاسكوريال التي انتسخها المذكور لنفسه وهو سنة 556 هـ ومن روايته عن ابن عتاب المتوفى سنة 531 هـ أن هذا الناسخ هو صاحب الترجمة المذكورة.

(21) له ترجمة في جذوة المقتبس: 110، 381 وبغية الملتمس: 170، 538 والصلة 1: 14 ومعجم الأدباء 2 :203 وإنباه الرواة 1 :30 وبغية الوعاة 1 :291.

(22) انظر في ابن درستويه دراسة الأستاذ عبدالله الجبوري.

(23) وقع تحريف في اسمه في فهرسة ابن خير، وله ترجمة في بغية الوعاة 2 :208 ومعجم الأدباء 15 :88.

السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمـان[24] وصارَ من جهتـه إلى صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن مضاء[25] واستعرته من ابنه، وأضفت إلى ذلك ما ألفيته زائداً في الكتب التي استقرت بخطّ أبي علي وروايته في خزانة المنصور أبي عامر محمد بن أبي عـامر[26]؛ وأخـرج إلى الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف[26م]، رحم الله جميـع المذكـورين وعفا عنهم وأضفت إلى مـا نقلته من الأصـولِ المذكورة ما ألفيته زائداً في رواية محمد بن يحيى الصولي ممّا أشبه ما تقدّم في حسن الصناعة واختيار الألفاظ. والحمد لله على عونه وجميل تأييده كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمّد وسلّم.

أللهم اجعله دعاءً نافعاً وسعياً مشكوراً.

نقلته كما ألفيته في الأصل المذكور حرفاً بحرف»[27].

أثبتنا هذا النص بكامله لدلالاته المتعددة على عناية الأندلسيين بشعر أبي تمّام وجهودهم في توثيقه وجمعه.

إن هذه النسخة التي أصَّلَها أبو علي القالي ووثّقها بعده بمدّة ابن الأفليلي هي التي انتشرت في الأندلس والمغرب وتوجد منها مخطوطات متعددة إلى اليوم في المغرب، وعلى أساسها وضع الأعلم الشنتمري شرحه كما سنذكر ذلك فيما بعد.

---

(24) هو الوزير الحاجب المعروف بابن المصحفي، وترجمته وأخباره في المطمح والذخيـرة والحلة السيراء والمعجب والبيان المغربـ ونفح الطيب.

(25) بيت بني مضاء مشهور في قرطبة، ولكن يبدو أن المقصود هنا هو أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد بن مضاء الملقب بالحيطي، فهـو الذي كان معنياً بشعر أبي تمام.

(26) كان المنصور من تلاميذ أبي علي القالي. انظر البيان المغرب 2 :357 والحلة السيراء 268:1.

(26م) ترجمة ابن العريف في تاريخ العلماء لابن القراضي 1 :134 - 135 وكان مؤدّبـاً لأولاد المنصور ومقرباً منه.

(27) نقلت هذا النص من مخطوط الخزانة الحسنية رقم 584 وهو موجود أيضاً في نسخ أخرى بالخزانة المذكورة، وأصله في نسخة الاسكوريال.

2 ـ وعلى مستوى الإقراء والتدريس تزوّدنا كتب الطبقات بأسماء جماعة من المؤدبين اشتغلوا بتدريس شعر أبي تمّام وإقرائه في الأندلس، فمنهم أبو عبدالله الغابي، قال الزبيدي:

«كان يقرأ عليه شعر حبيب»[28].

ومنهم محمد بن عبدالله المعروف بابن الأصفر، وكانَ لَهُ فيما يقول الزبيدي: «بصر بمعاني شعر حبيب وغيره من أشعار المحدثين»[29].

ولعلّ أشهر حلقة قُرىء فيها شعر أبي تمام في الأندلس قديماً هي حلقة مؤمن بن سعيد (ت 267هـ).

وقد وصلت إلينا بعض أصداء هذه الحلقة، ويبدو أنها لم تكن تخلو من طبيعة التنكيت وروح التندّر الذي كان غالباً عليه.

قال ابن سعيد في المغرب: «وقرأ عليه يوماً أحد المتعلّمين قول حبيب:

أرض خلعتُ اللهوَ خلعي خَاتَمي
فيها وطلقتُ السّرور ثلاثا

فقال له: «من سرور هذه أصلحك الله؟ فقال هي امرأة حبيب؛ وقد رأيتها ببغداد»[30].

ومن الواضح أن مؤمن بن سعيد ضاق ذرعاً بسؤال تلميذه الذي لا يفرق بين الحقيقة والمجاز فاستغباه وتهكّم عليه بهذا الجواب، ولست أدري كيف لم ينتبه صديقنا الدكتور محمود مكي إلى مسحة المزح على كلام

(28) طبقات الزبيدي: 315.
(29) المصدر نفسه: 328.
(30) المغرب 1: 132.

الشاعر مؤمن فحمله محمل الجد وقال في رسالته الجامعية المنشورة بالإسبانية (ص 243):

«También el poeta cordobés Mu'min IBN sa'id estudiò Con Abu Tammàm su poeséa y, ademàs de introducirla en Espana, La explicaba y Comentaba a sus discipulos, aunque sus Comentarios no eran del todo exactos, a jazgar por alguno de ellos, conservado por lbn Sa'id».

أي «وكذلك الشاعر القرطبي مؤمن بن سعيد درس على أبي تمّام شعره، وأدخله إلى الأندلس وكان يشرحه لطلابه، ولو أن شروحه لم تكن بكامل الدقّة إذا حكمنا عليها من خلال بعضها كما جاءت عند ابن سعيد» والذي جاء عند ابن سعيد في المغرب هو النادرة المذكورة آنفاً.

وأمثال هذه النادرة أمرٌ معهود في حلقات الدروس ومجالس الإقراء والإملاء عند الأندلسيين، فقد حكى ابن سعيد أن الأستاذ النحوي الأديب هذيل الأشبيلي وَصل إليه طالب متخلّف ليقرأ عليه، فكان أول ما قرأ عليه بيت كثيّر:

حيتك عزّةُ بعْدَ الهجْرِ وانصرفَتْ
فحيّي ويْحَكِ مَنْ حَيّاكِ يا جُمَلُ

فصحّفه وقال: جئتك عرة، فقال الشيخ: وكذلك بالله ترجع يا ولدي ولو قريت سنة فأضحك الحاضرين. وقال له يوماً: يا أستاذ، ما الْكَمَوْج؟ فقال: وأين رأيت هذه اللفظة؟ قال: في قول امرىء القيس:

وليلٍ كَمَوْج البحْرِ أَرْخى سُدولَهُ

فقال: نعم، الكموج: دويبة من دواب البر تحمل الكتب ولا تعلم ما فيها.

وكان يقرأ عليه طالب من البربر، جعد الشعر، قبيح الوجه، فوقف يوماً على: ﴿قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا...﴾ فقال: لأي شيءٍ بالله، ألِحُسن وجهك وطيب شعرك؟ عيسى ابن مريم لم يعلم لأصحابه ذلك فكيف أنت(31).

وقد سئل الأستاذ الدّباج في حلقة شعر المتنبي سؤالاً شبيهاً بسؤال تلميذ الأستاذ مؤمن فأجاب عنه بجواب لطيف فيه لذع النادرة وإصابة المعنى، قال ابن سعيد أيضاً:

«كان أحد المتطلّبين الأعيان كثيراً ما يلزم مجلسه (الدباج) لغرض كانَ لَه في بعض القوم فدخل على غفلة فرفع الأستاذ رأسه وقال: ارجع إنه ما جاء اليوم، فخجل وعاد علي ومنعه ذلك من مخالطة الصبيّ ومجالسته ثم لم تمر إلا أيام حتى قرىء بمجلس الأستاذ قول المتنبي:

وقَدْ طَرَقْتُ فتاةَ الحيّ مُرْتـدِياً
بصاحبٍ غَيْرِ عِزْهـاةٍ ولا غَزِلِ

فقال ذلك الخجل المتجنّب: سيدي، ما ٱلْعِزْهاة؟ فقال الأستاذ: العزهاةُ من ينفرُ عن محبوبه ولا يعودُ إليه. فقال: يا أستاذ ما أدري ما أعمل، إن أقمت عتبت، وإن تغيبت عَيّرت، فضحك الأستاذ، وقال ما معناه: لولا هذه السرائر، ما حفظت النوادر»(32).

هكذا كانت حلقات الإقراء لشعر أبي تمّام والمتنبي في مساجد قرطبة وإشبيلية وغيرها ومن هذه الحلقات كان يتخرج الشعراء والكتّاب والأدباء والعلماء.

بعد مؤمن بن سعيد وفد على الأندلس أبو علي القالي، وكان ممّا جلبه من الدواوين ديوان أبي تمّام، وقد أقرأه فيما أقرأ في حلقته الكبيرة في

(31) المغرب 1 :266 والغصون اليانعة: 69 - 70.
(32) اختصار القدح المعلّى: 155 تحقيق الأبياري.

جامع مدينة الزهراء الملكية[33]، وحمل هذه الرواية أبو القاسم أحمد بن أبان ثم تلقّفها أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الإفليلي فنشر سندَها بواسطة تلاميذه، وكلّهم ظهروا في عصر الطوائف.

ولعل أشهر هؤلاء هو الأعلم الشنتمري أكبر شارح أندلسي وصاحب أوسع حلقة أدبية في مملكة بني عبّاد، ويذكر بعض تلاميذه بخصوص تدريسه «الشعرين» أنه كان يستمرّ في إقراء شعر أبي تمام في رمضان ويتوقف فيه عن تدريس شعر أبي الطيب[34]، ولم يكتف الأعلم بالتفسير الشفوي وإنما شفعه بالشرح المدوّن لكلا الشعرين، واطلاق الشعرين هكذا كان عندهم ينصرف إلى شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب[34م].

ومثل الأعلم نظيره أبو مروان عبد الملك ابن سراج الذي قال فيه ابن بسام: «لم ير مثله قبله ولا يرى بعده»[35].

ولدينا فكرة مجملة عن حلقته القرطبية في «الشعرين»، فقد كان لا يقرىء من شعر أبي تمّام في المجلس الواحد إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرىء من شعر أبي الطيب خمسة أبيات في المجلس[36].

وإذا كان الأعلم الشنتمري قد أدرك حظوة كبيرة عند بني عبّاد حتى غدا كما يقول ابن سام: «زعيم البلد، واستاذ ولد المعتمد» فإن ابن سراج كان متكئاً على عصبية قومه وأهل بلده، «وكان بين الأستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج ما يكون بين فحلين في هجمة، وزعيمين من أمّة، فاتفق أن كتب ابن سراج إلى المعتمد بشطرٍ بائي من بحر الوافر يمدحه

---

(33) فهرسة ابن خير: 325.

(34) انظر روضة الأديب لابن لبال الشريشي في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(34م) انظر فهرسة ابن خير: 402.

(35) انظر ذخيرة ابن بسّام ق 1 م 2 :811 وترجمته في قلائد العقيان ومطمح الأنفس وصلة ابن بشكوال والمغرب وإنباه الرواة وبغية الوعاة والديباج المذهب وخريدة القصر.

(36) روضة الأديب لابن لبال في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

فيه، وكأنه ـ زعموا ـ عرض بقرنه ومباريه، وأعلم بذلك الأعلم، فصمت عن جوابه وأحجم»[36م] ووقعت بين الرجلين أيضاً خصومة حول الرسالة الرشيدية، ولعل في هذا كله صورة لما كان يقع في حلقتيهما من خصومة حول شعر أبي تمّام وغيره.

وثالث الفرسان من أصحاب ابن الأفليلي هُوَ أبو تميم العز بن محمّد بن بقّنه[37]، وهو عدوي مغربي استوطن قرطبة وأخذ عن ابن الإفليلي كثيراً من كتب اللغة والآداب، وكان حافظاً لهما مقدّما في معرفتهما، وقد أخذ الناس عنه في حلقته بقرطبة، ومن جملة ما أخذوا عنه شعر أبي تمام.

ومن تلاميذ ابن الإفليلي الذين رووا عنه شعر أبي تمام أبو بكر خازم ابن محمد بن خازم القرطبي، كان «وافر الأدب وهو كان الأغلب عليه، وله تصرّفٌ في اللغة وقول الشعر» وكان زميله أبو مروان ابن سراج المذكور آنفاً يتكلّم فيه ويضعّفه، ولكن هذا لم يمنع الناس من الرواية عنه والسماع منه[38]. وممن روى عنه شعر أبي تمّام أبو الحسن علي ابن حنين القرطبي مستوطن فاس الذي بنى بها مسجداً ودرّس فيه ستاً وستين سنة[39]، وقد استمر سند روايته عن شيخه خازم عن ابن الأفليلي مروياً حتى القرن الحادي عشر الهجري[40].

ومن حلقات شعر أبي تمّام في غير قرطبة وإشبيلية على هذا العهد ـ عهد الطوائف ـ حلقة أبي الوليد ابن ضابط في بطليوس قال ابن الأبّار:

(36م) الذخيرة ق 2 م 1 :474 وانظر في المسألة الرشيدية أحكام صنعة الكلام: 68.

(37) ترجمته في الصلة: 429 والذيل والتكملة 5 :144 وقال فيه: العز بن أحمد بن هارون، وقال ابن خير: العز بن محمد بن أبي موسى بقنة.

(38) ترجمته في الصلة: 178.

(39) الذيل والتكملة: 5 :150 - 153 والتكملة رقم 1885 وجذوة الاقتباس رقم 539 وصلة الصلة: 102 وسلوة الأنفاس 1 :349.

(40) برنامج المنتوري وإجازة عبد القادر الفاسي وكلاهما مخطوط.

«ووقفت على الأخذ عنه لشعر حبيب»، وابن ضابط البطليوسي له «كتاب الآداب»، وقد تخرج من حلقته في بطليوس الشاعر الأديب ابن عبدون، وكان من المؤدّبين الذين يرعون المواهب الشعرية المبكرة، فمن ذلك أنه قال مرة يختبر تلميذه النجيب المذكور ويدعوه إلى الاجازة:

الشِّعرُ خُطّةُ خَسْفِ

فأكمل قائلاً:

لِكلِّ طالبِ عُرفِ

لِلشّيخِ عَيْبةُ عَيْب

ولِلْفَتَى ظَرْفُ ظَرْفِ[41]

وفي بطليوس كان محمد بن رزق الله أحد شراح شعر أبي تمام الذين سنتحدّث عنهم بعد قليل.

وكانت في المرية لهذا العصر حلقة يدرّسُ فيها الأديب أبو الأصبغ عبد العزيز الجهني شعر الطائي، قال ابن الأبّار «أخذ عنه الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس، وسمع منه شعر حبيب، قرأت ذلك بخط أبي جعفر». والوزير المذكور هو صاحب الأخبار الغريبة المذكورة في الذخيرة وغيرها[42].

وقد بلغت حلقات «الشعرين» ذروتها خلال القرنين السادس والسابع في قرطبة واشبيلية وبلنسية، فابن خير الفاسي الإشبيلي (ق 6) على سبيل المثال يروي شعر أبي تمّام من طرقٍ ثلاثٍ أولها هكذا:

(41) تكملة ابن الأبار: 407 ونفح الطيب 3: 397 - 398.

(42) ترجمة عبد العزيز الجهني في التكملة رقم 1737 وأخبار الوزير ابن عباس في الذخيرة والتبيان والإحاطة ونفح الطيب وغيرها.

أبـو تـمّـام

↓

علي بن مهدي الكسروي

↓

ابن درستويه

↓

أبو علي القالي

↓

أحمد بن أبان

↓

ابن الأفليلي

↓

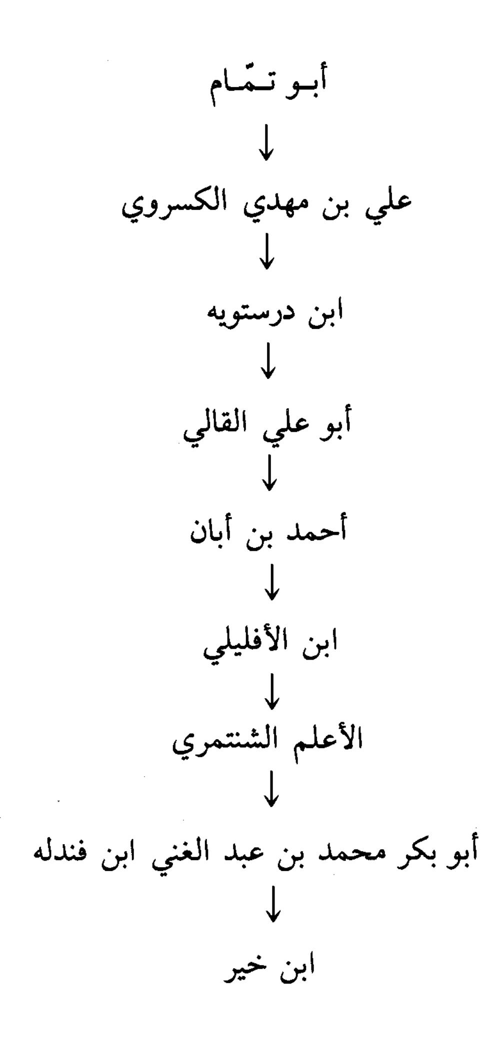
عبد الملك بن سراج

↓

جعفر بن محمد بن مكي

↓

ابن خيـر


أبـو تـمّـام
↓
علي بن مهدي الكسروي
↓
ابن درستويه
↓
أبو علي القالي
↓
أحمد بن أبان
↓
ابن الأفليلي
↓
الأعلم الشنتمري
↓
أبو بكر محمد بن عبد الغني ابن فندله
↓
ابن خير

وثالثها:

أبـو تـمّـام

↓

علي بن مهدي الكسروي

↓

ابن درستويه

↓

أبو علي القالي

↓

أحمد بن أبان

↓

ابن الأفليلي

↓

العز بن بقنّه

↓

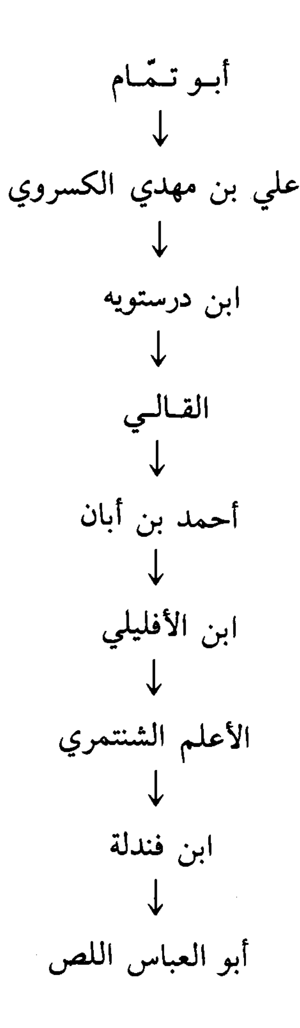
أبو عبد الله ابن أبي الخصال

↓

ابن خير[43]

(43) فهرسة ابن خير: 402 - 403.

ومن الحلقات الإشبيلية في هذا القرن السادس الهجري حلقة الأديب النحوي الشاعر أبي العباس أحمد بن علي الإشبيلي المنبوز باللص، لقبه بذلك قرينه الأديب الشاعر أبو بكر الأبيض في صغره لإغارته بزعمه على الأشعار فغلب عليه، وهو يروي شعر أبي تمام حسب السند الآتي:



وقد ذكر ابن الأبّار أنه «كان يقرأ عليه شعر أبي تمام حبيب بن أوس رحمه الله»[44] وممن رواه عنه أبو العباس الجراوي.

أما في القرن السابع فلعّل أشهر حلقة «للشِّعْرين» في قرطبة هي حلقة أبي جعفر الحميري الوَزَغي «آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس» حسب عبارة عبد الواحد المراكشي الذي درس عليه وقال فيه: «ما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث ولا أذكر لحكاية تتعلق بأدب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعة مستحسنة منه»[45].

وقد تخرج به كثير منهم ولده عصام وعبد الواحد المراكشي مؤلف المعجب وأبو عبدالله الحميري الاستجي الذي ستأتي الإشارة إليه في شراح المتنبي. ولم تكن طريقة هذا الشيخ تقتصر على ما يتعلق بشعر حبيب أو المتنبي وإنما كان يستمع في خلال ذلك إلى محاولات طلبته الشعرية مصلحاً تارة ومستحسناً تارة أخرى. كما يبدو من قصّة ولده عصام وعبد الواحد المراكشي، وقال تلميذه وقريبه الحميري: «وكان على شاخته رحمه الله ثابت الذهن مقبل الخاطر، حافظاً ألمعياً: ـ

يروعُ رَكانةً ويذوبُ ظَرْفاً
فما تدري أشيخٌ أم غلامُ[46]

نأتيه بمقاطيع الشعر فيصلحها لنا ويقف على ما نستحسنه منها فنجده أثبت منّا».

وفي هذا القرن السابع كانت حلقة أبي الربيع الكلاعي في بلنسية وقد درس في هذه الحلقة الأدبية شعر أبي تمام، وممن رواه على ذلكم

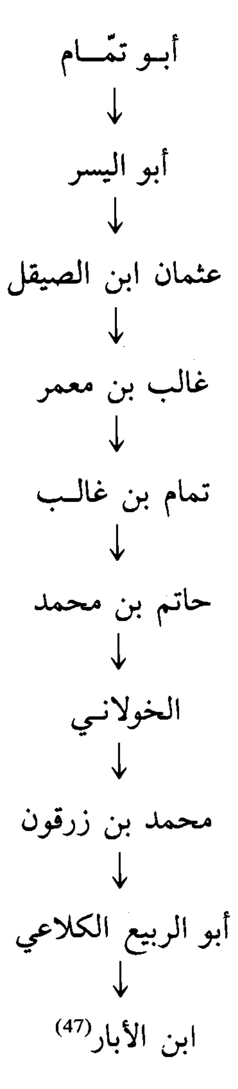
---

(44) ترجمته في التكملة: 80 والذيل والتكملة 1: وبغية الوعاة 1 :344 ونفح الطيب 4 :112 و 193 وما بعدها، وراجع كذلك المغرب والمطرب.

(45) المعجب: 300 - 304 ط. القاهرة 1949 م.

(46) الإحاطة 2 :315 والمعجب: 302 - 303.

الشيخ المجاهد الشهيد أدباء كبار من طبقة ابن عميرة المخزومي وحازم القرطاجني وابن الأبار، وفيما يلي سند هذا الأخير في شعر أبي تمام رواية عن شيخه الكلاعي :



واشتهرت بإشبيلية في هذا القرن حلقات متعددة كان يدرس فيها شعر

---

(47) التكملة : 174 .

حبيب، منها حلقات الدبّاج وأبي علي الشلوبين وأبي بكر محمد بن طلحة الأموي، فأما الدبّاج فقد مرت الإشارة إلى حلقته، وأمّا الشلوبين فكان معاصر الدباج ومنافسه، ولكنه فاقه شهرة، وكان ـ فيما يذكر ـ ابن سعيد ـ يدرس العربية وآدابها بلهجة أندلسية منحرفة عن أوضاع النحو تثير الضحك، وكان يحتد عند المناقشة فيخرج عن طوره قـالَ ابنُ سعيد: «واتفق له مع ابن الصابوني الشاعر الحكاية المشهورة، وذلك أن الشاعر المذكور كان يلقّب بالحمار ويغتاظ من ذلك، فبينما هو ذات يوم يقرأ عليه كتاب «الإيضاح» إذ مرت مسألة «السمن منوان بدرهم» وتشعّبت المذاكرة إلى أن اغتاظ الأستاذ عليه. فزحف إليه من صدر مجلسه وقال له: يا حمار، يا حمارين، وجعل يصعد هكذا شيئاً فشيئاً إلى أن قال له: يا مائة ألف حمار! يا ملء الأرض حميراً؛ ثمّ جعل إصبعه في أذنيه ونهق وهو يزحف إليه، واجتمعت العامة على باب المسجد، وكانت حالة مضحكة» لقد كان هذا الأستاذ الشعبي ولد الخباز طويل اللسان ذا حكايات مضحكة ولكنه كان في تدريس دواوين الشعر كديوان أبي تمام وديوان أبي الطيب وأمهات الأدب كالكامل وغيره «كالعارض الصيب»، أما تلميذه المذكور فقد أصبح شاعر إشبيلية بل شاعر الأندلس الأول في عصره[48]، ومن أشهر تلاميذ الشلوبين ـ وهم كثر ـ ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوطن سبتة، ويهمنا هنا أن نورد سنده في شعر أبي تمّام رواية عن الشلوبين:

(48) انظر فيما ذكرناه: اختصار القدح المعلى: 152 - 154 وكذلك ص 69 وما بعدها.

أبو تمّام

↓

علي بن مهدي الكسروي

↓

ابن درستويه

↓

أبو علي القالي

↓

أحمد بن أبان

↓

ابن الإفليلي

↓

العز ابن بقنة

↓

ابن أبي الخصال

↓

ابن مضاء

↓

الشلوبين

↓

ابن أبي الربيع[48م]

(48م) برنامج ابن أبي الربيع لابن الشاط. تحقيق د. عبد العزيز الأهواني. مجلة معهد المخطوطات العربية.

وأمّا أبو بكر محمد بن طلحة الأموي فقد درّس العربيـة والآداب بإشبيلية أزيد من خمسين سنة، وممّا كان يدَرّس في حلقته «شعر حبيب» وممن رواه في هـذه الحلقـة أبـو الحسن الـرعيني صـاحب الـبرنـامـج المعروف[49].

والواقع أن قاعدة رواية شعر أبي تمّام ودراسته اتسعت في هذا القرن وما بعده، ويطول أمر تتبّعها في مختلف فروعها في الأندلس والمغرب، فلنكتف بهذا القدر.

وقد تخرج بالشلوبين والدباج وأبي الربيع الكلاعي عدد من أهل الأدب أشهرهم ابن سعيد العمّاري وابن عميرة وابن الأبار وحازم القرطاجني وأبو جعفر اللبلي، ومن طريق هؤلاء ومعهم انتقل السند الأندلسي إلى بجاية في المغرب الأوسط، وتونس في المغرب الأدنى، وقد نصّ ابن خلدون في المقدمة على أن سند أهل أفريقية الحفصية «متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلّب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتـونس وعنهم أخذ ولدانهم»[49م]. وهكذا نجـد الغبريني مؤلف عنـوان الدّراية (ق 7) يقرأ في بجاية علي أبي عبدالله محمد بن الحسن القلعي «قصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبّي»[50] ونراه يشير إلى مجلس أبي الحجاج يوسف بن يخلف الجزائري (ق 7) الذي كان «يعرب فيه شعر حبيب والمتنبّي»[51].

وتمثل ذلك في بيئة أدبية جيدة في كلٍّ من وتونس وبجاية خلال القرن السابع، وهي بيئة تميزت باعتماد الأصول والتعلق بالفحول مثل أبي تمام والمتنبي، يقول الغبريني:

---

(49) برنامج الرعيني: 79 - 80 تحقيق إبراهيم شبوح.

(49م) مقدمة ابن خلدون: 1361 تحقيق د. علي عبد الواحد وافي. ط. 2.

(50) عنوان الدراية: 40 المطبعة الثعالبية 1910.

(51) المصدر نفسه: 47.

«وكان (أبو عبدالله التميمي القلعي) يسلك في شعره على طـريق حبيب بن أوس، وكان صاحبه أبو عبدالله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي، وكانا يتراسلان الأشعار، يجاوب كـل واحدٍ منهمـا الآخر على طريقته، فكان الأستاذ (القلعي) رحمه الله ينحو نحو حبيب، والأديب أبو عبدالله الجزائري ينحو نحو المتنبي، ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحدٍ منهما بما يستظرف معناه ويروق محياه»[52].

ولو وصل إلينا شعر هذين الرجلين لعرفنا مستوى تأثرهما بطريقتي شاعري العربية الكبيرين.

ونحن نلمح بالفعل شيئاً من تأثر القلعي ببناء القصيدة التمّامية من خلال النموذجين اللذين أوردهما الغبريني، ولا سيما قصيدته التي مطلعها:

الخبْرُ أصدقُ في المرْأى من الخَبَر
فمهّد العذر، ليس العينُ كالأثر[53]

فهي وإن كـانت ـ على ما فهمت ـ معـارضة لقصيـدة ابن عبدون المشهورة:

الـدهرُ يفجـعُ بعدَ العينِ بـالأَثَـرِ
فما البكاءُ على الأَشباحِ والصّوَرِ

إلّا أن المطلع من حيث طريقة بناء جمله الشعرية أوثق اتصالاً وأقرب احتذاء إلى مطلع العمّورية:

السيفُ أصـدقُ أنبـاءً من الكتب
في حده الحَدّ بين الجدّ واللّعِب

---

(52) المصدر نفسه: 43.

(53) المصدر نفسه: 42.

ويقول الغبريني في القلعي المذكور: «وهو أكثر الناس شعراً، وقد شرع في تدوين شعرِهِ عام ثلاثين وستمائة، وهو في كل عام يقول منه ما يُكتب في ديوان وعاش بعد شروعه في تدوينِهِ ثلاثاً وأربعين سنة، ولو تمّ له تدوينه لكان في مجلدات كثيرة ولكن بأيدي الناس منه كثير، وتواشيحه حسنة جداً»[54]. وهذا النص يؤكد الأثر المزدوج الـذي كان للمشيخـة الأندلسية في بجاية، وهذا السند الأندلسي الذي كان قوياً في تونس استمر موصولاً حتى القرن الثامن حيث نجد ابن خلدون يحفظ شعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي بإشارة من شيخه أبي عبدالله محمد بن بحر إمام العربية والأدب بتونس[55].

وإذا كان سند أهل شرق الأندلس هو الغالب في إفريقية الحفصية فإن السند الذي روى بالمغرب الأقصى في «الشعرين» هو سند أهل إشبيلية وقد انتشر بواسطة القاضي عياض أولاً وهذه صورته:

(54) المصدر نفسه: 43.

(55) التعريف بابن خلدون: 17 تحقيق المرحوم محمد بن تاويت الطنجي.

أبو تمّام

↓

علي بن مهدي

↓

ابن درستويه

↓

أبو علي القالي

↓

أحمد بن أبان

↓

ابن الإفليلي

↓

الأعلم الشنتمري

↓

أبو الحسن علي بن الأخضر

↓

عياض[56]

(56) الغنية: 178 تحقيق ماهر جرار.

ثم انتشر بعد ذلك بواسطة سند ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوطن إشبيلية وأضرابه، وقد مر ذكره.

وليس معنى هذه الأسانيد التي وقفنا عليها عند بعض المغاربة أن شعر أبي تمام لم يعرف في بلاد المغرب إلا في عصر المرابطين وما بعده، إذ إن الأخبار والاشارات تدلّ على أنه عرف قبل ذلك بكثير، فقد رحل الشاعر بكر بن حماد التاهرتي إلى المشرق واجتمع في العراق بأبي تمّام وطبقته وسمّاه في أبيات يحرض فيها المعتصم على دعبل الخزاعي يقول فيها:

أيهْجو أميرَ المؤمنينَ ورهطَهُ
ويَمْشي على الأرْضِ العَريضَة دِعْبِلُ

إلى أن يقول:

وعاتبني فيهِ حبيبٌ وقال لي
لسانُكَ محذورٌ وسمُّك يَقْتُلُ[57]

ولا بدّ أن بكر بن حماد كان من أوائل من أشاعوا شعر أبي تمّام في البيئات الأدبية المغربية، كما عرفت القيروان وشعراؤها أبا تمام في وقت مبكر بواسطة كل من أبي اليسر الرياضي وأبي علي القالي اللذين أقاما فترة بالقيروان قبل أن ينتقلا إلى الأندلس[58]، وقد ظهر أثر شعر أبي تمام في شعر عددٍ من شعراء القيروان كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وكان شعر أبي تمام معروفاً في المغرب الأقصى منذ أواخر العهد الإدريسي حتى في بيئات كانت تسود فيها اللغة الأمازيغية، وقد ورد الاستشهاد به في رسالة لموسى بن أبي العافية وجّهها إلى عبد الرحمن الناصر، وجاء فيها من وصف وقعة بين ابن أبي العافية والعبيديين ما يلي: «وجالت الخيل بيننا وبينهم جولة أخطأ فيها الحكيم حكمته وأضلّ فيها

(57) البيان المغرب 1 :154 تحقيق كولان وبروفنسال والحلة السيراء 1 :173، 183 تحقيق د. حسين مؤنس. ورياض النفوس 2 :16 - 19 ومعالم الإيمان 2 :192.

(58) فهرسة ابن خير: 395.

العاقل سمته، كما قال حبيب بن أوس الطائي:

في ساعةٍ لو أنّ لُقماناً بِها
وهو الحكيمُ لكانَ غيرَ حَكيمِ»[59]

إن الأسانيد الإشبيلية وغيرها في شعر أبي تمّام هي التي حملها أعلام الأدب في مملكة غرناطة حيث ظل الشفوف موقوفاً على أبي تمام والمتنبّي برغم محاولة البعض اللحاق بغبارهما، يقول إبراهيم الساحلي الملقب بالطويجن في وصف قصيدة له:

وقف ابن أوسٍ دونها وتخضّبت
في نسج حلتها أكفُّ البحتري[60]

ويقول ابن الخطيب السلماني:

ولو نشر الطائي يوم اجتلائها
لجلّله من أجل إيثارها غَمٌّ[61]

وَيتواضع فيقول مورّياً:

«مُتنبّىءٌ» أنا في حلى تلك العُلَى
لكنّ شعري فيك شعر «حبيب»
والطبعُ فحلٌ والقريحَةُ حُرّةٌ
فاقبله بين نجيبة ونجيب[62]

ومن الأسانيد التي وقفنا عليها في آخر هذا العصر سند أبي عبدالله محمد بن عبد الملك المنتوري آخر مسندي الأندلس في هذا الباب (ت 834هـ) وهذا رسم سنده:

---

(59) المقتبس 5 :372.

(60) انظر ترجمته وبعض أشعاره في الإحاطة والنفح والكتيبة الكامنة وغيرها.

(61) من ميمية له طويلة وردت في بغية الرواد 2 ص 300 وما بعدها.

(62) من مذهبته البائية الطويلة في نفح الطيب 6 :459.

أبو تمام

↓

الكسروي (علي بن مهدي)

↓

ابن درستويه

↓

القالي (أبو علي)

↓

أحمد بن أبان بن سيد

↓

الإفليلي

↓

حازم بن محمد

↓

علي بـن حنين

↓

أحمد بن بقي

↓

ابن أبي الأحوص (الحسين)

↓

علي بن سليمان

↓

ابن منظور (محمد بن محمد)

↓

المنتُوري[63]

---

(63) برنامج المنتوري. مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط.

وقد عاش هذا السند في المغرب حتى أواخر القرن الحادي عشر حيث نجده عند عبد القادر الفاسي[64].

3 ـ وَمن الطبيعي أن تؤدّي حركة رواية شعر أبي تمام وتدريسه إلى وضع شروح عليه، وهذا هو المستوى الثالث للعناية بأبي تمام في الأندلس، ولعلّ أقدم هذه الشروح هو شرح أبي العباس وليد الطبيخي (ت 352) الذي وصل إلينا شرحه لشعر مسلم بن الوليد، وقد ضاع مع الأسف شرحه لشعر أبي تمّام، وهو شرح «أخذه عنه الناس» كما يقول ابن الفرضي[65]، وإذا كان هذا الشرح مفقوداً فإن ما بقي من شرحه لشعر مسلم يعطينا فكرة عن طريقته في الشرح وهي طريقة تتميز ببسط المعنى وتقريبه إلى مختلف المستويات، وهذه كانت طريقته أيضاً في الإقراء والتدريس قال الزبيدي: «وكان بصيراً بمعاني الشعر حسن التلقين لمن تبلّد فهمه عنها وكان يقرّبها ويضرب الأمثال فيها حَتّى عرف بذلك»[66] وهذا يدل على مهارة في الطريقة وتمكّن في المادة، وحوالي التّاريخ الذي ألف فيه الطبيخي شرحه في الأندلس ظهر في المشرق شرح معاصره الصولي، وَنَظُنُّ أن الشعر الذي شرحه الطبيخي هو الذي كان أمر بانتساخه عبد الرحمن النّاصر.

وشرحَ شعرَ أبي تمام في القرن الخامس الهجري أبو الحجّاج يوسف ابن سليمان الملقب بالأعلم الشنتمري، وهو معروف بشروحه المتعدّدة لعدد من المتون الشعرية والأدبية والنحوية، قال القفطي في إنباه الرواة: «وكان حافظاً للأشعار قائماً عليها، عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي

(64) فهرس عبد القادر الفاسي المعروف بالإجازة، وهي التي عرف بالرجال المذكورين فيها باللغة الفرنسية المرحوم محمد بن أبي شنب.
(65) تاريخ العلماء 2 :159.
(66) الطبقات: 329.

الطيب المتنبّي كثير العناية بهما خاصة[66م] لقد ذكر الأعلم شرحه في شعر أبي تمام عند سرد مؤلفاته في مقدمة شرح حماسته[67]، وروى القاضي عياض هذا الشرح عن أبي الحسن علي ابن الأخضر الإشبيلي تلميذ الأعلم وذكره من مروياته عنه في فهرسته المعروفة بالغنية[68]، ولم نقف على أي ذكر له بعد ذلك في المظانّ التي رجعنا إليها.

ومن حسن الحظ أننا اهتدينا إلى نسخة من هذا الشرح في خزانة القرويين تحت رقم 1839 كانت منسوبة إلى غير مؤلّفها وهي نسخة تقع في سفر كبير غير محبوك، وهي في وضعها المحفوظ في الخزانة مختلطة الأوراق مشوشة الترتيب وقد أخذت لي صورة منها على هذه الحال، والورقة الأخيرة توجد في الوسط رقم 171 ونقرأ فيها ما نصّه: «تم السفر بتمام جميع شعر أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي شرح الأستاذ النحوي الأديب اللغوي أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى رحمه الله، وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وتسعمائة» وقد اجتهدنا في ترتيب أوراقها المختلطة فتبين لَنا أنها تامة تقريباً ولا ينقصها إلاّ ورقتان أو ثلاث من الأول، كَمَا قُمْنا بضبطها وتحقيقها، وسنقدمها للطبع قريباً بإذن الله رغم رداءتها وكثرة التحريف والتصحيف فيها.

ويبدو ممّا ذكرناه أن هذا الشرح لم يشتهر وينتشر مثل بقية شروح الأعلم، ولذلك لم يذكر في تراجمه، ولم يرد في كشف الظنون وشبهه، ولعلّ الخطيب التبريزي وقف عليه ولم يسمّه، فهو يقول معدّداً مصادره في شرح شعر أبي تمّام ما نصّه: «وما وقع إلي ممّا رُوي عن أبي علي

(66م) إنباه الرواة 1 :183.

(67) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 101 ق.

(68) الغنية: 178 وبغية الوعاة 2 :174 نقلاً عن الغنية.

المعروف بالقالي وغيره من شيوخ المغرب»[68م].

وتدلّ القراءة السريعة لهذا الشرح على أن الأعلم الشنتمري قصد فيه على ما يبدو إلى تقريب شعر أبي تمّام من عامة الطلاب ولهذا اقتصر على حلّ الأبيات بأوجز عبارة، والاختصار هو السّمة الغالبة على هذا الشرح، فهو يخلو تماماً من الشواهد التي يلجأ إليها الشنتمري في شروحه الأخرى، كما يخلو من ذكر الروايات وسرد الأقوال على نحو ما نجد في شرح ترتيب الحماسة وشرح شواهد الكتاب، ولعلّ الأعلم أشار في المقدمة أو الديباجة المبتورة إلى طريقته في هذا الشرح، وإذا كنا نجده يشير في شرح شعر الصّبا من ديوان المتنبّي إلى بعض الشراح الذين سبقوه فإنه في شرحه هذا لا يذكر أحداً من شراح أبي تمام قبله كالطبيخي أو الصولي مثلاً.

على أن للأعلم منهجاً عامّاً في شروحه أشار إليه في مقدمات شروحه، ومنها مقدمة شرح الأشعار الستة قال: «ولم أطل في ذلك إطالةً تخلّ بالفائدة، وتملُّ الطالب الملتمس للحقيقة، فإنني رأيتُ أكثر من ألّف في شروح هذه الأشعار قد تشاغلوا عن كشف المعاني وتبيين الأغراض بجلب الروايات والتوقيف على الاختلافات والتقصي لجميع ما حوته اللفظة الغريبة من المعاني المختلفة حتى إنّ كتبهم خالية من أكثر المعاني المحتاج إليها ومشتملة على الألفاظ والرواية المستغنى عنها»[69] وهذا هو المنهج الذي أخذ به في شرح شعر أبي تمام أما الشعر الذي شرحه فهو ما اشتملت عليه النسخة الأندلسية التي رواها أبو علي القالي وأكملها ابن الإفليلي شيخ الأعلم، وقد سار في الشرح حسب ترتيب القصائد في هذه النسخة العتيقة.

(68م) مقدمة شرح التبريزي: 2 وكشف الظنون.

(69) مقدمة شرح الأشعار الستة.

ولعل من المفيد أن ندرج هنا شرحه لإحدى القصائد كمثال تام لطريقته في الشرح، ولتكن القصيدة الآتية:

«وقال يمدح يحيى بن ثابت ثم صَيّرها في محمد بن حسان:

1 ـ قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ في الغُلَواءِ
كَمْ تعذلونَ وأَنْتُمُ سُجَرائي

معنى «قَدْكَ حسبُك، ومعناها اكفُفْ عمّا أنت فيه، ومعنى اتئبْ استحي، وهو من الإبة والتؤبة، وهو كلّ ما يستحيى منه، ومعنى «أربيت» زدت، وأصله من الربا، و«الغلواء» التجاوز في الغلو، و«السُّجَراء» جمع سجير وهو الصديق المملوء محبة، وأصله من البحر المسجور.

يقول لعاذله على البكاء: اكفف عن عذلي واستحي منّي فقد زدت في غلواء عذلك؛ ثم رجع من خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة فقال: كم تعذلون وأنتم أصحابي وإخواني هلّا ساعدتموني كما يساعد السجير سجيره ولم يقطعوني ملاما.

2 ـ لا تَسْقِني ماءَ المَلامِ فإنّني
صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بُكائي

رجع إلى خطاب عاذله وحده، يقول: لا تلمني على البكاء فإنني لا أصغي إلى قولك ولا أقبل نصحك لأني مستحل للبكاء مستعذب لمائه ولما ذكر ماء البكاء جعل للملامِ ماء استعارةً ومَثَلاً.

3 ـ ومعرّسٍ للغيثِ تَخْفِق بينَهُ
راياتُ كلِّ دُجُنّةٍ وطْفاءِ

«المعرس» موضع نزول المسافر في آخر الليل ليسْتريح، فاستعاره للغيث لنزوله فيه، و«الرايات» البنود، و«الدجنّة» السحابة المظلمة المطبقة للسماء و«الوطفاء» الدانية من الأرض التي تراها كان لها خملاً متصلاً بالأرض، والعين الوطفاء الكثيرة شعر الشفر.

يصف روضة لازمها الغيث فخفقت فيها راياته، وهذا مثل وحقيقته أنه أراد كثرة المطر، ويحتمل أن يريد بالرايات البروق.

3 ـ نشـرَتْ حـدائقـه فصـرنَ مـآلفـاً
لـطرائـفِ الأنـواء والأنـداء

يقول: نشرت هذه الدجُنّة حدائق ذلك المعَرّس فصارت الحدائق مواضع تألفُها طرائف الأمطار، وطرائفها: ما أنبتته في الحدائق من ضروب النّبات وأصناف الزهر، ومعنى «نشرت حدائقه» أظهرت بهجة رياضه.

4 ـ فسقـاهُ مسْكَ الـطلّ كـافـورُ الصَّبـا
وانحـل فيـه خيطُ كـلِّ سَمـاءِ

5 ـ عنى الـربيعُ بـروضِـهِ فكـأنّمـا
أهْـدَى إلَيْـهِ الـوشْيَ من صَنْعـاءِ

يقول: عنى الربيع بروض هذا المعرس وأكملَ نبته ونَوْرَه فكأنّما أهدى إليه وشياً صنعانياً وهو من أفضل الوشي.

7 ـ صبّحـتُـه بسُـلافَـةٍ صَبّحـتُـهـا
بسُـلافَـة الخُـلَطاء والنّـدمـاء

سلافة الخمر خالصُها وما سال منها دون عصر. يقول: أتيتُ هذا

المعرّس صباحاً سلافة خمر صبّحتها للشّرْب سلافة من الخلطاء والندماء أي ما خلص منهم والذين هم في الإخوان كالسّلافة في الخمر.

8 ـ بمُـدامَـةٍ تغـدو المُنى لكؤوسهـا
خَـوَلاً عـلى السّـرّاء والـضـرّاء

المدامة: الخمر التي أديمت في دَنّها حتى عتقت، والخول: الأعوان. يقول: صبحت المعرس بمدامة ساعف المنى كؤوسها فتعينها على الزيادة في السراء وعلى إذهاب الضراء.

9 ـ راحٌ إذا ما الـراحُ كـنّ مـطيهـا
كانت مطايا الشوق في الأحشـاءِ

الراح الأولى الخمر والراح الثانية جمع راحة: الكفّ. يقول: إذا حملت هذه الرّاح التي هي الحمر على راح الأكُف إلى أقوام [مولعين] بالشراب حملت الشوق والهوى إلى أحشائهم، فأكفهم مطي للخمر والخمر مطية للشوق تحمله حتى يحل في الأحشاء.

10 ـ عِـنَبيَّـةٌ ذهـبيّـةٌ سَـبَكـتْ لَـهـا
ذهبَ الْمعـاني صـاغَـةُ الشّعـراءِ

يقول: هي من أفضل الخمر لأنّها عنبية الأصل ذهبية اللون فالشعراء تتسابق في وصفها فتسبك لها من المعاني ما هو شبيه بالذهب في حسنه.

11 ـ صَعُبَتْ وراضَ المـزْجُ سَيّء خُلْقها
فتعلّمتْ مِنْ حُسْن خُـلق المـاءِ

يقول: كانت هذه الخمر قوية شديدة صعبة فلما مُزجت بالماء راضها المزج ولين شدّتها وأحسن خلقها حتى صارت آخذة من حسن خلق الماء ولينه.

12 ـ خـرقـاءُ يلعبُ بـالعقـولِ حَبــابُهـا
كتــلاعُبِ الأفـعــالِ بــالأسمــاءِ

إنما جعل الخمر خرقاء لأنّ شاربها يخرق فنسب ذلك إليها لأنها سبب الخرق، ثم قال: وهي مع خرقها تلعب بالعقـول وتصرّفهـا على حكمها كما تصرف الأفعال الأسماء من نصب إلى رفع ومن رفـع إلى نصب؛ والحباب: طرائقها إذا مزجت بالماء، وجعل العقل للحباب لأن حبابَها منها ففعله من فعلها.

13 ـ وضعيفــةٍ فـإذا أصــابت فُــرْصــةً
قتلتْ كــذلـك قُــدْرةُ الضّعفــاءِ

يقول: الخمر مع قوة جوهرها ضعيفة لا تبـطش، فإذا أكثـر منها وجدت بذلك فرصةً فبطشت بشاربها فصرعته سكرانَ كالقتيل، وكذلـك الضعيف أبداً إذا وجد فرصة انتهزها وبطش بصاحبه ولم يستبق شيئاً من جهده وطاقتِهِ لأنه قد علم أنه متى أبقى على صاحبه عـطف عليه فلم يقاوِمْهُ، وهذا كقول جرير:

يـصرعن ذا اللُّبّ حتى لا حراكَ لَهُ
وهنّ أضعفُ خلقِ الله إنْســانــا

14 ـ جـهـمـيّــةُ الْـوُصّــاف إلاّ أنّـهُـمْ
قَــدْ لقَّبـوهــا جــوهــر الأشيــاءِ

مذهب جهم ألّا تثبت صفة للبارىء سبحانه من الصفات التي يقع فيها الاشتراك فيوصف بها المخلوقون كقولنا عالم وراحم تقول الجهمية: لا نقول الله عالم إنّما نقول الله ليس بجاهل فننفي عنه ضد هذه الصفة التي تكون للمخلوق ولا نقول عالم لأن هذه الصفة تكون للمخلوق فكأنّ شبّهنا الله تعالى بغيره حيث وصفناه ك ا يوصف غيره وكذلك يفعلون في سائر الصفات.

يقول أبو تمام: هذه الخمر لا نظير لها فهي لا توصف بما يوصف به غيرها ولكن ينفي عنها أضداد الصفات كما فعل جهم في صفات البارىء جلّ وعز، ثم قال إلاّ أنهم يلَقّبونها بلقب تنفرد به لا يشركها غيرها فيه وذلك اللقب أن يقال: هي جوهر الأشياء، فإذا كانت جوهر الأشياء والأشياء كلّها أعراض فقد أفردت بلقب لا يكون لغيرها لأن اسم الجوهر لا يقع على العرض كما أن قولنا: إله وخالق لا يقع لغير الله تعالى وهذا مما يثبته جهم فإذا سميت الخمر جوهراً فسائر الأشياء أعراض، والجوهر أفضل من الأعراض، والخمر إذن أفضل الأشياء.

15 ـ وكأنّ بهجتَها وبهجةَ كأسِها
نارٌ ونورٌ قيّدا بوعاءِ

يقول: كأنّ شعاع هذه الخمر وبهجتها وشعاع كأسها وبهجته حين اجتمعا فقيدا بوعاء واحد، فشبّه الخمر بالنار لحمرتها وشبه الكأس بنور الشمس أو غيرها من النيّرات لبياضها.

16 ـ أو درّة بيضاء بكر أُطبقتْ
حبلاً على ياقوتة حمراء

شبه الكأس لبياضها بدرة بكر وهي التي لم تثقب وذلك أصفى لها وأشد لبياضها وجعل الخمر في جوف الكأس كياقوتة قد حملت بها هذه الكأس التي هي كالدرة وأطبقت عليها كما تطبق على حملها، وقد مَلّحَ ما شاء في قوله: بكر؛ ثم قال أطبقت حبلاً والبكر لا تحبل البتة ما دامت بكراً.

17 ـ ومسافةٍ كمسافَةِ الْهجْرِ ٱلتقَتْ
في صَدْرِ باقي الحُزْنِ والبُرَحاءِ

يقول: ربّ مسافة قطعتُها وهي في الصعوبة والشدة على النفوس

والبعد بمنزلة مسافة الهجر عند العاشق المهجور.

18 ـ بيدٍ لنسْلِ الرّيحِ في إمليدها
ما شئتَ منْ عدوٍ ومنْ عدواءِ

البيد جمع بيداء وهي القفر ونسل الريح: الإبل، ويقال إنها خُلقت من الريح والعدو شدة السير، والعدواء: مشقته على النفس وعدوانه عليها، والعدواء أيضاً البعد والإمليد الأملس الذي لا شيء فيه؛ يقول: تلك المسافة في قفار للإبل في مستويها وأملسها ما شئت من شدة العدو وعدوائه.

19 ـ مزّقْتُ ثوبَ عُكوبِها بركوبِها
والنّارُ تنبع مِنْ حَصَى الْمَعْزاءِ

يقول: قطعت هذه المسافة ومزقت ثوب غبارها الذي تثيره الإبل لشدّة سيرها بركوب هذه المسافة وكان قطعي لها في الهاجرة وشدة الحر، والنار تنبع وتنبعث من حصى المعزاء لشدة حمى الشمس عليها، والمعزاء الأرض الصلبة ذات الحصى والعكوب: الغبار.

20 ـ بأبي محمّد امتحنت قصائدي
ورفَعْتُ للمسْتَنْشدين لِوائي
يحيى بن ثابت الذي سنّ النّدى
وحَوى المكارمَ مِنْ حياً وحَياءِ

يقول: أول ما رضت نفسي وامتحنت شعري في هذا الرجل فهو أول من مدحته حتى عرفت بالشعر فلما عرفت به وشهرت كنت كمن رفع لواءه فشهر موضعه فقصدني الناس يستنشدونني فأنشدتهم، . . .

وإلى ابن حسان اغتدت بي همّةٌ
وقفت عليه خلّتي وإخائي

يـا غـايـة الأدبـاءِ والـظرفـاء بَـلْ
يـــا سيـد الشعــراء والخُــطبــاء

يقول: أفضت بي همة إلى ابن حسان فوقفتُ عليه صداقتي وأخوتي فأنا لا آمل غيره ولا أعتمد سواه.

عرفت بكل الآداب مجملةً كَمـا
عُـرِفَت قـريشُ اللهِ بـــالبَـطْحـــاءِ

يقول: الآداب مجملةٌ لا يشذّ منها شيء عنك، كمـا أن قريشـاً جميعهم في مكة وبطحائها لا يعمرون من الأرض غيرها، وإنما أضاف قريشاً إلى الله تعالى لأنهم كانوا خدمة البيت الحرام وجيرانه.

ســاويتَهُمْ أدبـاً وجــودُكَ شـاهــدٌ
بَــلْ حــالِفٌ أَنْ لستُمُ بِسَــواء

يقول: ساويت الأدباء والظرفاء والشعراء والخطباء في الأدب وفضلتهم بالجود والكرم وجودك شاهد بل حالف أنك أفضلهم.

بِخــلائقٍ اسكنْتهــا خَلَد النّــدى
فـجـهدتَ منْهـا جهْـد كُـلّ بَـلاء

أي فضلتهم بخلائق من الجود والكرم اسكنتها نفس الثرى وإنما يعني نفس الممدوح فجهدت من تلك الخلائق كل جهد وأسكنت نفسك منها كل ندى.

لَمْ يبقَ ذو غــدرٍ لــريبِ ملمّــةٍ
إلّا وقــدْ ألْــجــمــتَــهُ بــوفــاء

يقول: كلما غدرت ملمات الزمان، وخـان ريبها الإنسـان شغلتها بالوفاء والمشاركة حتى لم يبق لها فم إلاّ وهو ملجم بوفائك ويكون أيضاً أن

الزمان كان غادراً فتعلم الوفاء من هذا الممدوح.

وإذا تشـاجَرت الخُـطوبُ قريتَهـا
رأيـاً يـفـلُّ مضـارب الأعـداء

يقول: إذا اختلفت الأمور وأشكلت صيرت لها رأيَك قرى أي قابلها برأي نافذ يفلّ حدّ العدو ويرد كيده والمضارب جمع مضرب وهو حد السيف.

رأي لـو استسقيتَ ماءَ نصيحـةٍ
لـجـعـلتَـه أرْيـاً مـن الأرآءِ

الأري: العسل، والأرآء جمع رأي؛ يقول: رأيه كالعسل في حلاوة موقعه من النفس والتشافي به، فلو كانت النصيحة ماء يستقى لظننت رأي هذا الرجل ـ إذا استسقيته إياه مستنصحاً ـ عسلاً من آراء.

لمـا رأيتـكَ قَـدْ غـذوتَ مـودّتي
بـالبشْـرِ واستَحْسنتَ وجْـهَ ثَنـائِي
انبـطتُ في قلبي لوأيـكَ مَشْرَعـاً
ظَلّتْ تحـومُ عليـهِ طَيْـرُ رجـائي

جعل البشر غذاء للمودة لأنه يؤكّدها ويحمل صاحب المودة على الرغبة في المودود وإضعاف مودّته له، ومعنى انبطت استخرجت، والمشرع: المورد من الماء. يقول: لما قابلتني بالبشر واستحسنت ثنائي عليك ووعدتني بالجميل من الفعل جعلت في قلبي مورداً من أجل وأيك، والوأي: الوعد، فظلت طيور رجائي تحوم على ذلك المورد، وهذا مثل وإنما يريد تمكن الرجاء من قلبه.

فثويتُ جاراً للحضيضِ وهِـمّـتي
قـد طُـوّقَتْ بكـواكبِ الجَـوْزاء

الحضيض أسفل الجبل؛ يقول: قد بسطت رجائي ومكنته حتى سمت همتي إلى السماء فطُوقت بكواكب الجوزاء أي صارت لها كالطوق فأنا وإن كنت في الأرض فهمتي في السماء.

إيهِ فدتكَ مَغارسي ومَنابتي
اطرَحْ غَناءَكَ في بحُور عنائي
يسّر لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلك إنّهُ
ينْوي افتضاضَ صنيعةٍ عَذْراء

قوله: إيه أي زدنا من عداتك الكريمة ونعمك الجزيلة، فدتك مغارسي أي أصولي من آبائي وأجدادي، ومنابتي أي فروعي وأبنائي واطرح غناءك أي نفعك وما أرجوه من نيلك، في بحور عنائي أي في كثرة عنائي، وضرب البحور مثلاً للكثرة ثم قال مقتضياً لعدته: يسّر لقولك مهر فعلك أي تمم العِدَة بالانجاز والقول بالفعل كما يتم النكاح بالمهر فإن قولك ينوي منك لي صنيعةً بكراً لم تسبق إلى مثلها يفتضّها كما تفتضّ الجارية البكر، وهذا كله مثل واستعارة.

ومن هذا المثال يتبين ما ذكرناه من اقتصار الأعلم على ما يقرّب المعنى، وإعراضه عن الروايات المختلفة، وتجنبه للإطالة إلا ما كان من بسطه بعض الشيء شرح بيت الجهمية، كما أن الشاهد الذي أورده ـ وهو بيت عمر بن أبي ربيعة ـ يعد من قبيل النادر الذي يقع له في هذا الشرح.

وبمقابلة شرحه لهذه القصيدة مع شرح التبريزي ندرك جملة من الفروق، منها استقلال الأعلم واعتماده على نفسه، بينما التبريزي يرجع إلى المعرّي والصولي والمرزوقي وغيرهم من شراح أبي تمام.

ولعلّ أبرز الفروق بين الشرحين يتمثل في اختلاف الرواية، وترتيب القصائد والأبيات أحياناً، مع اختلاف الألفاظ أحياناً، وقد أشرنا آنفاً إلى أن الأعلم وضع شرحه على النسخة التي شاعت في الأندلس والمغرب، وهي

برواية أبي علي القالي، وليس لها ترتيب معين، وإنما جمعت فيها قصائد أبي تمام منقولة من القراطيس التي كتبها الشاعر بخط يده، وأولُ هذه النسخة القصيدة التي مطلعها:

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما
وإن تعتب الأيام فيهم فربّما

وآخرها شعره في هجاء عياش بن لهيعة بعد موته:

لا سقيت أطلالك الداثرة
ولا أنقضت عثرتك العاثرة

وتوجد من رواية القالي هذه ـ كما أسلفنا ـ نسخ مخطوطة في الأسكوريال والخزانة الحسنية بالرباط وفي آخرها وثيقة ذكرنا نصها فيما سلف ونثبت صورتها في آخر هذا الفصل.

وفي أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السّادس قام الأديب البطليوسي محمّد بن رزق الله الأموي باختصار شرح الطبيخي، وقد تحدث عن هذا الاختصار ابن الأبّار فقال: «وله في شرح شعر حبيب بن أوس للطبيخي اختصارٌ أفاد بِه وأضاف إليه من غيره ما دلّ على مكانه من النّباهة رحمه الله»[69م] وقال ابن عبد الملك المراكشي: «واختصر شرح الطبيخي شعر حبيب اختصاراً حسناً، وأضاف إليه فوائد شهدت بنبله وسعة معرفته»[70] ويستفاد من هذا الكلام أن شرح الطبيخي كان مطوّلاً، وأن شرح ابن رزق الله جمع بين شرح الطبيخي وشروح غيره، وقد يكون المقصود بها شرح الصولي وشرح الأعلم وغيرها، وهذا الشرح مفقود اليوم، ولذلك فإننا لا نعرف نوع الفوائد التي أشار إليها ابن عبد الملك،

(69م) التكملة: 417.

(70) الذيل والتكملة 6 :199.

لقد كان ابن رزق الله أديباً ماهراً وكان تلميذاً ملازماً للشارح الكبير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي معاصرِ الأعلم ونظيره في شرح النصوص الأدبية.

4 ـ وعلى مستوى النقد الأدبي عرفت الأندلس وبلدان المغرب شيئاً من الحركة النقدية حول أبي تمّام وانتهى إليها بعض ذلك الصراع الأدبي الذي ظهر في المشرق حول الطائيين، فكان لأبي تمّام في الأندلس أنصاره، ونستطيع أن نعدّ منهم أولئك الذين عنوا بنشر شعره وشرحه من أمثال عثمان بن المثنّى ومؤمن بن سعيد وأبي عبدالله الغابي وأبي عبدالله ابن الأصفر وغيرهم، وكان للبحتري متعصّبون له، ومنهم عمر بن يوسف الحيطي (ت 338هـ) قال الزبيدي: «كان من أهل العلم بمعاني الشعر، حسن التكلّم فيه، وكان يتعصب للبحتري»[71] وهو شاعر مدح الناصر الأموي بجملة قصائد، ولا بدّ أن تعصّبه للبحتري جعله ينهج نهجه في الاسترسال مع الطبع والابتعاد عن الصنعة وهذا ما يفيده قول الزبيدي: «وكان شاعراً مطبوعاً مجوّداً»[72] ويبدو أن شعراء إشبيلية وغرب الأندلس كانوا في الجملة من أنصار البحتري وعلى مذهبه، قال ابن بسّام في الذخيرة «وطريقتهم في الشعر الطريقة المثلى التي هي طريقة البحتري في السلاسة والمتانة والعذوبة والرصانة»[73] وقد ذكر الزبيدي جماعة من شعراء إشبيلية في مطلع القرن الرابع ووصفهم بأنهم كانوا شعراء مطبوعين[74].

---

(71) الطبقات: 330 وكان مع تعصبه للبحتري يُقرىء شعر أبي تمام قال ابن الأبار في ترجمته: «حدث عنه أبو تمام غالب بن معمر التياني بشعر حبيب» التكملة رقم 2218 (ملحق) والحيطي وردت بالخاء في التكملة والذيل والتكملة وطبقات الزبيدي ويبدو أن صوابها بالحاء فقد لقبه شيخه الحكيم بذلك لتكرره عليه شتاءً وصيفاً في قميصين فهو إذن مثل الحَيْطي وهو في اصطلاح الأندلسيين والمغاربة عبارة عن الاستار التي تكون على الحيطان الداخلية للقبة أو الغرفة. انظر قاموس دوزى: 1 :337 والمراجع التي أشار إليها.

(72) الطبقات: 330.

(73) الذخيرة ق. 2 م. 1 :12.

(74) الطبقات: 301، 316، 332، 333.

وقد عرف أبو تمّام عند نقاد الأندلس والمغرب ـ كما عرف عند نقاد المشرق ـ بأنه شاعر الصنعة، وفسرها ابن حـزم بأنهـا «التأليف الجـانح للاستعارة في الأشياء والتحليق على المعاني والكناية عنها» قال: «ورب هذا الباب من المتقدمين زهير بن أبي سلمى ومن المحدثين حبيب بن أوس»؛ وتوسع ابن رشيق في شرح المطبوع والمصنوع من الشعـر، وأشار إلى مؤسس المصنوع صاحب الحوليات، واعتبر أبا تمّام زعيم الصنعة، ووازن بينه وبين البحتري فقال: «وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها، فأمّا حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً وكرهاً، يأتي للأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة، وأما البحتري فكان أملح صنعة، وأحسن مذهباً في الكلام، يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا تظهر عليه كلفة ولا مشقّة» ويظهر من كلامه أنه يتوسع في مفهوم الصنعة ولا يخلي شعر البحتري من قدْر محمود منها، ووازن أيضاً بين أبي تمام ومسلم فقال: «غير أنّا لا نجد المبتدىء في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعاً منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها ولأنهما طرّقا إلى الصنعة ومعرفتها طريقاً سابلةً وأكثرا منها في أشعارهما تكثيراً سهلها عند الناس وجسّرهم عليها على أن مسلماً أسهل شعراً من حبيب وأقلّ تكلّفاً» إن اهتمام ابن رشيق بأبي تمام في العمدة لايدانيه إلا اهتمامه بالمتنبي كما سنرى في الفصل القادم، فقد وقف طويلاً عند صنعته وتكلّفه واحتفاله بالمعنى وعدم مبالاته باللفظ، واشاد بجهارة ابتدائه وفخامته وروعته وأبهته، وساق أمثلة من ابتداءاته ومطالعه، وذكر إجادته في الرثاء، وضعفه في الغزل، وتبريزه في القصائد، وتقصيره في القطع، وانتقده حيناً ودافع عنه حيناً، ونبّه على اعتماده طريقة التصدير في صناعة قصائده أي أنه كان ينصب القافية للبيت ليعلّق الأعجاز بالصدور.

وأما ابن شرف القيرواني فيبدو من «مقامته الانتقادية أنّه كان يفضل البحتري على أبي تمام قال في البحتري: «وأما البحتري فلفظه ماء ثجّاج،

ودرٌّ رجـراج، ومعناه سراج وهاج، على أهدى منهاج، يسبقه شعره، إلى ما يجيش به صدره، يسرَ مراد، ولين قياد، إن شربتَه أرواك، وإن قدحته أوراك، طبع لا تكلّف يعيبه، ولا العناد يَثْنيه، لا يملّ كثيره، ولا يستكفّ غزيره لم يهف أيام الحلم، ولم يصف زمن الهرم» وقال في أبي تمّام: «وأما الطّائي حبيب، فمتكلّفٌ إلا أنه يصيب، ومتعب لكن له من الراحة نصيب، وشغله المطابقة والتجنيس، حبّذا ذلك أو بيس، جزل المعاني مرصوص المباني، مدحه ورثاؤه، لا غـزلـه وهجاؤه، طرفا نقيض، وخطتا سماءٍ وحضيض، وفي شعره علم جم من النّسَب، وجملة وافرةٌ من أيام العرب، وطارت له أمثال، وحفـظت له أقـوال، وديوانـه مقرو، وشعـره متلو»[75] وقد أورد البديعي هذين القولين وعقب عليهما بقوله: «والذي يشعر به كلام ابن شرف تقديم البحتري»[76] وهذا استنتاج صحيح وواضح، أما ابن بسام فقد ذهب إلى أن ابن شرف كان منصفاً في حكمه على أبي تمّام وقال «أما صفته هذه لأبي تمّام فصفةٌ لم يثن عِطْفَها حمية ولا تعلّقت بذيلها عصبية، حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلة، واعتمدها ملّة، فما آلمَ من أدّب وإن أوجع، ولا سبّ من صدق وإن أقْذَع»[77] وهذا كـلام يناقض آخره أوّلَه ويكشف عن رأي ابن بسّام في أبي تمّام ويخرج كلام ابن شرف من مقام التلميح إلى مقام التصريح.

وقد نسج أبو الطاهر السرقسطي في القرن السادس على منوال ابن شرف فألف مقامة في الشعراء وهي الموفية ثلاثين من مقاماته اللزومية، وفي هذه المقامة نجد أيضاً محاكمة لأبي تمام والبحتري جاءت كسابقتها لصالح البحتري قال على لسان بطل مقاماته السائب بن تمام محاوراً صاحبه الشيخ أبا حبيب: «قلت فالطائي الأكبر؟ فقال: نعم ما صنع وحبّر، وبئس

(75) الذخيرة ق 4 م 1 :206 - 207.

(76) الصبح المنبي: 104.

(77) الذخيرة ق 4 م 1: 207.

ما أفصح عن المعاني وعبّر، حتى أذّن في شعـر وكبّر، ومن التحسين والتنجيد، ما يزري بالمبرز المجيد، وقد أبى الناس إلا تقديمه، وإن مزّقوا بالنقد أديمه، ومن ذا الذي يخلص على الانتقاد، أو يسلم من الضغائن والأحقاد، أبو تمام حبيب بن أوس، يعدو عدو الأوس، ويغدو بكل نائل جزلٍ وأوس، ويدوس أقطار الكلام أي دوس، ويسير من الفصاحة بين عامر ودوس، وإنّه للعِدّ المَعين، والنجد المعين، يهدي إلى القول هداية، وما مثله ظئراً ولا داية.

قلت فالطائي الأصغر؟ قال: شحا فاه وفغر، وشاب في الاحسـان وأثغر، أبو عبادة وليد، طريف من الإبداع وتليد، منح البهجة والإشراق، وغذي النعمة والإيراق، أبو عبادة وليد ما وليد، يشب لإحسانه الأشيب والوليد، غفل عن إحسانه غافل، ورفل في أثوابه رافل، فرقرق من جرياله، وأطالَ من أذياله، خلع عليه الزمان ملاءة ربيعه، وكرع من الإحسان في جدوله وربيعه»[78].

وكما وازنوا بين أبي تمّام والبحتري وفضلوا أحدهما على الآخر ظهر بين نقادهم من فاضل بين أبي تمام والمتنبّي، وقد أشار ابن رشيق في العمدة إلى مناظرة أو موازنة لعلها لبعض المغاربة، واقتطف منها ما يلي:

«وقـال بعض من ناظـر بين أبي تمام وأبي الـطيب: إنّمـا حبيب كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها ويعطي المعنى حقّه بعد طول النظر والبحث عن البينة أو كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ويتحرّج خوفاً على دينه، وأبو الطيب كالملك الجبّار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده لا يبالي ما لقي ولا حيث وقع»[79] ومن أطرف موازنات الأندلسيين بين أبي تمّام والمتنبي هذه الموازنة المركبة، فقد كانوا

---

(78) مقامة الشعراء في المقامات اللزومية وهي المقامة الثلاثون.

(79) العمدة 1 :133.

يقولون: «ابن قزمان في الزجّالين بمنزلة المتنبّي في الشعراء، ومدغلّيس بمنزلة أبي تمّام بالنّظر إلى الانطباع والصّناعة، فابن قـزمان ملتفت إلى المعنى ومـدغليس ملتفت إلى اللفظ»[80] وقد «تبلورت» مـوازنـاتهم بين الشاعرين الكبيرين في رسالة أحمد بن لبال الشريشي التي سماها «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب» ويجد القارىء في الفصل الثالث من هذه الدراسة تعريفاً بمؤلِّفها وتحليلاً لمضمونها مع تحقيق لنصها.

5 ـ إن هذه العناية برواية شعر أبي تمام وحفظه وتدريسه وشرحه ونقدِه أدت في آخر الأمر إلى تأثيره في الحركة الأدبية والشعرية بالأندلس وبلدان المغرب ويتمثل هذا التأثير على الخصوص في مظهرين:

أ ـ أولهما يتجلّى في المعارضة التي أصبحت ظاهرةً عامة في شعر الأندلس والمغرب[81]، ويمكن القول بأنّ مُعارضة أبي تمّام بدأت مع جيل ابن عبد ربّه، فقد حذا هو وشعراء عبد الرحمن الناصر حذو أبي تمّام في بناء القصيدة ولا سيما قصيدة المدح التي يشتمل القسم الأخير منها على نعت القصيدة ومدحها، ويعتبر أبو تمّام الشاعر المبرز في هذا المنحى كما يقول الشريشي في شرح المقامات[81م]، وقد أعجب ابن عبد ربه بشعر أبي تمام في وصف القلم وعارضه بشعر له في الموضـوع نفسه[82]، وأورد مختارات من شعره في العقد الفريد وكان استشهاده به في مختلف أغراض كتابه وموضوعاته يدل على حفظه وتمثّلِه كما يدلّ على أنّه غدا مألوفاً في البيئة الأدبية الأندلسية يومئذ.

---

(80) نفح الطيب 3 :385.

(81) من أبرز الأمثلة على ظاهرة المعارضة في الشعر الأندلسي مثال الشاعر عبد الرحمن بن أبي الفهد الذي كان فيما يقول الناقد ابن شهيد «من أشعر من أنبتته الأندلس أو وطىء ترابها بعد أبي المخشي أولاً وأحمد بن دراج آخراً» فهذا الشاعر «لم يكد يبقي شعراً جاهلياً ولا إسـلاميـاً إلاّ عارضه وناقضه» جذوة المقتبس: 258.

(81م) شرح المقامات 3 :159 نشر د. عبد المنعم خفاجي.

(82) العقد 4 :193.

ومن قصائد أبي تمام التي عارضها الأندلسيون البائية المشهورة:

السّيف أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ
في حَدّه الحدُّ بيْنَ الجدِّ واللعِبِ

فقد كانت وما تزال من شعره المشهور المحفوظ، وبها مثّل المعتمد ابن عَبّاد عندما فخر بشعره فقال مضمّناً مطلعها:

فهاكَها قِطْعةً تَطْوي لَها حَسَداً:
«السّيفُ أصدَق أنباءً من الكُتب»[83]

وكانت كتب الفتوح في الأندلس والمغرب تُصدَّر بقول أبي تمّام في هذه القصيدة:

فتحٌ تفتحُ أبوابُ السّماء لَهُ
وتبرز الأرْضُ في أثْوابِها القُشُبِ[84]

ولعلّ أشهر من عارضها من شعراء الأندلس والمغرب هو الشاعر المدعو بالأصم المرواني، وذلك بقصيدته في مدح عبد المؤمن وتهنئته بفتح جبل طارق، ومطلعها:

ما للعدى جُنّةٌ أوقى من الهَرَبِ
أيْنَ المفرُّ وخيلُ اللّهِ في الطّلَبِ[85]

وهي مثل العمّوريةِ جوّاً ومناسبة، ولا تقصر عنها حوكاً وجودة، وقد توارد فيها بحكم الموضوع والقافية مع أبي تمّام في بعض القوافي؛ ومن المعروف أنه لا غنى للشاعر اللاحق عن أن يشترك فيها عند المعارضة مع

(83) الذخيرة ق 2 م 1 :68.

(84) انظر على سبيل المثال: المن بالإمامة: 277 والاستقصا 2 :112.

(85) المن بالإمامة: 160 - 164.

الشاعر السابق كما يقول أبو تمام:

أَمَّا الْمعاني فَهْي أبكارٌ إذَا
نُصَّتْ ولكنّ القوافِيَ عُونُ

ومعنى الشطر الأخير أن القوافي يشترك فيها الشعراء مثل قوله: «فحواكَ عين على نجواك يا مذلُ» تشترك قوافيها وقوافي قصيدة الأعشى التي أولها: «ودّعْ هريرةَ إنّ الركبَ مرتحلُ» ألا ترى إلى قوله: «وهل تطيق وداعاً أيها الرجل» وإلى قول الطائي: «من أن يذال بمن أو وممن الرجل»[86].

ومن أبيات قصيدة الأصم التي نجد لها نظيراً في المعنى والقافية في البائية الأم قوله:

ويُلبسُ الدينَ غضّاً ثوب عِزّته
كأن أيامَ بدرٍ عنهُ لم تغِب
تدبيرُ مَنْ قارعَ الأيّامَ واختلطَتْ
آراؤُه في الْوَغى بالسُّمْر والقضُب
إن آبَ من غزوةٍ أفنتْ أعاديَهُ
كانَ الإيابُ لأخرى أعْظَم النَّسَبِ
سَما إلى الشّرفِ الأقْصى بهِمّتِه
دينٌ مريحٌ وعزمٌ دائمُ التّعَبِ

يقول أبو تمام في تصوير ذعر العدو وفزعه وفراره:

ولّى وقد ألْجمَ الخَطّيُّ منطِقَه
بسَكْتةٍ تحتَها الأحشاءُ في صَخَبِ

---

(86) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي 3 :330

أحْذَى قرابينَه صرفَ الرّدى ومَضى

يحتثّ أنْجي مطاياه مِن الهَـرَبِ

مُـوَكّـلاً بيَفـاعِ الأرْضِ يشْـرِفُـهُ

منْ خِفّة الخوف لا مِنْ خِفّة الطربِ

إن يعْدُ منْ حَرِّها عدوَ الظّليم فَقدْ

أوسعتَ جاحِمَها مِنْ كثرةِ الحَطَب

ويقول الأصم المرواني في المعنى نفسه:

ما للعِدى جُنّـةٌ أوْقى من الهَرَب

أينَ المفرُّ وخيلُ اللهِ في الطّلَبِ

لَـوْ بـدّلـوا قَـدماً زلّتْ بقـادمَـةٍ

لأَصْبحَ الكُلّ طيّـاراً منَ الرُّعُبِ

وأيْنَ يذهبُ مَنْ في رأسِ شاهقَةٍ

إذا رَمَتْـهُ سمـاءُ الله بـالشُّهُـبِ

ولو وازنّا بين القولين لرأينا كيف سما الأصم إلى مستوى سابقه، وحاول اللحاق به، وإذا كان أبو تمّام خَلّى بين الأعداء وبين الهَربِ فإن شاعرنا لم يقنع منهم بالفرار، على ما فيهِ من وصمة العار، بل سدّ عليهم المنافذ، وأحكم من حولهم الحصار، ولم يبق لهم إلا فرصة واحدة هي مهانة الاستسلام ومذلة الاستئسار:

ألقتْ إليك بأيدي الذلّ خـاضعَةً

ومكّنتـكَ من المسْلوب والسّلَبِ

سـارَ العُلوجُ وفي أعنـاقِهمْ مِنَنٌ

منْ عَفْـوِ مُقتـدرٍ للغـزْو مُنْتـدَبِ

مدّو الأكفَّ للَمْس النّجمِ من فَرَحٍ
وشَمّروا لوُثوب البَحْرِ منْ طَرَبِ

وقد وصل إلينا تخميسٌ لأشْطارِ القصيدة العمورية من صنع الشاعر المترسّل أبي عبدالله ابن أبي الخصال[87]، وهو يعكس الافتتان بهذه القصيدة التي غدت نموذجاً «كلاسيكياً» يترسم ويحتذى.

وأوله:

الحمـدُ لله أضحْى الدين معْتليـا
وباتَ سيفُ الهُدَى الظمآنِ قدْ رَويا
إنْ كنتَ ترتاحُ للأمر الذي قُضيا
فَسلْهُ نشرْاً ودعْ عنكَ الذي طُويا:
فالسيفُ أصدق أنبـاءً من الكتب»

ومن أطرف المعارضات لهذه البائية المشهورة قول ابن الخطيب يهجو خصمه النُّباهي:

يا كوكبَ النّحْس منْ قُرْبٍ على الْحِقَب
تلْكَ الذُّنابَى أَتَتْ بِالْحَرْبِ والْحَرَبِ
لَمّـا رأينـاكَ حقّقنــا الّـذي وَصَفــوا
لِلنّاسِ مِنْ حدَثــانٍ جاءَ في الكُتُبِ
إذْ قــالَ شــاعــرُ طيٍّ في قصيـدتِـهِ
وهــو المقلّدُ في عــلمٍ وفي أَدَب:
«وَخَــوّفـوا النّـاسَ مِنْ دَهْيَـاء داهيـةٍ
إذا بدا الكوكبُ الغَرْبيّ ذو الذّنَبِ»[87م]

---

(87) تاريخ الأدب الأندلسي للدكتور إحسان عباس 2: 247.

(87م) نثير فرائد الجمان: 252 تحقيق د. الداية.

وفي ديوان ابن زيدون مرثيتان رائيتان إحداهما في رثاء أبي الحزم ابن جهور أولها:

«أَلَمْ تَرَ أنّ الشمسَ قد ضُمِّنَها القبرُ» وآلثانية في رثاء أم أبي الوليد ابن جهور، ومطلعها: «هُو الدّهرُ فاصبر للّذي أحْدَثَ الدّهْرُ»[88] ويبدو أنه نسَجَهما على منوال مرثية أبي تمّام المشهورة:

كَذا فليجلّ الخَطْبُ وليفْدَح الأَمْر
فليسَ لعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

وتظهر محاكاة ابن زيدون في مثل قوله في الأولى:

وما الرُّزءُ في أن ودَع التّربَ هالكٌ
بل الرّزءُ كلُّ الرُّزْء في أن يهْلِكَ الأجْرُ

فهو يدعو إلى استحضار قول أبي تمام:

غَـدا غُدوةً والحمـدُ نسْجُ ردائِـه
فَلَمْ ينصَـرِفْ إلاّ وأكْفانُـه الأَجْـرُ

وكذلك قوله في القصيدة الثانية:

هُو الضَّيمُ لَوْ غَيْرُ القَضاءِ يـرومُه
شَآه الْمَرامُ الصّعْبُ والمَسْلكُ الوَعْرُ

يذكرنا بقول أبي تمّام:

وقد كان فوْتُ الموتِ سَهلاً فردّهُ
إليهِ الحفاظ المُـرُّ والخُلُق الوعْـرُ

ونلمس شيئاً من المعارضة لقصيدة أبي تمّام:

---

(88) انظر ديوان ابن زيدون: 36 - 41، 152 تحقيق محمد سيد كيلاني.

الحقُّ أبلجُ والسُّيوفُ عوار
فحذارِ مِنْ أسَد الْعرين حَذارِ

في قصيدة الشاعر المغربي أبي العباس الجراوي التي مطلعها:

أَعْليتَ دينَ الْواحِدِ القهّار
بالْمَشْرَفِيةِ والْقَنا الخَطّارِ[89]

وقد كانت مدائح أبي تمّام مثالاً مفضّلاً لدى شعراء المديح في عصر الموحّدين كابن حبوس والجراوي ومما يدلّ على ذلك هذه الرؤيا التي تتصل بيعقوب المنصور ويشير إليها الجراوي في آخر قصيدة له في مدحه إذ يقول

رُؤْيا لأَمرِكُمُ العَلِيّ بِعِزِّهِ
تَقْضي وطولِ بقائِه مُتجدِّدا
أَضْحى «حَبيبٌ» كاسمه لَمّا غدا
لِيَ في الْمَنامِ عَلَى آمْتداحِكَ مُنْجدا
أَوْصى إليّ فَقُمْتُ غَيْرَ مُضَيّع
لِوَصاتِهِ عَنْهُ وَعَنّي مُنْشدا

وقد ورد في التمهيدِ لهذه القصيدة أنّ لها خبراً عجيباً يذكر في آخرها[89م].

وعارض بعض شعراء الأندلس رائية أبي تمّام في وصف الربيع:

رقّت حَواشي الدّهرِ فهْي تَمَرْمَرُ
وغدا الثّرى في حَلْيه يتكسّر

(89) البيان المعرب: 46 - 47 (القسم الموحدي) ط. تطوان.

(89م) حماسة البياسي (مخطوطة).

فقال ابن نصير الكاتب:

انـظرْ نَسيم الـزّهـرِ رقّ فـوجهُـهُ
لـكَ عن أسـرّتـه السّـريـة يَسفِـر

خَضِلٌ بريْعـانِ الرّبيـع وقد غَـدا
للعين وهْـوَ من النّضـارة مَنْـظر

وكـأنمـا تلكَ الـريـاضُ عـرائسٌ
ملبـوسُهن مُعـصفـر ومـزعْـفَـر

أو كـالقيانِ لبسْنَ مَـوْشِي الحُلى
فلهنّ من وَشْي اللبـاس تبَخْتُـرُ[90]

وقد نظر في البيت الثاني إلى قول أبي تمام:

دنيـا معـاشٌ للورى حتى إذا
حَـلَّ الـربيـع فـإنّمـا هي منـظر

كما أن التشبيه في البيت الثاني يذكّر بتشبيه أبي تمّام:

مـصفـرّةٌ مـحـمـرّة فكـأنّـهـا
عُصَبٌ تَيمّنُ في الـوغى وتَمضّـر

وإذا كان أبو تمّام قد انتزع صورته من تراث العرب. وأيامها وراياتها المضرية الحمراء واليمنية الصفراء لقرب العهد بذلك وسهولة تهدي الناس يومئذ إليه فإن الشاعر الأندلسي استعمل التشبيه نفسه ولكنه قربه إلى أهل عصره وعامة قرائه وأخذه من لونين مألوفين هما لون العصفر الأصفر ولون الزعْفران الأحمر؛ وَحذا ابن قَلّبيل البجّاني حذو أبي تمّام أيضاً في هذه القصيدة فقال من أبيات:

---

(90) جذوة المقتبس: 369 - 370، 383.

ضحـكَ الربيـعُ بـرَوْضـةٍ وسميـةٍ
وافتــرّ عن روضٍ أنيقٍ يــزهِــرُ
فكــأنــهُ زُهْــر النّجـوم إذا بـــدا
وكـأنّها في التـرب وشْيٌ أَخْضَـرُ
وكأنّ عَرف نسيمِها عند الصّبا
عَرْفِ العَبير يفوح فيه العَنْبَرُ[91]

وقد علق د. إحسان عباس على تأثّر الأندلسيين بأبي تمّام في مجال وصف الطبيعة قائلاً: «ومن أغرب الأمور أن يكون شعر أبي تمّام محرّكاً في وصف الطبيعة وأنموذجاً للأندلسيين في هـذا المقام»[92] ولكن الـدكتور البهبيتي يرى أن وصف الطبيعة هو «من أهمّ ما سار فيه الشعر قدماً على يد أبي تمام»[93] ويقول الدكتور شوقي ضيف: «ولعلّ من الطريف أنه وقف بعض مقدماته على وصف الطبيعة»[94].

أما سينية أبي تمام المشهورة في مدح المعتصم: «ما في وقوفكَ ساعةً من باسِ» فقد كانت من محفوظ شعره المشهور، وقد ساقها من حفظه المحدّث ابن دحية في كتابه النبراس[95]. ونجد لابن عبد ربّه شعراً في وزنها ورويها وموضوعها يمدح فيه القائد أبا العباس، ومنه قوله:

الـلهُ جــرّد لـلنــدى والــبــاسِ
سـيفــاً فـقـلّده أبــا الـعَـبْــاسِ
ملكٌ إذا استقبلتَ غــرة وجْهِــه
قبضَ الـرّجاءُ إليـكَ روحَ الياسِ

(91) المصدر نفسه: 366.
(92) تاريخ الأدب الأندلسي 1 :111 ط. 2.
(93) تاريخ الشعر العربي: 499. ط. دار الكتب المصرية 1950.
(94) تاريخ الأدب العربي 3 :28 ط. 2.
(95) النبراس: تحقيق عباس العزاوي، وهبة الأيام للبديعي

وجــهٌ عليـه من الحيــاءِ سكينـةٌ
ومحبّــةٌ تجـري مــع الأنْفــاسِ
وإذا أحبّ الله يــومــاً عــبــدَهُ
ألْقى عليـه محبّـةً للنّـاسِ (96)

وبهذا البيت الأخير تسامى ابن عبد ربّه إلى رتبة أبي تمام في إرسال ما يُتمثّلُ به من الشعر؛ وفي ديوان الأعمى التطيلي سينية مطلعها:

شِعْـري وجودُكَ يـا أبـا العَبّـاسِ
مَثَـلانِ قَدْ سـارا بنـا في النّـاس

ويبدو أنه حذا فيها حذو أبي تمّام، ونظم شاعر مغربي من أهل القرن العاشر الهجري هو محمد بن إبراهيم الفاسي قصيدة في معارضة سينية أبي تمام أيضاً ومطلعها:

أسَقيط طَــلٍّ في حــديقــةِ آس
أَمْ ذا حَبـابٌ دارَ فـوقَ الكـاسِ

وقد ضمّنها مطلع أبي تمّام فقال:

طـارَ الفؤادُ بِهـا فقـالَ وقـارُهـا:
«ما في وقوفك ساعة من باسِ» (97)

وفي ديوان ابن الزقّاق قصيدة يبدو أنه عارض فيها أبا تمّام وهي القصيدةُ التي مطلعها:

قفا نَقتبسْ مِنْ نور تِلْكَ الرَّكائب
فَما ظَعنَتْ إلّا بزُهر الكَواكبِ (97م)

(96) العقد 1 :269.

(97) ريحانة الألبا: 131 المطبعة الوهبية 1294 هـ.

فهي محاذية لقصيدة أبي تمام:

عَلى مثلِهـا من أرْبُـعٍ ومـلاعِبِ
أذيلَتْ مَصوناتُ الدّموع السواكب

ونجد لشعراء أندلسيين ومغاربة آخرين قصائد على وزن بعض قصائد أبي تمّام ومن بحرها وقافيتها، وإذا لم تكن نية المعارضة فيها حاصلة والقصد إليها قائماً فإن استحضارها يفضحه تضمين بيت أو اقتباس شطر من النموذج المحكي كقول المعتمد في آخر شعر له:

فَهاكَها قِطعةً تَطوي لها حسـداً:
«السيفُ أصدق إنباءً من الكتب»(98)

وقول ابن اللبّانة في شعر له:

حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ لقولِهِ:
«عَسى وطنٌ يدنو بِهِمْ ولَعَلّما»(99)

وضمّن الشطر نفسه ابن صارة في آخر أبيات له إذ يقول:

وأزمـــع يــأســاً ثم أذكــرُ أنّنـي
بحضرة أزكى الناسِ فرعاً ومنْتَمى
فــأرتقب العتـبى وأشـــدو تـعلّلاً
«عسى وطن يدنو بهم ولعلّما»(100)

وضمَّنَ الأعمى التّطيلي شطر بيت لأبي تمام فقال:

---

(98) الذخيرة ق 2 م 1: 68.

(99) المصدر نفسه ق 2 م 1: 78.

(100) قلائد العقيان: 303 ط. باريس المصورة في تونس.

نهجت سبيل المجد من بعد ما عفَت

«ومحّتْ كما محّتْ وشائع من بُرْدِ»[101]

ويقول عبد الرحمن بن سليمان البلوي من قصيدة مدحية له مضمّناً بيتاً لأبي تمام:

وقد اخلَقَتْ أثوابُ عبدكَ وانطوَى

على جمــرةٍ في صــدره تتلَهّبُ

«وأنت العليمُ الـطبُّ أي وصيـةٍ

بها كانَ أوصى في الثياب المهلّبُ»[102]

وكتب أبـو الحسن بن أضحى إلى بعض أصحـابه معتـذراً بهذين البيتين:

ومستشفعٍ عنْديْ بخَيْر الوَرى عِنْدِي

وأولاهمُ بـالشُّكْـر منّي وبـالحَمْـدِ

وصلتُ فَلَمّـا لَمْ أقُمْ بجَـزائِــهِ:

«لَفَفْتُ لَهُ رأسي حَياءً من المَجْدِ»[103]

إن معارضة قصائد أبي تمام المقصودة وغير المقصودة وتضمين أبياته وأشطاره شيء لا حصر له وما قصدنا إلاّ التمثيـل ببعضـه والتدليل على تأثيره.

ب ـ والمظهر الثاني أن شعر أبي تمام كان ـ كعامة الشعـر القديم والمحدث ـ من المحفوظ الذي تجري ألفاظه ومعانيه على ألسنة الشعراء

(101) ديوان الأعمى التطيلي: تحقيق د. إحسان عباس.

(102) جذوة المقتبس: 254.

(103) نفح الطيب 4 :163.

وأقلام الكتاب في الأندلس والمغرب وكانوا لا يستطيعون التخلّص من تأثيره حينما يكتبون أو يشعرون، ومن هنا نجدهم يقعون على مَعانٍ وصورٍ وصيغ سبق إليها أبو تمّام، وقد شغل بعض دارسي الأدب وشراح الشعر بهذا الموضوع في الأندلس وتناولوه في إطار السرقات، وهو الأسلوب المعْهود في الدرس الأدبي يومئذ، ومنحاهم في هذا الأسلوب مختلف، فمن معتدل كابن دحية وابن بسام الذي يقول: «ولست أقول أخذ هذا من هذا قولاً مطلقاً، فقد تتوارد الخواطر، ويقع الحافر على الحافر، إذا الشعر ميدان والشعراء فرسان» ومن متشدد كابن حزم إذ يقول: «والذي ذكره المتكلمون في الأشعار من الفصل الذي سموه المواردة وذكروا أن خواطر الشعراء اتفقت في عدة أبيات فأحاديث مفتعلة لا تصح أصلاً ولا تتصل، وما هي إلا سرقات وغارات من بعض الشعراء على بعض».

وتواردُ شعراءِ الأندلس والمغرب مع أبي تمام ونظرهم إلى معاني شعره كثير نحيل في مجموعه على ذخيرة ابن بسّام وقراضة الذهب لابن رشيق والرائق أو شرح المختار من بشار وشرح المقامات للشريشي وشرح مقصورة حازم للشريف السبتي وغيرها، ونكتفي هنا ببعض الأمثلة منها، فقد ذهب ابن بسام إلى أن ابن زيدون استوحى قوله:

بني جهورٍ أحرقتم بجفائكم
جَناني فما بالُ المدائح تعبَقُ
تعُدونني كالمندل الرّطْب إنما
تطيب لكم أنفاسه حين يُحْرقُ

من قول أبي تمّام:

لولا اشتعال النار فيما جاوزَتْ
ما كانَ يُعرفُ طيبُ عَرْفِ العود(104)

(104) الذخيرة ق. 1 م. 1 ص 354.

وأن قول الشاعر المذكور:

ويـذكرني العقـدَ المـرنّ جُمـانُـه
مُرِنّاتِ وُرْقٍ في ذرى الأَيْكِ هُتّفُ

منسوخ من قول أبي تمام:

وبـالحلْي إن قامتْ تـرنّمَ فـوقَها
حَماماً إذا لاقى حَماماً تَـرَنّما[105]

وأن قوله أيضاً:

ومحـاسنٌ تنْـدَى رقـائقُ ذِكْـرِهـا
فتكـادُ تـوهِمُـكَ المـديـحَ نَسيبـا

قريب من قول أبي تمّام:

طـابَ فيـهِ المـديـحُ والتـذّ حَتّى
فـاقَ وصفَ الديـارِ والتشبيبـا[106]

ولمّا أورد ابن بسام قول ابن حصن الإشبيلي:

فقلْتُ صِلي قدْ ضِقتُ ذرعاً بهجرِكُمْ
فقالتْ صَهٍ قدْ ضِقتُ ذرعاً بدملُجي

قال: «وهذا المعنى مشهور، وهو في شعرهم كثير إلاّ أنـه غَوّره وأبعدَه، وأوعز لفظَه وعقّدَه، والذي إليهِ أشار، وعليه دار، قولُ أبي تمّام:

يعنّفني أن ضِقـتُ ذرعـاً ببـينِـه
ويجْزَع أن ضاقتْ علي خلاخِلُه[107]

---

(105) المصدر نفسه ق. 1 م. 1: 377.

(106) المصدر نفسه ق. 1 م. 1: 382.

(107) المصدر نفسه ق. 2 م. 1 ص 170.

والأمثلة من هذا القبيل في الذخيرة متعـدّدة، ولا أريدُ أن أطيـل بتتبعها.

وكان حازم القرطاجنّي متملّئاً من شعر أبي تمام، ويظهرُ أثر محفوظه على لسانه من حين لآخـر في مقصورته، يقول:

جيشٌ جيـوشُ الرُّعْب من قُـدّامِهِ
تَسْـري وتغزو قبلَهُ مَنْ قـدْ عَـزا

وهو كما يقول شارح المقصورة من قول أبي تمام:

لم يغْزُ جَيْشاً ولم ينهَدْ إلى بلدٍ
إلّا تقــدّمَــه جيْشٌ من الــرُّعُب

ويقول حازم أيضاً:

وَكُـلّ نِضْوٍ فـوقَ نِضْوٍ قـد رَعتْ
منهُ الْفَلا مـا كانَ مِنْهـا قَدْ رَعَى

وهذا قول أبي تمّام بعينه:

رعتـهُ الفَيافي بعـدما كـانَ حقبـةً
رَعاها ومَاءُ الرَّوض ِ ينهَلُّ ساكِبُـهْ

ويقول حازم في المقصورة كذلك:

أضحتْ بـه صُلْعُ الـرُّبَى معتَمّـةً

وهو من قول أبي تمام:

حتّى تعمّمَ صلع هامات الرّبَى[108]

---

(108) رفع الحجب المستورة 1: 89، 2: 8، 33 - 34.

وقد تتبع الشريف مثل هذا في شرحه المذكور، ونجد نحـو هذا الصنيع عند الشريشي في شرح المقامات، فهو يناظر كثيراً بين أشعـار الأندلسيين وأشعار سابقيهم من المشارقة في المواضيع المشتركة وذكر في هذا السياق أمثلة من معاني الأندلسيين التي نظروا فيها إلى أبي تمّام[109].

ولم يكن شعراء المغرب الكبير أقلّ تأثّراً من الأندلسيين بأبي تمّام، وقد ظهر أثره على الخصوص في شعراء القرن الخامس الهجري حين بلغ الازدهار الشعري قمته بالقيروان، ومن أبرز هـؤلاء الشعـراء المتأثـرين بطريقة أبي تمّام إبراهيم الحصري، وفيه يقول ابن رشيق:

«وكان شاعراً نقّاداً عالماً بتنـزيل الكـلام، وتفصيل النـظام يحسن المجانسة والمطابقة، ويرغب في الاستعارة، تشبّهاً بأبي تمّام في أشعاره متتبّعاً لآثاره، وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته لجرى جري الماء، ورق رقة الهواء» ومنهم عبد الرزاق بن علي النحوي الذي وُصِف بـأنه «صَناعُ أحيا سنن أبي تمّام» ولو وصل إلينا «الأنموذج» لابن رشيق لَلَمسنا ما كان لأبي تمام من أثر في أولئك الشعراء، ومع ذلك فإننا نجد شيئاً منه من خلال العمدة والقراضة ورسـالة الانتقـاد والرائق بـأزهار الحـدائق وزهر الآداب، ففيها شواهد متعدّدة على انتشار شعر أبي تمّام وتأثيره في بيئة القيروان الأدبية، ولذلك يقول ابن شرف في رسالة الانتقاد: «وديوانه مقرو، وشعره متلو» وقد أشرنا فيما سبق إلى بعض شعراء بجاية الـذين كانـوا يترسّمون طريقة أبي تمّام في القرنين السادس والسابع الهجريين.

6 ـ وثمة مستوى آخر لذيوع شعر أبي تمّـام وهو يتجلى في هـذه الأبيات المبثوثة في ثنايا الرسائل الإخوانية والديوانية وفي تضاعيف الكتابة الأندلسية والمغربية على العموم، وهذا باب كبير لا سبيل إلى تتبّعه.

وسأكتفي بما ورد في رسائل الذخيرة والقلائد، فمن ذلك الأبيات الآتية:

---

(109) انظر على سبيل المثال جـ 1 ص 125.

ـ يَحْميهِ لألاؤه ولَوْذعيتُه
مِنْ أن يُذالَ بمَن أو ممّن الرّجُلُ[110]

ـ وإذا امرؤٌ أسدى إليكَ صنيعةً
مِنْ جاهِهِ فكأنّها مِنْ مالِهِ[111]

ـ أرضُ الفِلاحَةِ لو أتاها جَرْوَلٌ
أعْني الحطيئةَ لاغتدَى حَرّاثا[112]

ـ له كبرياءُ المُشْترِي وسُعودُه
وسَطوةُ بهرامٍ وظَرْفُ عُطاردِ[113]

ـ إن نفترقْ نسباً يؤلّفْ بَيْنَنا
أدبٌ أقمناهُ مَقامَ الْوالِدِ[114]

ـ وإذا امرؤٌ أسْدَى إليك ضيعةً
مِنْ جاهِهِ فكأنَّها من مالِه[115]

ـ وإنَّ صريحَ الرأي والحزم لامرئٍ
إذا بلغَتْه الشمسُ أن يتحوّلا[116]

ـ إذا ما امرؤٌ ألقَى إليكَ برَحْلِه
فقدْ طابَتْهُ بالنجاحِ مَطالبُهْ[115م]

(110) الذخيرة ق. 1 :672.
(111) المصدر نفسه. ق. 1: 344.
(112) المصدر نفسه. ق. 1: 838.
(113) المصدر نفسه. ق. 2: 117.
(114) المصدر نفسه. ق. 2: 777.
(115) المصدر نفسه. ق. 1: 344.
(116) المصدر نفسه. ق. 2: 115.
(115 م) المصدر نفسه ق. 2 م 2: 252.

- يــا أَسَــد المــوتِ تَخلّصْتَــهُ
مِنْ بين لحَـيْـي القــاصــرَة[116م]
- عبــأ الكمينَ لـه فــظلّ لحينِهِ
وكمينُــهُ المُلْقى عليــهِ كَميـنُ[117]
- كــان الــذي خفتُ أن يــكــونــا
إنــا إلــى الله راجِــعــونــا[118]
- نَسيبيَ في رأيـي وعلْمي ومذْهَبي
وإن باعَدتْنا في الأُصولِ المـذاهبُ
- وأثبـتَ في مُسْتنقَع الموتِ رِجْلَهُ
وقالَ لها مِنْ تحتِ أَخْمصِكِ الْحَشْرُ

وكان الشعراء والكتاب في ذلك الزمان يكتفون بالتلميح إلى بعض شعره ليعرفه الناس إذ كان مُتَداولاً بينهـم محفوظاً عندهم، ولذلك يقول الكاتب أبو بكر عبد العزيز ابن القبطورنة في آخر رسالة له إلى بعضهم: «وأهديك وداداً مزج باشتيـاق، وأقرئـك سلامـاً ينسي سلام حبيب على الحسن بـن وهب والعراق»[121] وجاء مثل هذا في آخر رقعة أخرى كتبها إلى الشخص نفسه: «وأقرأُتُكَ مِن أثناء تلك الـدولة والآفـاق، سلام حبيب على الحسن بن وهب والعراق»[122] والإشارة فيهما إلى قول أبي تمّام:

ســلامٌ تــرجفُ الأَحشــاءُ منْــهُ
على الْحسَنِ بْنِ وهْبٍ والْعِــراقِ

(116 م) المصدر نفسه ق. 2 م. 1: 334.
(117) المصدر نفسه. ق. 2: 254.
(118) قلائد العقيان: 65.
(119) المصدر نفسه: 225.
(120) المصدر نفسه: 243.
(121) الذخيرة ق 2 م 2: 761.
(122) المصدر نفسه ق 2 م 2: 755 - 756.

ويقول سعيد العروضي:

يــا بَني مَعْنٍ لقَدْ طَـابتْ بكُمْ
شـجَـرٌ لـولاكـمُ لَـمْ تُـورقِ

لَـوْ سَـقى حَسّـان إحسـانكُمْ
مـا بـكَى نَـدْمـانَـه فـي جلّقِ

أَوْ دنـا الـطّائي مِـنْ حَـيّكُـمْ
ما حدا البَـرْقُ لرَبْـعِ الأبرق[123]

وهو يشير في البيت الأخير إلى مطلع قصيدة أبي تمام:

يـا بـرقُ طـالعْ منـزلاً بـالأبـرَقِ
واحـدُ السَّحابَ لَـهُ حُداء الأَيْنُقِ

وقد وجدنا المؤرخ ابن حيان يستشهد بشعر أبي تمام ويحل شعره في نثره ويلمّح إلى بعض أبياته تلميحات تخفى أحياناً على بعض محققي نصوصه كقوله يصف ما صنعه ابن رشيق المرسي بالشاعر الوزير ابن عمار: «فلم يزل يطلع عليه من الثنايا والشّعاب، حتى أخرجه من مرسية لا كالشهاب» فقد حذف دوزى كلمة لا بينما أثبتها الدكتور حسين مونس كما وردت في الأصل وهو الصحيح، ولكنهما لم يذكرا أنه يشير إلى قول أبي تمام:

فخرَجْتَ منها كالشهابِ ولمْ تزَلْ
مُذْ كُنتَ خرّاجـاً من الغمّاء[123م]

6 ـ إن إعجاب الأندلسيين الشديد بأبي تمام ولّد ردود فعل سلبية أحياناً لدى بعض شعرائهم، وقد ذكرنا قول المعتمد:

---

(123) المصدر نفسه ق 3 م 2: 872.

(123م) انظر الحلة السيراء 2: 135.

فَهاكَها قطعةً تَطوي لَها حَسـداً:
«السّيفُ أصدَقُ إنباءً من الكُتُبِ»(124)

وفخر إدريس بن اليمان بقصيدة له فقال:

ولـــو خـــطرت بحبيب بن أوسٍ
طَوَى كُلّ ما حاكَهُ في المُعْتصِمْ(125)

ويقول أبو عبدالله اللوشي مادحاً قطعة للشاعر ابن السقاط:

فـــاتَتْ حبيبـاً لَنْ يفـــوهَ بمِثلِهـــا
وأتتْ بِما يُزري بنُبْلِ البحْتُري(125م)

ومثله قول إبراهيم الساحلي مفتخراً بقصيدته:

وَقَفَ ابنُ أوسٍ دونَها وتخضّبَتْ
في نسْجِ حُلّتها أكفُّ البُحْتُري(126)

وبمدح أبو بحر يوسف بن عبد الصمد بلاغة أبي بكر بن زيدون فقـال:

فـــإنْ زَهَّـــدْتَ طيّـــاً في حَبيـــبٍ
فقدْ زهّدتَ في كَعْبٍ إيـادا(126م)

ولما قُرِىء على الشاعر المؤدّب أبي العباس أحمد بن سيد الملقب باللص ديوان أبي تمّام ومرّ فيه وصف السيف قال: أنا أشعر منه حيث أقول:

---

(124) الذخيرة ق 2 م 1 :68.

(125) المصدر نفسه ق 3 م 1: 343.

(125م) قلائد العقيان: 222 المطبعة الحـديـون بولاق ي1283 هـ.

(126) الإحاطة.

(126م) الذخيرة ق 3 م 2: 813.

تَــراهُ في غــداة الغَيْمِ شمســاً
وفي الـظّلمـاءِ نجمــاً أَوْ ذُبــالا
يــروعُـهُـمُ مُـعــايـنــةً ووَهْــمــاً
ولـو نـامــوا لـرَوّعهم خيــالا[127]

ويبدو أن الوصف الذي وردت الإشارة إليه في الخبر هو قول أبي تمّام:

ونبّهـن مثلَ السّيف لـو لَمْ تسُلّه
يــدانِ لسلّتْـه ظُبــاهُ من الغِمْـدِ

وقد ذكر ابن عبد ربه في العقد أنه «من أحسنِ ما قيلَ في وصف السّيف»[128].

ويقول ابن حمديس مفتخراً بأشعاره وبنات أفكاره:

أمّــا بنــاتي المفــردات فــإنّهــا
في الحسن أشهر من بنات حبيب[129]

ومثل هذا في المبالغة قول ابن خفاجة يطري شعر أحد أصدقائه:

بَــرَعْتَ فَـرُعْتَ، فمَنْ ذَا حبيبٌ
ـ لـه الويـل ـ أمْ مَن أبو الـطيّب
ولــو جــاريــاك إلــى غــايَــةٍ
لفُــزْتَ وكــانــا مِنَ الخُيّــبِ[130]

(127) التكملة: 80 ونفح الطيب 4 :112.

(128) العقد 1 :183.

(129) ديوان ابن حمديس: 62 تحقيق د. إحسان عباس.

(130) ديوان ابن خفاجة : 246 تحقيق الدكتور السيد مصطفى عازي.

وقال الشاعر أحمد بن طلحة الشقري في محفل: «تقيمونَ القيامة بحبيب والبحتري والمتنبّي، وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه»[131] وحاول أن يقنع مستمعيه بسرد الجيد من أشعاره ومعانيه، ويقول ابن خاقان في نونية ابن زيدون المشهورة: «ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم»[131م] بيد أن أقصى ما كان يطمع فيه معظم أولئك الشعراء هو تشبيه شعرهم أو شعر أصدقائهم بشعر حبيب وطبقته، وذلك كقول ابن سعيد العَمّاري مَثلاً في مدح ابن عمّه:

إذا رقَمَ القِرطاسَ قُلتَ ابنُ مُقلةٍ
وإن نظم الأشعارَ قلتَ حبيبُ[132]

ونشير في آخر هذه الفقرات ـ التي استعرضنا فيها مظاهر من عناية المغاربة بأبي تمام وتأثرهم به ـ إلى رأي زميلنا الكبير الدكتور إحسان عباس الذي يقول: «ولكن أبا تمام كان أعمقهم أثراً في الشعر الأندلسي من حيث المبنى الشعري والشكل، ومن تأمل الشعر الأندلسي في هذا العصر (يعني ما أسماه عصر سيادة قرطبة) حق التأمل وجد مبدأ حب الغرابة أو الاستطراف هو الدافع القوي فيه ثم يجيء المبنى بعد ذلك شديد الاعتماد على المطابقة ورسم المتقابلات المتضادة وبلوغ درجة الإحالة في تصيد المعنى ومتفرعاته وظلاله والإغراب بالاستعارة وإن لم يكن هذا شائعاً كثيراً واستعارة النبت والماء في صور بعيدة عن حياة الطبيعة، وهذه الأخيرة من أشيع الصور عند أبي تمّام، ومنها في الشعر الأندلسي قول محمد بن أحمد بن قادم:

قفْ بـرَبْع البِلى وربـعِ الهُـموم
واسْفَحِ الدّمعَ فيهِ سَفْـحَ الغُيومِ

(131) اختصار القدح المعَلّى: 114 ونفح الطيب 3 :307 والإحاطة 1 :236.

(131م) قلائد العقيان: 81.

(132) نفح الطيـب 2 :275.

غيّـرتْ آيَـهُ صـروفُ الليـالـي
ومَحـاهـا الغَمـامُ مَحْـو الـرَّقيمِ
سـاءَ ما اعْتـاضَ بالسّحـائب من
نبتْ الْـمعـالي بمَنْبتِ الْـقَيصـومِ
فَالأسَى حينَ يعْدم الشّيءُ محمـ
ـولٌ علَى قـدر جَـوْهـرِ المَعْلومِ

فقوله نبت المعـالي استعارة تمّـامية والبيت الأخيـر أحجية ذهنيـة كالأشياء التي يعرضها أبو تمام من هذا القبيل، وصورة واحدة هي «تعمم صلع هامات الربى» قد أصبحت في هذا الشعر الأندلسي تدور دوراناً غير قليل»[132م].

7 ـ ونختم هذا الفصل بالإشارة إلى التأثير الكبير الذي كان لحماسة أبي تمّام، فقد عني الأندلسيون والمغاربة بروايتها وحفظها، وما أكثر ذكرها في تراجم الأعلام، وقد يكون غريباً بالنسبة إلى وقتنـا أنها كـانت من المقررات الابتدائية عندهم، قال ابن عبد الملك المراكشي في ترجمـة بعضهم: «وكتب بخطه الأنيق كثيراً من كتب المبتدئين كالجمل وأشعار الستـة والحمـاسـة المـازنيـة (يعني حمـاسـة أبي تمـام) وفصيـح ثعلب ونحوها»[133] كما أنهم عنوا بشـرحها وتأليف «حماسات» على طريقتهـا.

وممن شـرحهـا من الأنـدلسيين الأعلم الشنتمري وابن سيـدة، وعاصم بن أيوب البطليوسي، وأبـو الفتوح ثـابت الجرجـاني وأبو عـامر محمد بن ينّق الشاطبي وغيرهم[134]، وقام الأديب النحـوي أبو إسحـاق إبراهيم بـن ملكون بتأليف كتاب سماه: إيضاح المنهج، «جمع فيه بين

(132م) تاريخ الأدب الأندلسي 1 :125 ط. ث.
(133) الذيل والتكملـة 5 :232.
(134) انظر في هذه الشروح: فهرسة ابن خير والذيل والتكملة.

كتابي ابن جنّي على الحماسة: التنبيه والمبهج»[135] وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في الاسكوريال رقم 312.

وقد صنّفوا حماساتٍ ضاهوا بها حماسة أبي تمّام، ولعلّ أشهرها حماسة الأعلم الشنتمري التي ضمنها حماسة أبي تمام والحماسة البصرية وحماسة الجرجاني وغيرها ورتّب أشعارها وأبوابها وشرحها شرحاً مفيداً، ونظراً لأن هذه الحماسة ما تزال مخطوطة فسنقتبس من مقدمتها ما يلي:

«ثم رأيت الآن أن أختم ما اعتملت فيه قديماً وحديثاً من ذلك بجمع كتابٍ في أشعار الحماسة يقتضي تهذيبها وتنقيحها، وتقييد ألفاظها وتصحيحها، وتبيين معانيها وتقريب غامضها، وتفسير غريبها وغامض إعرابها حتى يكون هذا الكتاب مربياً على جميع التأليفات فيها ومغنياً عن استعمال التصنيفات المحيطة بها، وسميته كتاب تجلي غرر المعاني، عن مثل صور الغواني، والتحلّي بالقلائد، من جوهر الفوائد، ليكون اسمه مطابقاً لمعناه، ورسمه موافقاً لغرضه ومغزاه، ورتبته على حروف المعجم ليقرب بذلك تناولُه، ويسهل على الطالب مرامه، على حسب ما صنعه بعض أهل العصر.

وضمنته كل ما تضمنته الحماسات من الشعر، كالحماسة القديمة المنسوبة إلى أبي تمام التي هي أصل لغيرها، وحماسة أبي الفتوح ثابت ابن محمد الجرجاني[136]، وحماسة أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرمسيني[137] البصري مما رواه عن شيوخه كأبي رياش

---

(135) التكملة: 157 - 158.

(136) ترجمته في جذوة المقتبس: 173 وبغية الملتمس رقم 692 والصلة: 135 والذخيرة 1/4: 124 والذيل والتكملة 8: 422 والإحاطة 1: 454 ومعجم الأدباء 7: 145 وبغية الوعاة 1: والتبيان: 32 وفهرسة ابن خير: 404.

أحمد بن أبي هاشم بن الرديني بن شبيل القيسي الربعي[138]، وأبي سعيد الضرير[139]، وأبي العميثل[140] وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش[141] وأبي عبدالله اليزيدي[142]، وأبي حفص عمر بن عبد العزيز الهمداني[143] عن أبي محمد الديمرتي[144] وما نقل من خط الترمذي[145]، ومن خط الأقرع وراق آل طاهر[146] ومن خط أبي عبدالله ابن مقلة[47]، ومن خط أبي سعيد السكري[148]، وحروف وجدها بخط أبي موسى الحامض[149] وغيرهم وما ثبت في كتاب أبيات المعاني في الحماسة للنمري[150] وفي شرح ابن جنّي لها أيضاً[151] وغيرها.

وأبواب جميعها التي تضمنها هذا الكتاب ثلاثة عشر باباً: فالأول باب في الشجاعة، والثاني باب في المراثي والثالث باب في الأدب والرابع باب في النسيب، والخامس باب في المديح، والسادس باب في الأضياف، والسابع باب في الهجاء، والثامن باب في الصفات والتاسع باب في السير والنعاس والعاشر باب في الملح والطّرَف والمفاحشات، والحادي عشر باب

(137) ترجمته في تاريخ بغداد 11 :57 وبغية الوعاة 2 :95 ونزهة الألباء: 247.
(138) ترجمته في إنباه الرواة 1 :25 ومعجم الأدباء 2 :124.
(139) ترجمته في إنباه الرواة 1 :41 ومعجم الأدباء 3 :15.
(140) ترجمته ومصادرها في وفيات الأعيان 3 :89.
(141) ترجمته ومصادرها في وفيات الأعيان 3 :301 - 303.
(142) ترجمته في طبقات الزبيدي: 78.
(143) لم نقف على ترجمته.
(144) ترجمته في معجم الأدباء 16 :319 وهدية العارفين 1 :827.
(145) انظر الفهرست لابن النديم: 66، 88.
(146) لم نقف على ترجمته.
(147) ترجمة ابن مقلة الخطاط في وفيات الأعيان 5 :113 - 118.
(148) ترجمته في بغية الوعاة 1 :502.
(149) ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة 3 :21، 141 وطبقات الزبيدي: 170.
(150) ترجمته في إنباه الرواة 1 :25.
(151) لابن جني شرحان على الحماسة هما التنبيه والمبهج.

في مذمة النساء والثاني عشر باب في القصر والثالث عشر باب في الكبر.

وهذا الباب الثالث عشر زائد على ما تضمّنت حماسة أبي تمام القديمة وحماسة أبي الفتوح الجرجاني وغيره، وهو ثابت في حماسة عبد السلام فأتيت به ليأتي هذا الكتاب على جميع ما تضمنت الحماسات المختلفة من الأبواب».

وقد نسخت حماسة الأعلم هذه حماسة أبي تمام عند ظهورها في الأندلس، قال أبو إسحاق إبراهيم بن ملكون الحضرمي في إيضاح المنهج: «ولمّا كانت حماسة أبي تمّام ـ الموضوع كتابا أبي الفتح هذان (يشير إلى التنبيه والمبهج) على ترتيبها ـ مجفوة القدر في عصرنا ومطرحة الاستعمال عند أبناء دهرنا حين أخنت هذه الحماسة الأعلمية عليها باستمالة النفوس إليها..»[152] ويؤيد هذا الكلام ما نجده مِن روايتها في برامج العلماء من أهل القرنين السادس والسابع وما بعدهما كما أنها انتقلت إلى المشرق، وقد ورد ذكرها في خزانة الأدب للبغدادي[153]، ووقف عليها ابن خلّكان، قال في ترجمة الأعلم: «وغالب ظني أنه شرح الحماسة، فقد كان عندي شرح الحماسة للشنتمري في خمسة مجلّدات وقد غاب عنّي الآن من كان مصنّفه وأظنه هو والله أعلم وقد أجاد فيه»[154].

والحماسة الثانية بعد حماسة الأعلم هي حماسة الشاعر المغربي أبي العباس الجراوي، وقد نوّه بها ابن الأبار وابن خلّكان وغيرهما، قال ابن الأبار في التكملة: «وألّف للسلطان كتاباً في معنى الحماسة لحبيب سماه صفوة الأدب ونخبة كلام العرب أخذه الناس عنه، وكان شيخنا أبو الحسن سهل بن مالك يثني على هذا التأليف وحدثنا به عنه هو وأبو الربيع بن سالم

(152) مخطوط الاسكوريال.

(153) خزانة الأدب.

(154) وفيات الأعيان 7 :81 - 82.

وأبو عبدالله محمد بن عبد الجبار الرعيني وغيرهم»[155] وقال ابن خلكان: «وجمع كتاباً يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لأبي تمّام الطائي وسماه: صفوة الأدب وديوان العرب، وهو كثير الوجود بأيدي الناس، وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق»[156] وقد ذكر هذه الحماسة أيضاً حاجي خليفة، والاسم المختصر الذي عرفت به هو الحماسة المغربية وتوجد منها نسخة مختَصَرة محفوظة في خزانة طوغلو باشا تحت رقم 4079.

وألّف الأديب الإشبيلي دفين مراكش أبو القاسم أحمد بن محمد البلوي حماسة أكبر من حماسة الجراوي وسماها: «روض الأديب والمنزه العجيب»[157].

وفي القرن السابع الهجري ألف الأديب الحافظ أبو الحجاج البياسي حماسة أصبحت تعرف بالحماسة البياسية نسبة إلى مؤلفها المنسوب إلى بياسة في الأندلس وتتميز هذه الحماسة على الحماسات السابقة بكونها تشتمل على أشعارٍ أندلسية ومغربية، وقد تحدث عن هذه الحماسة البياسية ابن خلكان فقال: «ورأيت له كتاب الحماسة في مجلّدين، وقد قرئت هذه النسخة عليه وعليها خطّه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة، وقال في آخر الكتاب: وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس، حرسها الله تعالى في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله: أما بعد فإنّي قد كنت في أوان حداثتي، وزمان شبيبتي، ذا ولوع بالأدب، ومحبة في كلام العرب، ولم أزل متتبّعاً لمعانيه ومفتّشاً عن قواعده ومبانيه، إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها، ولا يصلح بالناظر في هذا العلم إلا أن

---

(155) التكملة: 128 - 129.

(156) وفيات الأعيان 7 :12، 137.

(157) الذيل والتكملة 1. :456.

يكون عنده مثلها، وحملتني المحبّة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولّدها، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم، ما تحسن به المحاضرة، وتحمل عليه المناظرة، ثم إنني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها، مؤذن بذهابها ومؤدٍّ إلى فسادها، فرأيت أن أضمّ وأجمع مستحسنها، تحت أبواب تقيّدُ نافرها وتضمُّ نادِرَها ونظرت في ذلك فلم أجد أقرب تبويب، ولا أحسن ترتيب ممّا بوّبه ورتّبه أبو تمّام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بالحماسة وحسن الاقتداء به، والتوخّي لمذهبه، لتقدّمه في هذه الصناعة، وانفراده منها بأوفر حظّ وأنفس بضاعة، فاتبعتُ في ذلك مذهبه ونزعت منزعه، وقرنت الشعر بما يُجَانِسُه، ووصلته بما يناسبه، ونقّحت ذلك واخترته على قدر استطاعتي، وبلوغ جهدي وطاقتي»[158].

هذه فقرات من مقدمة الحماسة البياسية أوردتها لدلالتها على نهجه في ترتيبها نهج أبي تمام من جهة ولنصه فيها على اختيار أشعار الأندلسيين، وقد نقل ابن خلكان شيئاً من بعض أبوابها، وتوجد قطعة صالحة من هذه الحماسة مخطوطة في بعض الخزائن الخاصة بالمغرب وعندي صورة عنها، وكنت اخترت منها الأشعار الأندلسية على حدة من أجل نشرها فلم يتيسّر ذلك إلى الآن، وفيما يلي أسماء الشعراء الأندلسيين والمغاربة المختار لهم في هذه الحماسة:

- سليمان المستعين الأموي.
- ابن هانىء.
- ابن دراج.
- الرمادي.

---

(158) وفيات الأعيان 7: 238 - 244.

ـ إدريس بن اليمان.
ـ عبد الكريم النهشلي.
ـ محمد بن حبوس.
ـ ابن زيدون.
ـ ابن رشيق.
ـ ابن شرف (أبو عبدالله).
ـ ابن الحدّاد.
ـ ابن حمديس.
ـ أبو بكر بن الملح.
ـ أبو الوليد النحلي.
ـ أبـو العـرب الصقلّي.
ـ أبو الحسن بن سِيدة.
ـ أبو الحسن الحصري.
ـ محمد بن خلصة الضرير.
ـ ابن سارة.
ـ ابن عبدون.
ـ أبو الحجاج المنصفي.
ـ أبو الحسن علي بن خروف.
ـ أبو الحسن علي بن الفصل الأوريولي.
ـ أبو الحسن علي بن حريق.
ـ أبو الحسن علي بن حزمون.
ـ ابن عمّار.
ـ ابن عباد.
ـ ابن اللبانة.
ـ ابن وهبون.
ـ حسان بن المصّيصي.

- أبو عبدالله الخشني.
- أبو الوليد يونس القسطلّي.
- الجراوي (أبو العباس أحمد).

ومن الحماسات الأندلسية أيضاً حماسة أبي حفص عمر بن منذر الصدفي الأندلسي، قال ابن عبد الملك المراكشي: «كان أديباً حافظاً، وصنّف في منحى حماسة حبيب مصنّفاً حسناً أفاد به»[159].

من هذه الإشارات والأخبار التي لَمْ نقصد فيها إلى الاستقصاء يتجلّى التأثير الذي كان لأبي تمام في الحياة الأدبية بالأندلس والمغرب، وذلك بواسطة شعره أولاً وحماسته ثانياً.

(159) الذيل والتكملة 5 :471.

وجد في الأصل المكتوب منه من نسخته

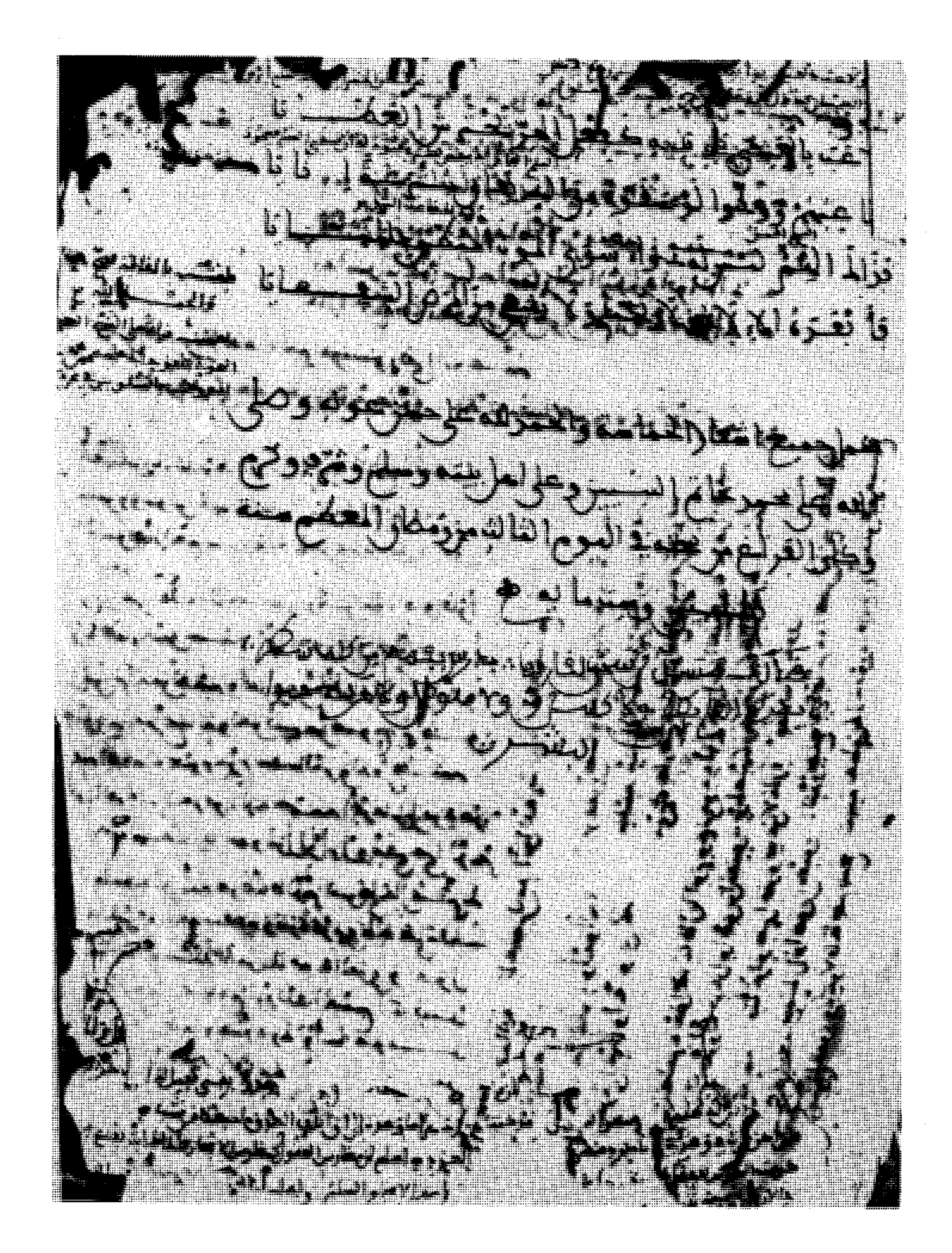
كتبه لنفسه بخط يده علي بن محمد بن عيسى التميمي نفعه الله
به من نسخة من جملة نسخ الشيخ الأجل الوزير الكاتب أبي القاسم إبراهيم
بن محمد بن زكريا الزهري المعروف بابن الإفليلي المكتوب بخطه المنقول من الأصلين
اللذين احتملهما أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي وذكر أنهما بخط أبي تمام
حبيب بن أوس الطائي ۝ ووجد في كتابه ما نصه

وألفيت في آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الإفليلي أبي القاسم المذكور رحمه الله
كمل في هذا السفر جميع ما تضمنته القراطيس التي احتملها أبو علي إسماعيل
بن القاسم البغدادي من شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي. وذكر
أبو علي أنهما بخط أبي تمام [illegible]
أبي القاسم بن [illegible] التي من جملته [illegible]
أبو علي من شعر أبي تمام في سفر [illegible]
عبد الله بن جعفر بن درستويه [illegible] عن علي بن مهدي
الكسروي عن أبي تمام حبيب بن أوس [illegible]
جعفر بن [illegible]
[illegible]
بخط أبي علي وروايته في خزانة [illegible]
وخرج لي الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف
بابن العريف رحم الله جميع المذكورين [illegible]
من الأصول المذكورة ما ألفيته [illegible] محمد بن [illegible]
ما [illegible] والحمد لله على عونه وجميل [illegible]
كثيرا كما هو أهله وصلى الله على محمد [illegible] اللهم اجعله [illegible]
نقلته كما ألفيته في الأصل [illegible]

الورقة الأخيرة من ديوان أبي تمام برواية القالي (مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط).

آخر ترتيب الحماسة للأعلم

مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط.



أول شرح الحماسة للجرجاني.

مخطوطة الأسكوريال.

أول شرح الحماسة للجرجاني.

مخطوطة الأسكوريال.

آخر شرح الحماسة للجرجاني.
مخطوطة الأسكوريال.

قال أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني

كمل كتاب الحماسة والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني

أبو الطّيّب في أدب الأندلسيّين والمغاربة



إذا كانت الدراسات المتنبّئية قد بلغت مبلغاً كبيراً من التوسّع والتنوّع[1] فإن بعض الجوانب المتصلة بالشاعر الكبير ما تزال في حاجة إلى الإبانة والإحاطة، ومنها إبراز عناية المغاربة بشعره وإظهار موقعه في أدبهم.

وصحيحٌ أن بعض الدارسين تناولوا هذا الموضوع أوْ أطرافاً منه منذ وقت مبكر، ومنهم المستعربان الأستاذ بلاشير والأستاذ غرسية غومث ثم الأستاذ علال الفاسي، وتناوله في وقت متأخر الأستاذ ابن تاويت التطواني والأستاذ محسن جمال الدين[1م].

وسنتناوله الآن بما يضيف إليه جديداً ويزيده غنى، وذلك حسب التصميم الذي سرنا عليه في الفصل السابق تقريباً.

أ ـ الأسانيد:

من سمات الثقافة العربية الإسلامية القديمة على العموم والمغربية

(1) انظر على سبيل المثال: رائد الدراسة عن المتنبّي تأليف كوركيس وميخائيل عواد، والمتنبي في آثار الدّارسين تأليف عبدالله الجبوري.

(1م) انظر ديوان المتنبي في العالم العربي. ترجمة أحمد أحمد بدوي من ص 41 إلى ص 54 ومع شعراء الأندلس والمتنبي. تعريب الطاهر مكي ومجلة المغرب الجديد 1936 (عدد خاص بالمتنبي) ومجلة المورد 1977 (العدد الخاص بالمتنبي) ومجلة دعوة الحق 1968 (عدد 6 - 7).

على الخصوص عناية أهلها بالرواية واهتبالهم بالأسانيد، ولم تكن الرواية عندهم من متعلّقات الحديث وغيره من العلوم الدينية فحسب وإنما أخذوا بها في سائر العلوم النقلية تقريباً.

وإن الدارس للتراث المغربي ليعجب من كثرة برامج العلماء ومشيخاتهم التي حرصوا فيها على توثيق الكتب بأسانيد متصلة بمؤلفيها؛ وهذه البرامج هي باختصار عبارة عن جرد شامل، ورصد كامل لانتقال المؤلفات من المشرق إلى المغرب[2].

وقد رجعنا إلى بعض هذه البرامج لمعرفة سيرورة شعر المتنبي وانتشاره في البيئات الأدبية المغربية فوجدنا أن إفريقية وقاعدتها القيروان من أقدم هذه البيئات اتصالاً بشعر المتنبّي، ويدلّنا على ذلك أيضاً قصيدة في ديوان الشاعر محمد بن هانىء الذي أدرك زمن المتنبي، والقصيدة تتحدث عن نسخة من شعر أبي الطيب وصلت إلى القيروان في حياته، فاستعارها الشاعر من صاحبها الذي لقي المتنبي، ولكنه كان حريصاً على نسخته فألحّ في استرجاعها من الشاعر الذي اغتاظ وقال قصيدة يتهكم فيها بصاحبه وينال من المتنبي نفسه، ومنها قوله:

تَنبّأ المُتَنبّي فيكُمُ عُصُراً
وَلَوْ رأى رَأيكُمْ في شعْرِه كَفَرا

مَهْلاً فلا المتنبّي بالنّبي ولا
أعُدُّ أمثالَه في شعرِه السُّوَرا

تهتُمْ علينا بمرآهُ وعلّكُمُ
لم تدركوا منه عيناً لا ولا أثرا

(2) راجع بحث استاذنا المرحوم عبد العزيز الأهواني حول كتب برامج العلماء في مجلة معهد المخطوطات.

وهي قصيدة تقع في 21 بيتاً[3].

وثمة خبر في «الصبح المنبي» عن تلاقي ابن هانِىء والمتنبّي في القيروان ولكنه خبر من نسيج الخيال[4].

ومهما يكن الأمر فلعلّ النسخة المذكورة وغيرها كانت منشأ عناية القيروانيين المبكّرة بالمتنبّي، ومن أوائلهم عبد الكريم النهشلي الذي استشهد بشعره في الممتع، والحصري الذي اختار منه في زهر الآداب والقزاز الذي خصّه بتأليفين، وابن رشيق الذي تحدث عنه كثيراً في العمدة، وابن شرف الذي قيم شعره في مقامته النقدية؛ وقد نقل الوزير أبو القاسم المغربي أن المغاربة كانوا يسمونه المتنبّه، وهذا يلتقي مع التعليل الذي نجده في الممتع للنهشلي: «قيل له المتنبي لفطنته» وأشار إلى هذا الرأي ابن رشيق في العمدة[5].

ولا ننسى الإشارة إلى المتيم الإفريقي أبي الحسن محمد بن أحمد المغربي الذي كان «راوية المتنبي» وألف «الانتصار المنبي عن فضائل المتنبّي» رد فيه على من زعم أن شعر المتنبي مسروق من أبي تمّام والبحتري[5م] فهو وإن عاش في المشرق فإن مطلعه من المغرب.

أما الأندلسيون فلدينا أخبارٌ تشير إلى الْتِقاء بعضهم به في مصر

(3) انظر تحليل الأستاذ غرسيه غومث لهذه القصيدة في مقالته عن المتنبي وابن هانىء (ترجمة د. الطاهر مكي).

(4) الصبح المنبي وذكر ابن شهراشوب «أن المتنبي لما توجه إلى مصر سمع منشداً يقول:

تَـقَـدَّمْ خُـطىً وتـأخَّـرْ خُـطَىْ فـإنَّ الـشَّـبـابَ مَـشَـى الـقَـهْـقَـرَى

فقال المتنبي: سد ابن هانىء علينا طريق المغرب وانصرف» معالم العلماء: 148؛ وانظر أيضاً: ابن هانىء لليعلاوي: 17، 296.

(5) وفيات الأعيان والممتع: 283 والعمدة 1: 75 ونصرة الثائر: 180 قال الصفدي: «وهذا تحريف حسن من المغاربة، وما يليق أن يطلق عليه المتنبي».

(5م) رائد الدراسة عن المتنبي: 310 - 311. والمصادر المحال عليها.

وسماعه منهم شيئاً من شعر أهل الأندلس، ومن هذه الأخبار ما ذكره ابن خاقان في المطمح من أن أبا الوليد ابن عيال الأندلسي لما انصرف من الحج اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر ففاوضه قليلاً ثم قال له: أنشدني لمليح الأندلس يعني ابن عبد ربه، فأنشده:

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا
ورشاً بتعذيبِ القُلوب رَقيقا
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِهِ
درّاً يعودُ من الحياءِ عَقيقا
وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجههِ
أبصرتَ وجهكَ في سَناه غَريقا
يا مَنْ تقطّع خَصرُه مِنْ رِقّةٍ
ما بالُ قَلْبِكَ لا يكونُ رَقيقا

فلما أكمل إنشادَها استعادَها ثم صفق بيديه وقال: يا ابن عبد ربه، لقد تأتيك العراق حبواً[6]؛ ومنها خبر لقاء ابن المستكفي المتنبي بمصر أيضاً وروايته عنه شيئاً من شعره[7]؛ ونقرأ في الذخيرة لابن بَسّام هذا الخبر: «وحكي أن أبا الطيب المتنبي على قلّة رضاه عن شعر أحد فإنه على ما ذكر عنه أنشد لجملة من شعراء الأندلس حتى أنشد قول ابن هذيل:

لَمّا وضعتُ على قلْبي يَدي بِيدي
وَصِحْتُ في الليلةِ الظّلماءِ واكَبدي

(6) مطمح الأنفس: 52 ونفح الطيب 3 :564، 7 :51 وابن عيال في الرواية ورد في بعض النسخ ابن غتال، وفي بعضها: ابن عباد والاهتداء إلى شخصيته عسير في الجملة، والخبر أيضاً في شرح مقصورة حازم 1 :183.
(7) نفح الطيب 2 :222.

ضجّتْ كواكِبُ لَيْلي في مَطَالِعِها
وذابت الصَّخرةُ الصّمّاءُ مِنْ جَلَدِي

فقال: هذا أشعر أهل المغرب»[8].

ومنها خبر رابع يتحدّث عن تعليق بذيء للمتنبي على قول الرمادي:

في أي جـارحـةٍ أصـونُ مُعـذّبي
سلمَتْ من التعـذيب والتنكيـلِ

وكان الرمادي لما سمع قول المتنبّي:

كَفى بجسمي نحـولاً أنني رجـلٌ
لـولا مخـاطبتي إيّـاكَ لم تـرني

قال فيه كلمه نابية فعامله المتنبي بالمثل وجزاه من جنس العمل[9]، ونشير بالمناسبة إلى قولة شيوخ الأدب بالأندلس في حياة الرمادي والمتنبّي: «فتح الشعر بكندة، وختم بكندة» يعنون امرأ القيس والمتنبّي والرمادي[10].

ومهما يكن نصيب هذه الأخبار من الصحة فمن المؤكّد أن شعر المتنبّي وصل إلى الأندلس في حياته، فقد استشهد به المستنصر الأموي[11]، ووجد صداه عند شاعر قريب من زمن المتنبي هو أحمد بن فرج الجياني[12]؛ وقد نسبت بعض المصادر شرحاً لشعر المتنبي إلى الأديب اللّغوي أبي عبدالله محمد بن أبان القرطبي المتوفى سنة 354 هـ وهي السنة التي توفي فيها المتنبي[13].

(8) الذخيرة 1/2 :514 - 515 ,|1 :347.

(9) المصدر نفسه: وفي طرة بالديوان الذي رتبه الفشتالي قصة منسوبة إلى من اسمه أبو عبدالله الإشبيلي خادم المتنبي، ولكن يبدو أنها موضوعة. ترتيب الديوان: 264 مخطوط.

(10) جذوة المقتبس: 347.

(11) المقتبس: 193 تحقيق عبد الرحمن يحيى.

(12) الذخيرة ق 2 م 1: 143. والمطرب: 5 - 6.

(13) إيضاح المكنون 1 :527 وهدية العارفين 2 :44.

وهكذا عرفت الأندلس شعر المتنبّي في وقت مبكر وذلك بوسائط متعددة؛ فقد نقله إليها أول مرّة زكرياء بن بكر المعروف بابن الأشج[14] (310 - 393 هـ) وكان قد رحل من الأندلس إلى المشرق فلقي أبا الطيب بمصر وأخذ عنه شعره روايةً، ونجد سند هذه الرواية بين أحد عشر سنداً أثبتها ابن خير في فهرسته؛ وثمة أندلسي آخر شافه المتنبي في مصر أيضاً وأدخل شعره إلى الأندلس وهو أبو عبدالله محمد بن قادم القرطبي[15].

وروايته موجودة في أسانيد ابن خير المذكورة، ويبدو أن رواية ابن قادم كانت مدوّنة في نسخة ظلّت متداولةً في المغرب حتى عصر المنصور السعدي وكانت من أصول الديوان المختلفة التي اعتمد عليها القشتالي في ترتيب ديوان أبي الطيب، جاء في هذا الترتيب (ص 283): «وممّا ليس في كتاب ابن قادم ولا رواها أكثر الرواة قصيدته في سيف الدولة:

أصدوداً هجرتنا أم دلالا
حينَ أظهرتِ جفوةً واعتلالا»

وقد ورد ذكرها في الترتيب المذكور أكثر من مَرّة.

غير أن الرواية المشهورة لشعر المتنبي في الأندلس هي رواية الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف[16]، وهو لم يلق الشاعر وإنما أخذ شعره عن راويتين له في مصر هما أبو الطائي وإبراهيم المغربي[16م].

ثم عرفت البيئات العلمية في الأندلس بعد هذا روايات أخرى في

(14) له ترجمة في تاريخ ابن الفرضي 1 :179 وبغية الملتمس رقم 744.

(15) فهرست ابن خير: 403.

(16) ترجمة ابن العريف في جذوة المقتبس: 182 وتاريخ العلماء لابن الفرضي 1 :134 - 135 وبغية الوعاة 1 :542 والذخيرة لابن بسام.

(16م) أبو بكر الطائي هو الذي خاطبه المتنبي ببيتين داليين عندما نام وهو ينشده (الديوان 2 :81 ط. البرقوقي) ولم نقف على ترجمته ولا على ترجمة إبراهيم المغربي.

شعر المتنبي لعلها أن تكون أكمل من سابقاتها، ومنها الرّوايات التي أدخلها أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الذي وفد على الأندلس سنة (406هـ)[17]، وأبو الحسن علي بن إبراهيم التبريزي الذي دخل سنة 421 هـ[18]، وأبو عبدالله محمد بن البر الصقلّي الذي دخل سنة 460 هـ[19].

ونورد فيما يلي نماذج من بعض أسانيد شعر المتنبي في القرن السادس من خلال فهرست ابن خير:

- 1 -

المتنبي

↓

أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي

↓

ابن العريف

↓

ابن الإفليلي

↓

عبد الملك ابن سراج

↓

جعفر بن مكي

↓

ابن خير

(17) ترجمة أبي الفتوح الجرجاني في جذوة المقتبس: 173 وبغية الملتمس رقم 692 والصلة: 135 والذخيرة 1/4: 124 والذيل والتكملة 8: 422 والإحاطة 1: 454 ومعجم الأدباء 7: 145 وبغية الوعاة 1: (؟؟) والتبيان: 32 وفهرسة ابن خير: 404.

(18) ترجمته في الصلة 2: 406 وفهرسة ابن خير: 404.

(19) التكملة 2: 671 - 675.

- 2 -

المتنبي

↓

أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي

↓

ابن العريف

↓

ابن الإفليلي

↓

الأعلم الشنتمري

↓

ابن فندله

↓

ابن خير

- 3 -

المتنّبي

↓

أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي

↓

ابن العريف

↓

ابن الإفليلي

↓

ابن بقنة

↓

ابن أبي الخصال

↓

ابن خير

- 4 -

المتنبي

↓

ابن الأشج (زكرياء بن بكر)

↓

المصحفي (هشام بن محمد)

↓

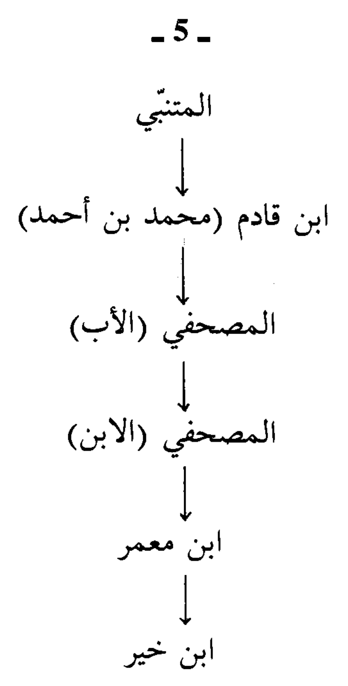
المصحفي (محمد بن هشام)

↓

ابن معمر (محمد بن عبد الرحمن)

↓

ابن خير



ـ 6 ـ

المتنبّي

↓

أبو بكر الطائي

↓

ابن العريف

↓

المصحفي (الأب)

↓

المصحفي (الابن)

↓

ابن معمر

↓

ابن خير

ـ 7 ـ

المتنبي

↓

البياري

↓

الجرحاني

↓

المصحفي (أبو بكر محمّد)

ـ 8 ـ

المتنبّـي

↓

الرّبَعي (علي بن عيسى)

↓

الجرجاني (ثابت بن محمد)

↓

المصحفي (أبو بكر محمد)

ـ 9 ـ

المتنبّـي

↓

التاني (علي بن أحمد)

↓

الجرجاني (ثابت بن محمد)

↓

المصحفي (أبو بكر)

ـ 10 ـ

المتنبّي

↓

عبد السلام بن الحسين البصري

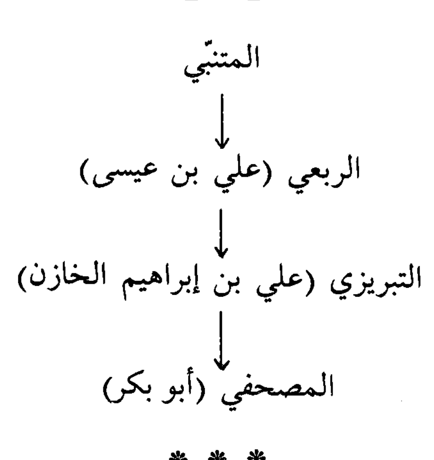
↓

الجرجاني (ثابت بن محمد)

↓

المصحفي (أبو بكر محمد)

- 11 -



* * *

تلكم أسانيد فهرسة واحدة هي فهرسة ابن خير، والواقع أنّه لا يكاد يخلو أي برنامج أندلسي مهم من التعرض لأسانيد الأندلسيين في شعر المتنبّي.

ومن برامج القرن السابع التي تحفل بهذه الأسانيد برنامج أبي جعفر أحمد بن يوسف اللبلي الذي يروي شعر المتنبّي بأسانيد أندلسية وشامية ومصرية تبلغ 7 أسانيد[20].

وبرنامج ابن أبي الربيع الإشبيلي ثم السبتي الذي يحمل شعر المتنبّي عن الشلوبين عن ابن مضاء عن ابن أبي الخصال عن ابن بقّنة عن ابن الإفليلي عن ابن العريف عن أبي بكر الطائي وأبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله المغربي عن المتنبّي[21].

وكان أصل أبي عبدالله ابن أبي الخصال المذكور في سند ابن خير وَفي هذا السند من شعر المتنبّي ممّا يتنافس فيه أهل العلم، وقد آل إلى

---

(20) رحلة ابن رشيد 2 :249 - 250 تحقيق الشيخ ابن الخوجة.

(21) برنامج ابن أبي الربيع مجلة معهد المخطوطات العربية (نوفمبر 1955) ص 271.

الأديب الحسيب أبي بكر محمد ابن محرز البلنسي مستوطن بجاية، ثم أهداه إلى الحاكم العالم سعيد بن حكم القرشي أمير جزيرة منرقة[22] الذي كانت عنده نظائر للأصل المذكور.

وكان غلاف هذا الأصل قد تلاشى بكثرة التداول والاستعمال فعني الأمير المذكور به وكساه حلة ما فوقها حلة، وهذا ما يشير إليه في جملة شعر كتب به من منرقة إلى أبي بكر ابن محرز في بجاية:

فلِلَّهِ شِعْرُ أبي الطيّب الذ
ي إنْ يطِبْ فبمهديهِ طابْ
أفادَ خصالَ الخِصالي وهْـ
ـيَ أكْثرُ مِنْ قَطْرِ هامي السّحابْ
فلَمْ يرَ إلا انسياقاً إلَى
نظائرَ عِنْدي له وانْسِيابْ
وَلا غَرْوَ إنْ بُزّ حُسْنَ اللَّبو
سِ فالفضْلُ ليسَ بلبْسِ الثيابْ
وليسَ الكَهامُ الظُّبَى ما
ضي الذّنابِ بحالٍ بحالي الْقِرابْ
ألّا إنّما الفَضلُ تحتَ الثّياب
ألا إنّما الفضْلُ تحتَ الإهابْ
سأكسبُهُ هَيْئةً يقتضي
بها هيبَةً ما اقتضاها كتابْ[22]

ومن برامج القرن التاسع في الأندلس برنامج أبي عبدالله محمّد بن عبد الملك المنتوري، وله سندان في شعر المتنبي ذكرهما كما يلي:

(22) مخطوط الاسكوريال رقم 520.

«كِتاب شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي المتنبّي الكوفي. قرأت بعضه على الأستاذ أبي عبدالله محمد بن محمد بن منظور وأجازني جميعه، وحدثني به عن الأستاذ أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي عن أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص عن الخطيب أبي الحسن علي بن محمد بن يبقى عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلفي عن أبي زكرياء التبريزي عنه.

وحدثني به القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي إذناً عن المحدّث نور الدين أبي الحسن علي بن عمر الوالي كتابة عن الشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن مكي بن الحاسب عن جدّه للأم الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي عن أبي زكرياء التبريزي.

قلت: وبهذا الإسناد ساويت الأستاذ أبا عبدالله»[23]. وهذه الأسانيد الأندلسية التي أوردناها إنّما هي على سبيل المثال، ولا نبعد إذا قلنا إنه كان لكلّ أديب مشهور رواية في شعر المتنبي، وفي هذا ما يبين عناية الأندلسيين بتناقل هذا الشعر وتدارسه منذ ظهوره حتى آخر عهود الفردوس المفقود.

وقد انتشر شعر أبي الطيب في صقلية بواسطة علي بن حمزة اللغوي راوية المتنبي في مصر، وكان قد انتقل إلى بلرم حيث توفي سنة 375 هـ[24].

وانتشرَ كذلك من طريق محمد بن البر الذي روى شعر المتنّبي في مصر أيضاً سنة 413 هـ عن ابن رشدين عن المتنّبي؛ ورواه عن ابن البر جماعة من الصقلّيين منهم عبد الله بن محمد الصيرفي سنة (459هـ) وابن القطاع

---

(23) مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط.

(24) له ترجمة في إرشاد الأريب 13 :208 - 209 وبغية الوعاة 2 :165 وانظر: العرب في صقلية للدكتور إحسان عباس: 93 - 95.

الذي سنذكره مع شراح المتنبّي فيما بعد[25].

وكان لابن شرف وابن رشيق وغيرهما من أدباء القيروان الذين هاجروا إلى صقلّية أثرٌ كذلـك في نشر شعر المتنبّي بهذه الجزيرة[26].

وأما في المغرب الأقصى فلا نعرف متى درس فيه شعر المتنبي، وذلك لضياع أخبار المراكز الثقافية الأولى، ولكننا نقدّر أن شعر المتنبي عرف في المغرب بواسطة الأندلس.

وقد ذكرنا في الفصل السابق أن أقدم سند لمغربي وقفنا عليه في شعر أبي تمّام هو سند القاضي عياض في برنامجه المسمى بالغنية، ويبدو أنّ له سنداً في شعر المتنبي بواسطة شارحه ابن السيد البطليوسي وغيره من الأندلسيين الذين أجازوه[27].

ولا بدّ أن أبا موسى الجزولي كان له سند في شعر المتنبّي إذ إنّه اختصر أقدم شرح لهذا الشعر وهو الفسر لابن جني، وقد يكون ذكر سنده أو أشارَ إليه في مقدمة شرحه.

كما أن ابن خير الذي ذكرنا أسانيده فيما سبق هو فاسي المـولد والنشأة استوطن إشبيلية وروى عن علماء الأندلس.

ويمكن القول على العموم بأن أسانيد الأندلسيين في شعر المتنبي التي عرفت خلال عهود المرابطين والموحدين والمرينيين عرفت في المغرب أيضاً نظراً لما كان بين العدوتين من روابط الوحدة.

وسنرى فيما بعد كيف أنّ خزائن المنصور السعدي العلمية كانت تحتوي على نسخ متعدّدة من ديوان المتنبّي كلها عتيقة ومنسوبة ومروية ومجازة[28].

---

(25) تكملة ابن الأبار 2 :672 (وانظر كذلك رقم 367 في الملحق).

(26) ديوان المتنبي في العالم العربي: 44.

(27) راجع الغنية.

(28) انظر مقدمة ترتيب ديوان المتنبي للفشتالي في الفصل الخامس.

ب ـ الشروح:

لم يحظ ديوان من دواوين الشعر القديم بمثل ما حظي به ديوان المتنبّي من حيث الاهتمام بشرحه والعناية بتفسيره، وقد تجاوزت شروحه الأربعين شرحاً، يقول ياقوت: «ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح هذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان»[29].

وقد كان للأدباء المغاربة ـ بالمعنى الواسع ـ سهم كبير وحظ وفير من هذه الشروح سواء من حيث الكم أو من حيث الكيف.

وإذا تابعنا مذيل كشف الظنون فإنّ أقدم شرح أندلسي لشعر المتنبّي هو الذي نسبه إلى محمد بن أبان القرطبي، وهو أمر لم يردْ له ذكر في المصادر القديمة[30].

ولعلّ أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء القرشي الزهري القرطبي المعروف بابن الإفليلي (410 - 476هـ) هو أشهر شارح أندلسي لشعر المتنبّي وما يزال شرحه مخطوطاً، وتوجد منه نسخ في خزائن المغرب وغيره[31]؛ وقد عرف هذا الشرح قديماً في المغرب والمشرق وأثنى عليه العلماء، وأفاد منه شراح المتنبي من المشارقة كالعكبري الذي ذكره في مصادره ونقل عنه كثيراً[32]؛ واهتم به الأندلسيون في عصر صاحبه وبعد عصره، فألف ابن حزم كتاباً «في التعقيب على ابن الإفليلي في شرحه لديوان المتنبّي»[33] ورد أبو محمد عبدالله بن أحمد النباهي[34] تلميذ ابن

(29) إرشاد الأريب لياقوت ووفيات الأعيان 1 :121 تحقيق د. إحسان عباس.

(30) إيضاح المكنون 1 :527 وهدية العارفين 2 :44.

(31) انظر تعريفاً بهذا الشرح ومخطوطاته في كتاب تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: 94 - 116.

(32) شرح العكبري 1: 2 و241 - 242 ط. القاهرة 1308 هـ وانظر ما قيل في شرح ابن الإفليلي: رائد الدراسة عن المتنبي: 54 - 55.

(33) نفح الطيب.

(34) الصلة 1 :274 والمرقبة العليا: 20 وقد وهم بعضهم فظن أن المقصود بالنباهي هو أبو الحسن النباهي معاصر ابن الخطيب. انظر: رائد الدراسة عن المتنبّي: 73.

الإفليلي على أبي محمد ابن حزم، ولا وجود لهذين الكتابين اليوم.

لا توجد بين أيدينا ديباجة شرح ابن الإفليلي، ولعله تحدّث فيها عن طريقته أو منهجه في الشرح، وقد درس الدكتور الداية هذا المنهج في ضوء نسختي الخزانة العامة بالرباط والمتحف البريطاني وهما نسختان ناقصتان إذ أنهما لا تحتويان إلا على جملة من السيفيات، وتوجد من شرح الإفليلي نسختان تامّتان بدون ديباجة وهما تشتملان على الشعر الذي قاله أبو الطيب من أول السيفيات إلى آخر حياته، وهذا هو القسم الذي تمكن ابن الإفليلي من شرحه قبل وفاته ثم أكمل القسم الآخر وهو ما يعرف بشعر الصبا تلميذه الأعلم كما سيأتي، والقصيدة الأولى في نسختي الخزانة الحسنية هي:

وَفاؤُكُما كالرّبع أشجاهُ طاسِمُهْ
بأن تسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُهْ

وهي أولى السيفيات، أما آخر قصيدة في الشّرْح فهي التي قالها المتنبّي في وداع عضد الدولة:

فِدىً لكَ مَنْ يُقصِّرُ عَنْ نَداكا
فَلا مَلكٌ إذَنْ إلّا فَداكا

وهي آخر ما قال كما تنص المصادر ونسخ الديوان.

إن طريقة الشرح في هذا القسم الذي لم يقف عليه الدكتور الداية لا تختلف عن القسم الّذي حلله في رسالته الجامعية، فابن الإفليلي يقدّم أولاً شرح الألفاظ التي تحتاج إلى الشرح ثم ينتقل إلى شرح المعاني ويعرض في خلال الشرح إلى جزئيات نحوية أو بلاغية، كما يستشهد عند شرح الألفاظ أو المعاني أحياناً ببعض الشواهد من الشعر القديم أو من الشعر المولد، ومن أمثلة ذلك استشهاده بشعر الأخطل عند شرحه بيت المتنبي:

نَفَى وقْعَ أَطرافِ الرِّماحِ بسَيْفِهِ
وَلَمْ يَخْشَ وقْعَ النّجْمِ والدّبَرانِ

قال متحدثاً عن النجم والدبران: «وهما من منازل القمر، وليس في جميع المنازل منزلتان تتقارب تقاربَهما، وتسمي العرب ما بينهما ضيقة، ويتشاءمون بمواجهتها.. ولذلك يقول الأخطل وهو يهجو سعيد بن بيان التغلبي وكان تزوج بمرة بنت أبي معان التغلبي، وكان الأخطل يشبّب بها فقال:

وكيفَ يُداويني الطّبيبُ مِن الجَوَى
وبَــرّةُ عِنْــدَ الأَعْــورِ بْنِ بَـيــانِ
فهلّا زَجرت الطّير إذْ جاءَ خاطِباً
بضَيْقــة بينَ النّجمِ والـدبــران»

وقال في شرح قوله:

من الجــآذر في زي الأعــاريبِ
حُمْر الْحُلَى والْمَطايا والْجلاَبِيبِ

«وحمر الجلابيب من أحسن الملابس وأنقى المناظر وقدْ دَلّ على ذلك بشَار بقوله:

خُــذي مَــلابِسَ زيــنــةٍ
ومُــصَــبّــغــاتٍ فَـهْــي أشْـهَــرْ
وإذَا خــرجــتِ تــقــنّــعــي
بــالحســن إن الحســن أحــمــر»

وابن الإفليلي معجب بالمتنبي وبشعره ولهذا لا نجده يتعقب غلوه بالانتقاد كبعض الشراح فعندما شرح قول المتنبي:

لَـو الْفَلَكَ الـدوّارَ أبغض سَعْيَــه
لـعــوّقَــه شيءٌ عــن الــدّورَانِ

اكتفى بقوله: «وهذا الكذب من الشعراء ومثلُه قد فهم أهل اللغة

القصد منه وعلم المراد به، ذلك أن الشاعر إذا أراد أن يوجب لوصفه بلوغ غاية ما يمكن نسب إليه في تلك الجهة ما لا يمكن فعلم السامع عند ذلك أن الشاعر لم يقصد إلى إحالة لفظه والإزراء على نفسه ولكنه قصد إلى استيفاء الغاية وبلوغ أبعد أسباب النهاية وسهلت له الثقة بمعرفة قصده ما يتقلّده من المحال في ظاهر لفظه»[34م].

ويتصل بهذا الشرح اتصالاً وثيقاً بل يلتصق به التصاقاً شرح الأعلم الشنتمري، وهو خاص بشرحِ قصائد الصبا من شعر أبي الطيب المتنبي، وهكذا سماه الأعلم في مقدمة شرحه على حماسته[35]، وسماه كذلك البديعي في الصبح المنبي[36]، وقد ذكر ابن خلّكان في وفيات الأعيان أن الأعلم «ساعد شيخه ابن الإفليلي على شرح ديوان المتنبّي»[37] وعلق الدكتور رضوان الداية على هذا قائلاً: «ولا ندري معنى هذه المساعدة ولا مقدارها...» ثم قال: «ولعلّ ما بينهما في أمر الديوان مثل ما يكون بين الأستاذ وتلميذه النجيب من مباسطة ومباشرة، وقد يكون الأعلم دون شرح أستاذه»[38] والحق أن العبارة المذكورة تتضح لمن وقف على شرح الأعلم، ومن حسن الحظ أننا وقفنا على قسم كبير من هذا الشرحِ، وهو مصنّف مع ما يسمى بالخروم في خزانة القرويين، وقد ظل مجهولاً لكون هذه الخروم لم تكتشف إلا بعد صدور الفهرس القديم للخزانة الذي يعتمد عليه بروكلمان وغيره؛ وتدلنا مقدمة هذا الشرح على جملة أمور:

منها أن ابن الإفليلي توفي قبل أن يكمل شرح الديوان حيث إنه لم يشرح منه إلا نحو النصف من جملة شعر المتنبي، وبقي عليه قسم من شعره وهو الشعر الذي قاله الشاعر في صباه فنهض تلميذه بشرحه ليكون

(34م) مخطوط الخزانة الحسنية.

(35) مخطوط الخزانة العامة رقم 101 د.

(36) الصبح المنبي 1 :423, 426.

(37) وفيات الأعيان 7 :81؛ وانظر كذلك إنباه الرواة 4 :60 ومعجم الأدباء 7 :307.

(38) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: 118.

كما يقول في المقدمة: «هذا الشرح موصولاً بشرحه المذكور، ومضافاً إلى تأليفه المشهور، فيكمل بذلك جميع الشعر مشروحاً» ويذهب الأعلم إلى أن الغاية من تكملته شرح أستاذه بشرحه هي أن «يستغني بهما عن شرح أبي الفتح ابن جني وغيره» ثم يبيّن رأيه في شرح ابن جني الذي يعتبر أقدم شرح لشعر المتنبي قائلاً: «تصَفّحته وأشرفتُ عليه فألفيته متشاغلاً فيه بتبيين اللغة والتصريف والإعراب عن تحقيق المعاني وتبيين الأغراض، ورأيتُ خطأه في تأويل المعاني أكثر من إصابته فيها وإعراضه عن تبيين المشكلات منها أكبر من إقباله عليها، وليس هذا قدحاً في علمه، ولا تسارُعاً إلى ظلمه وهضمه، ولكن معاني الشعر كثيراً ما زلّ العلماء في تأويلها، وضلّوا عن منهاج سبيلها، وذكروا عجز كثير من العلماء عَنْها والتقصير منهم فيها ولذلك قال أبو عمرو بن العلاء: العلماء بالشعر أقلُّ من الكبريت الأحمر، وقال الأصمعي: فرسان الشعر أقلّ من فرسان الحرب»[39] ونحن لا نعد هذا الكلام من قبيل التعالم الفارغ أو الدعوى العريضة لأن الأعلم بشروحه المتعددة والمتنوعة للنصوص الشعرية الجاهلية والإسلامية يأتي في الصف الأول بين الشراح الأقدمين على الإطلاق، كما أنه لم يكن الوحيد الذي انتقد شرح ابن جنّي فقد كتبت ردود متعدّدةٌ عليه[40]، وقد نفهم من كلامه إحساساً بمعنى الكتاب الأندلسي واتجاهاً إلى الاستغناء به عن غيره، ويعرض الأعلم في فقرة من مقدمته إلى طريقته في الشرح فيقول: «وقد شرحت هذه الجملة المذكورة من شعره شرحاً يقتضي تفسير غريبها ومعانيها ويحتوي على تقريب أغراضها ومراميها، ويسهل الصعود إلى معارجها ومراقيها، وضمنته التنبيه على محاسن أبي الطيب في شعره ومساويه مما استحسن له أو قدح فيه، وإن عن من الإعراب شيء يحتاج إلى ذكره مما يتحقق به معنى أو

(39) مخطوط خزانة القرويين.

(40) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس: 284 - 287 ورائد الدراسة عن المتنبي: 58 ,186.

يتبين به لفظ أو تقع معه فائدة ذكرته»[41]، وفي آخر المقدمة يطيل الأعلم الثناء والدعاء للمعتضد العبادي صاحب إشبيلية ولولي عهده المعتمد الذي ألف الكتاب برسمه كما جرت عادة الأعلم في إهداء مؤلفاته[42].

وتدلنا القراءة السريعة للقطعة الموجودة من شرح الأعلم على أنه سار فيه على منهجه المذكور وهو منهج مبني على التركيز والإيجاز والقصد والاعتدال إذ تندر فيه الروايات والأقوال وترد فيه بين الحين والحين بعض الشواهد من الشعر القديم والمحدث، وقد أشار مرات إلى ابن جني[43] وذكر الوحيد مرة[44] وأتى له بكلمة في انتقاد المتنبي، وثمة فقرة في هذه المقدمة تشير إلى وقوف الكتاب الأندلسي على قدميه، وتذكر الشكوى ممن يقف الإحسان على ما هو مشرقي أو ينسب الفضل إلى القديم فحسب، وهي قوله: «وأرجو أن يكون هذا الشرح كافياً لمن أنصف، شافياً [لمن أولى] الإحسان لصاحبه واعترف، ونكب عن طريق البغي والحسد، وأعرض عن الاعتلال بالعصر والبلد، ونعوذ بالله من العجب بما نحسن ونعلم، كما نعوذ به من الادعاء لما لا نعقلُ ولا نفهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[45] وستكبر هذه الشكوى عند ابن بسام في مقدمة الذخيرة والحميري في مقدمة البديع في وصف الربيع وعند غيرهما فيما بعد.

ولقد أعددنا الموجود من هذا الشرح وننوي إصداره قريباً بحول الله، وفيما يلي نموذج منه:

«وقال أيضاً في صِباه:

---

(41) المصدر أعلاه.

(42) نجد هذا في مقدمة شرح الأشعار الستة ومقدمة شرح شواهد كتاب سيبويه ومقدمة شرح ترتيب الحماسة.

(43) المصدر أعلاه.

(44) المصدر نفسه.

(45) المصدر نقسه.

أرق عَـلَى أرق ومـثـلي يـأْرَقُ
وجـوىً يـزيـدُ وعَبْـرةٌ تتـرَقْـرَقُ
جُهْد الصّبابة أن تكونَ كَما أرى
عـينٌ مُـسَـهّـدةٌ وقـلبٌ يـخـفِـقُ
مـا لاحَ بـرْقٌ أو تـرنّمَ طـائِـرٌ
إلّا انـثـنـيـتُ ولـي فـؤادٌ شَـيّـقُ

الأرق: السّهر، والجوى: فساد الجوف، والعبرة الدمعة، وترقرقها ترددها في العين، والجهد بلوغ الغاية في كل شيء، والصّبابة رقة الشوق، ولاح البـرق إذا لمع، وانْثَنَيْتُ رجعت وصـرت. يقـول: أرقي متتـابـع، وجواي متزايد، ودمعي مترقرق، ومِثْلي مِمّنْ عشق عشقي، وفوجىء بمثل فراقي لإلْفي، يأرق ويسهر ويجوى ويستعبِر، ثم بيّن جهد صبابته وشدة حزنه بما وصف من تَسْهِيدِ عينيه وخفقان قلبه، وذكر أن البرقَ وترنّم الحمام يَبْعَثَانِهِ على الحزن ويهيجان ما سكن من لاعج الشوق، وذلك لتـذكره بالبرق وتبسّم الحبيب وَتَرنُّمِ الحمام فَقْدَ الإلف والأنيس.

جَرّبْتُ مِنْ نار الهَوى ما تنْـطفي
نـارُ الغَضى وتـكلُّ عمّـا تُحْـرِقُ
وعـذَلْتُ أهْـلَ العشْق حتّى ذقتُـهُ
فعجبتُ كيفَ يموتُ مَن لا يعْشَقُ
وعــذَرْتُهم وعــرفْت ذنبـيّ أنّنـي
عيّــرتهمْ فلقيتُ فيــه مــا لَقُــوا

نار الغضى أشدّ النار لَهباً، وهو شجرٌ يضرب المثل بجمره، فيقالُ: نار الهوى، أشدّ من نار الغضى، فلو جرّبت في إحراق شيء لطفئت نار الغضى وَكَلّتْ عمّا تحرق نار الهوى، وألزم همزة تنطفي. التخفيفَ والبدلَ ضرورة، ثم قالَ: كنت أعذلُ أهل العشق عَلى ما يَبْدو منهم من الحزن

والضّعْف حَتّى بُليتُ به وَجَرّبْتُهُ [فعرفت أنّ من يعشق يموت]، وعجبت من كل من يموت دون عشق، وعذرتهم فيما يظهرون من الحزن وعلمت أني مذنب في تَعْييري لهم به فلقيتُ فيه مثل ما لقوا عقوبة وجزاء وَمن أمثال العرب: مَنْ يَرَ يوماً يُرَ بِهِ والدهر لا يغتر به.

أبنِي أَبينــا نحنُ أهْــلُ منــازِلٍ
أبــداً غــرابُ البيْنِ فيهــا ينْـعَقُ
نبكي على الدُّنيا ومـا مِنْ مَعْشَرٍ
جمعتْهُم الــدُّنيــا فلم يَتَفــرَّقــوا

قوله: أبني أبينا كقولك يا إخوتنا، وأراد بغراب البين دَاعِي الموت ونقل لفظ الغَزَلِ إلى الوعظ، وهذا من عادته لحذقه وحسن تصرُّفه، ويقال نغق الغراب بالغين مُعْجمة، وقد يقال نعق بالعين. والمعنى أن كل منزل فلا بد من حلول الموت بأهله، وكل مجتمِع إلى افتراق، فَلِم نبكي على الدنيا وَلِمَ نحزن على ما فات منها:

أيْنَ الأكـاسـرةُ الجَبــابـرةُ الأُلَــى
كَنزوا الكُنوزَ فَمَـا بَقِينَ وما بَقُــوا
مِن كُلِّ مَنْ ضَاقَ الفضاءُ بِجَيْشِهِ
حَتَّى ثَــوَى فَحَــوَاه لَحْــدٌ ضَيّقُ
خُــرْسٌ إِذَا نُودُوا كَـأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ الكـــلامَ لَهُمْ حَــلالٌ مُــطْلَقُ

الأكاسرةُ: مُلُوكُ الفـرس، وَاحِدُهـم كسـرى، وهو جمـع على غير قياس، والجبابرة: جمع جبّار، ويقال أيضاً جبّير، والأُلَـى: في معنى الذين لا واحد له من لفظه، والفضاء: ما اتسع من الأرض، يقولُ: فيمن مضى من الملوك الجبابرة عِظَةٌ لمن بقي ومعنى ثَوَىٰ أقام ميتاً، وهو بالثاء ثَلاث

نقط، ويقال توى بالتاء إذا هلك، ثم قال خُرُسٌ إذا نودوا أي هم أموات قد خَرِسُوا عن الكلام كأنه محرم عليهم وهو حلال لهم مطلق لو استطاعوا.

فـالمـوتُ آتٍ والنّفـوسُ نفـائسٌ
والمسْتعِـزُّ بِمَـا لَـدَيْـهِ الأحْمَقُ
وَالمَـرْءُ يـأمُـلُ والحيـاةُ شَهِيَّـةٌ
وَالشَّيْبُ أَوْقَـرُ والشبيبـةُ أَنْـزَقُ

النفائس: جمع نفيسة، والمستعزّ: المغتر، يقول: لا بد من الموت وحلوله بالنفوس وَإِنْ كَانَتْ نفيسةً شـريفةً فلا يعرجُ عَنْهَا لنفاستها، ومن اغترّ بما لديه من أعراض الدنيا وأعلاقها وصالح أحوالها فهو أحمق ضعيف التمييز والرأي، ثم وصف الأحوال في الدنيا وعظاً وتأديباً فقال: المرءُ يأمل أبداً ما لا يناله ويشتهي من الأشياء ما لا يدوم له ويطرأ عليه من الشّيب ما يكرهه وَإِنْ كَانَ أدْعى إلى الوقار من الحداثة والشبيبة، ويرحل عنه من الشباب ما يسوؤه رحيلـه وإن كان ذلك أدعى إلى النزق والخفّة.

ولقَـدْ بكيتُ علَى الشَّبابِ ولمّتي
مُـسْـودَّةٌ ولـمـاءِ وجْـهـي رَوْنَـقُ
حـذراً عليـهِ قَبْـلَ يـوم فـراقِـه
حَتّى لكِـدْتُ بماءِ جَفْني أَشْـرقُ

اللّمـة من الشعر مـا ألمّ بالمنكب، والـرونق الحسن والنضـارة، والشّرق: الغَصَص بالماء فإن كان بالرّيق فهو جرض وَإن كان بالطعام فهو غصص، أي بكيت على الشباب قبل فقده حذراً عليه وَإشْفَاقاً من ذهابه فلم ينفعني ذلك.

أمّـا بنو أوس بنِ مَعنِ بنِ الرّضى
فـأعـزّ من تُحْـدَىٰ إليـه الأينُقُ

كبّـرتُ حولَ ديـارِهِمْ لمّـا بـدَتْ
منها الشُّموسُ وليسَ فيها الْمَشْرِقُ

الأينق: جمع ناقة، والأصل فيها أنْوُق فحذفت الواو استثقـالاً لها وعوضت الياء من ذهابها، ويجوز أن تُبْدَلَ الياءُ من الواو لأنها أخفّ منها وقلبت اللفظة لتسكن الياء. يقول: هم أعزّ من وُفِدَ إليه وأكرمُ من نُزِلَ عليه، وهم في الاستضاءة بآرائهم وحسن مناظرهم واسْتِبْشَارهم كالشموس فكأن ديارهم مشارق الشموس وَإِنْ لم تكن في حيز المشرق يـريد أن ديارهم في ناحية المغرب.

وَعَجِبْتُ مِنْ أرضٍ سحابُ أَكُفِّهِـمْ
مِنْ فَـوقِها وصخـورُهـا لا تُـورِقُ
وتفـوحُ من طيب الثنـاءِ روائـحٌ
لَهُمُ بـكـلّ مكـانـةٍ تُـسْتَـنْشَـقُ
مِـسكيّـة النّـفَحـاتِ إلاّ أنَّـهَـا
وَحْشـيّـةٌ بسـواهُـمُ لا تَـعْـبَقُ

يقال: مكانٌ ومكانة، ومنزل ومنزلة، ودار ودارة، وإزار وإزارة ومغْنى ومغْناةٌ ومجرى وَمجراة وريح وريحة. يقول ذكرهم منتشر طيّب كما أن جودهم متّصل شامل، فعجباً من أرض تتوالى فيها أمطار جودهم، ويرى بها مع ذلك أثر فقر على بعض ساكنيها وضرب الصخور لذلك مثلاً وذَكر أنّ روائح ثنائهم كالمسك وأَنّ ثناءَها منهم لأنهم أهلها ومشهورون بها وَأَنَّهَا وحشية مضرّة بغيرهم لا تعبق أيْ لا تفوح ولا تطيب لأنهم ليسوا من أهلها.

أُمُريدَ مِثْـلِ محمَّدٍ في عَصْـرِنـا
لاَ تَبْلُنـا بـطِلاَب مـا لاَ يُـلْحَقُ
لَمْ يخْلُق الـرّحمنُ مثْـلَ محمّـدٍ
أحـداً وظَـنّي أنّـهُ لا يـخـلَقُ

يقول: مَنْ طَلَب مثل هذا الممدوح في عصره فَقَدْ طلب ما لا يُدْرَك وَلا يُلحق ثمَّ غَلاَ في وصفه فقطع على أنَّ الله تعالى لَمْ يخلق مثله فِيمَا مضى وَشكّ في أن يخلق مثله فيما بقي لأنه قد علم ما كان فما مضى من الزمان ولم يعلَمْ مَا يكون بعد، وَرَبْطه لما يُسْتقبَلُ بالظن إثباتٌ لدعواهُ بينما قطع عليه في... الماضي بزعمه:

يـا ذا الذي يهَبُ الكثيـرَ وعنـدَهُ
أنّـي عـليـه بـأَخْـذِه أتـصَـدّقُ

أَمْـطِرْ عليّ سَحَـابَ جُـودِكَ ثـرّةً
وانــظرْ إليّ بـرَحْمـةٍ لا أغْـرَقُ

كَـذَبَ ابْنُ فَـاعِلَةٍ يقـول بجَهْلِهِ
مـاتَ الكـرامُ وأنت حيّ تُـرْزَقُ

المتصدّق: المعطي، وقد يكون السائل، قال الشاعر:

لَـوْ أنّهُمْ رُزقـوا عَلَى أقـدارِهِمْ
ألفَيْتَ أكْثَـرَ مَنْ تَـرَى يَتَصَـدّقُ

والبيت مأخوذ من قول زهير:

تـراهُ إذا مـا جئـتَـهُ مـتـهـلّلاً
كـأنكَ تُعـطيه الّـذي أنتَ سـائلُه

ولم يرد أنه حريص على الأخذ، وإنما يريد أنّ سروره بما يهب كسروره، وسرور غيره بما يوهب له على ما عُهِدَ وتعورف، والثرّة والثرثارة الغزيرة، يقول إن لم تتلافَني برحمة منك وإشفاق عليّ غرِقت في تيار جودك أي إن لم تُقصر عن بعض ما تهبه لي من جزيل هباتك أفضى بي السرور بتواليها وكثرتها إلى الموت وهذا كقول أبي تمام:

لُهىً تَسْتثيرُ العقلَ لَـوْلا اتصالُهـا
بحُسْنِ دفـاع الله وَسْـوَس سـائِلُهْ

وأراد بابن فاعلة ابن زانية، فكنى عنها، يقول من زعم أن الكرام قد انقرضوا فقد كذب لأنك تنوب مناب جميعهم ما حييت».

وثمـة شـرح أندلسي ثالث وصل إلينا كذلك لحسن الحـظ ونعني به شرح مشكل أبيات المتنبّي لأبي الحسن علي بـن سِيدَة مؤلف المحكم والمخصص وغيرهما من المؤلفات، وقد توارد على تحقيقه ونشره عدد من المحققين في مصر وسورية والعراق[46].

وهـذا الشرح وإن كان شرحاً جزئياً إلاّ أنّه ذو قيمة خاصّة من حيث التفاته إلى ظاهرة في شعر المتنبي أسماها الأقدمون: مشكل أو مشكلات شعر المتنبي، وسماها آخرون أبيات المعاني في شعر المتنبي، ويمكن أن نطلق عليها ظاهرة الغموض في شعره، وقد شغل بها بعض شراحه مثل ابن جني في كتابه: الفتح الوهبي، على مشكلات المتنبّي، والأصفهاني في مؤلفه: الواضح في مشكل شعر المتنبي، وابن عبد الملك الشنتريني في الجزء الرابع من كتابه: جواهر الآداب، وقد نشـر هذا الجـزء بعنوان: سرقات المتنبي ومشكل معانيه ونسب خطأً إلى ابن بسام الشنتريني[47]، وسنتحدّث عنه فيما بعد.

ويتميز شـرح ابن سيدة بميزة واضحة وهي تعرضه للجوانب المنطقية والفلسفية في شعر المتنبّي ومعالجة مواضيع الحكمـة فيه، مـع مناقشـة القضايا اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية، وله ملاحظات ومؤاخذات على الشاعر، وهو في جملته يمثل إسهـاماً أندلسيـاً كبيراً في خدمـة شعر

(46) حققه مصطفى السقا وحامد عبد المجيد في مصر ورضوان الداية من سورية والـشيخ محمد آل ياسين في العراق. انظر رائد الدراسة عن المتنبي: 46.
(47) طبع الكتاب في تونس بتحقيق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور سنة 1970.

المتنبّي وينبىء عن المستوى العالي الذي وصلت إليه الثقافة في الأندلس فابن سيدة في هذا الشّرْح يخالف أبا الفتح ابن جني وأبا علي الفارسي[48] في الرأي ولا يأخذ ببعض ما ذهبا إليه وينزع إلى الاجتهاد في التوجيه والاستقلال في الفهم، وفيما يلي أنموذج من شرحه يدلّ على ما أشرنا إليه:

«وضاقَتِ الأرضُ حَتّى كانَ هارِبُهُمْ
إذا رأى غَيْـر شَيْءٍ ظَنّـهُ رَجُـلاً

أما الرؤية فلا تقع على غير شيء، لأن غير شيء ليس بمحسوس إحساس الجوهر ولا إحساس العرض، لأن غير شيء خارج من الجوهر والعرض لأن كل واحدٍ من الجوهر والعرض شيء، وإنّما أرادَ هـذا الشاعر: إذا رأى غيرَ شيءٍ يحفَلُ به، فهـو في قوة قولك إذا رأى شيئاً لا يحفل به ظنّه رجلاً، كقول العرب: إنك ولا شيء سواء، ومحال أن يسوّى بين الموجود والمعدوم لأنهما في طريق التضادّ ولكنهم يريدون إنك وشيء لا يعبأ به سواء، ولكنهم قالوا: إنّكَ ولا شيء، واكتفوا به من قولهم: وشيء لا يعبأ به، لأنّ ما لا يعبأ به كالمعدوم، ولذلك ألزمنا سيبويه النصب في قوله: إنّما سرت حتى سأدخلها، إذا كنت محتقراً للسير، قال الفارسي: إنما ذلك لأنه لا شيء أقرب إلى طبيعة النفس من الاحتقار، والنفي عدم، فجعل الاحتقار كالعدم»[49].

وظهر في هذا العصر أيضاً شرح عبد الدائم بن مرزوق وهو أحد أعلام القيروان الذين ألجأتهم زحفة بني هلال إلى الأندلس، وقد أسمى شرحه لِشعر المتنبّي «المكتفي»، ويبدو أنه ألفه بالأندلس لأنّه أورد فيه أشعاراً لبعض الأندلسيين حسبما يستفاد من «التكملة» لابن الأبار، والشرح

---

(48) شرح مشكل شعر المتنبي (انظر الفهرس) تحقيق د. رضوان الداية.
(49) المصدر نفسه: 33.

مفقود اليوم، وقد نقل عنه ابن الأبار أبياتاً في التكملة ثم قال: «أوردها عبد الدائم بن مرزوق القيرواني في شرحه لشعر المتنبّي الذي أسماه بالمكتفي»[50].

ولعلّ تلميذه ابن السيد البطليوسي استفاد منه في شرحه لديوان أبي الطيب، وهو شرح مفقود كذلك، ولا معنى لتشكّك بلاشير في موضوع شرح ابن السيد[51]، فقد ذكر في عدد من المراجع، وكان ابن السيد يستظهر شعر المتنّبي، ولذلك نجده في شرح سقط الزند واللزوميات يلح إلحاحاً بالغاً على التنظير بين معاني المتنبي ومعاني المعرّي ويفاضل بينها[51م]، ولا بدّ أنه نهج فيه منهجه في شرح اللزوميات بالتعرض إلى المعطيات الفلسفية كما فعل ابن سيدة من قبله.

وممّا لا شك فيه أن القرن الخامس الهجري كان القرن الذي شغلت فيه البيئات الأدبية في الغرب الإسلامي بالمتنبي على نحو واسع، ولكن ليس معنى هذا أن الاهتمام به ضعف أو توقّف بعد عصر الطوائف في القرن الخامس، ونحن نستغرب كثيراً رأي الأستاذ بلاشير الذي يقول: «كان استيلاء المرابطين القادمين من المغرب الأقصى على الأندلس موقفاً بطبيعة الحال - كذا - الشهرة التي تمتّع بها ديوان أبي الطيب، فقد حملوا معهم تعصّباً ضدّ كل ما هو غير ديني، ولكن ذلك لم يستمر إلا بضع سنين فمنذ سقوط هذه الأسرة استرجع الديوان كلّ نفوذه لدى المثقّفين الأندلسيين»[52] وهذا رأي تشم منه رائحة التعصّب الذي نشره دوزي ومن تبعه من

---

(50) التكملة: 410 (ملحق).

(51) ديوان المتنبي في العالم العربي: 49 - 50؛ وراجع رائد الدراسة عن المتنبّي: 44 - 45.

(51م) انظر س: 1: 44، 45، 58، 64، 70، 77، 78، 82، 86، 91، 95، 99، 100، 102، 105، 142، 157، 158، 161، 169، 176، 186، 215، 219، 222، 232، 234، 269، 272، 319، 337، 343، 346، 356 ومواضع أخرى كثيرة من الجزء الثاني.

(52) ديوان المتنبي في العالم العربي: 50.

المستشرقين حول هذه الدولة المجاهدة، وهو رأي بعيد عن الصّواب، ولعلّ خير تفنيد له هو ما ورد في الحوليات التاريخية من أن يوسف بن تاشفين اكتفى بالجواب على خطاب الفونسو السادس ببيت واحدٍ من شعر المتنبّي وهو:

ولا كتبَ إلّا المَشْرَفية والقَنا
ولا رُسُلٌ إلا الخميسُ العرَمْرَمُ[53]

وإذا كان الأمرُ في حاجة إلى أدلّة وشواهد فإني أذكرُ ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ أن قاضي المرابطين ابن العربي كان يحفظ ديوان المتنبّي ويكثر من التمثّل به[54]، وكان قاضيهم الكبير عياض يروي شعر المتنبي عن شارحه ابن السّيد البطليوسي في جملة ما رواه عنه[55].

وأبو بكر المرادي ـ وهو من رجال هذه الدولة ـ يستشهد في كتابه «الإشارة، في تدبير الإمارة» بشعر أبي الطيب ويقول في باب الإنفاق وصفة الجود: «وأحسن ما رأيت في الجود والإمساك من أقوال الحكماء والشعراء قول أبي الطيب المتنبّي:

فَلا ينحَلِلْ في الجودِ مالُك كلُّه
فينحَلُّ مجدٌ كان بالمالِ عَقدُهُ
وَدَبّرْهُ تدبيرَ الّذي المجدُ كَفُّه
إذا حارِبَ الأعداءَ والمالُ زَنْدُهُ
فلا مجدَ في الدّنيا لمن قلّ مالُه
ولا مالَ في الدّنيا لمَنْ قلّ مجدُه[56]

(53) انظر أحكام صنعة الكلام: 164.
(54) نفح الطيب.
(55) الغنية (ترجمة ابن السيد).
(56) الإشارة، في تدبير الإمارة: 144 تحقيق د. سامي النشّار.

كما أنه ضمّن بعض أبيات المتنبي في بعض شعره، ذكر ابن بسّام أنه «كانت بينه وبين الشيخ أبي محمّد عبد العزيز التونسي مناقضة في مسائل من العلم، فسافر المرادي عن أغمات، وكتب عند رحلته إليه بهذه الأبيات:

قلْ لعبدِ العَزيزِ يكثر مِنْ بعدِ
يَ ما شاءَ منهُ قيلاً وقالا
وتشَجّعْ ما غبتُ عنكَ فإنّا
قَدْ ضربْنا لَكَ الأمثالا
«وإذا ما خَلا الجبانُ بأَرْضٍ
طلَبَ الطعنَ وحدَهُ والنّزالا»[57]

وثمة أمثلة أخرى لا أريد أن أتتبّعها بالاستقصاء.

أما شعراء المرابطين الذين تأثروا بالمتنبّي وعارضوه فمنهم الأعمى التطيلي وابن عبد الغفور وابن خفاجة وابن أبي الخصال وابن المرخي وغيرهم[58]، وفي عصر المرابطين ألّف أحد كتابهم وهو أبو القاسم ابن عبد الغفور الكلاعي كتاب الانتصار لأبي الطيب[59]. ووضع ابن عبد الملك الشنتريني معجماً لمشكل شعر المتنبي وسرقاته[60].

وألّف ابن بسام الذخيرة الحافلة بأصداء المتنبي[61]، كما ألف ابن خاقان كتابه القلائد وفيها ذكر لأبي الطيب[62]، ثم إن معظم أهل الأدب

(57) الذخيرة 1/4: 367.
(58) راجع ديوان الأعمى التطيلي وديوان ابن خفاجة والذخيرة لابن بسام.
(59) وردت نقولٌ منه في كتاب أحكام صنعة الكلام.
(60) نشر منسوباً إلى ابن بسّام، وهو باب من كتاب جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب لابن عبد الملك الشنتريني المعروف بابن السراج.
(61) راجع فهارس الذخيرة.
(62) وردت أبيات للمتنبّي في قلائد العقيان.

الذين عاشوا في عهد الطوائف أدركوا عصر المرابطين ولا يصح الفصل بين الحقبتين، ولذلك اعتبرهما الدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي عصراً واحداً؛ ومقولـة الأستاذ بـلاشير عن المتنبي في عصـر المرابطين بالأندلس هي جزء من مقولة كبرى ردّدها بعض الدارسين، وهي كسـوف الشعر وكسـاد الأدب في عهد المـرابطين، وهي مقـولة تبـطلها النصوص الأدبية والشواهد التاريخية.

أما في عصر الموحدين فقد ظهرت بالأندلس شروحٌ متعددة:

منها شرح أبي الحسن علي بـن عصفور الإشبيلي «حامل لواء العربية بالأندلس» كما يقول ابن شاكر في فوات الوفيات وقد عدّ من شروحه «شرح المتنبّي»، ويبدو أنه مفقود ولعلّه يندرج ضمن الشروح التعليمية التي تعنى بالجوانب النحوية والصرفية واللغوية إذ إن ابن عصفور «لم يكن عنده ما يؤخذ عَنه سوى العربية»[63].

ومنها شرح أبي عبدالله محمد بن أحمد الأستجي، وقد أسمـاه: «ظهور الإعجاز، بين الصدور والأعجاز» وهو شرح مفقود مع الأسف، وكان الأستجي قد درس شعر أبي الطيب في حلقة الشلوبين، وقرأه أيضاً «قراءة فهم لمعـانيه، وإعراب لألفاظه، وتحقيقٍ للغته، وتنقير عن بديعه» على كبير مؤدّبي قرطبة في وقته أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميري[64].

ويبدو أنه التزم في شرحه بطريقة أستاذه الحميري وحقق فيه الأغراض الأربعة المذكورة وهي تفهيم المعاني، وإعراب الألفاظ، وتحقيق المعاني وإبراز البديع.

ويدل عنوان هذا الشرح على إعجاب صاحبه بالمتنبّي ويخيل إليّ أنه اشتق عنوانه المسجوع من عنوان شرح المعري: معجز أحمد».

---

(63) فوات الوفيات 2 :185 وانظر نموذجاً لما ذكرناه في المقرّب.

(64) الإحاطة 2 :325.

ويبدو هذا الإعجاب في نثره، فهو يتمثل بأبياته ويتوكأ على أشطاره، قال في إجازته: «ولولا ثقتي بغمام فضلك الصيّب، لتمثلت لنفسي بقول أبي الطيّب:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ
أراهُ غباري ثم قال لـه الْحَقِ

فإن رضيت أيها العلم، فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألم»[65].

ويظهر أن الأستجي عنى في شرحه بالأغراض البديعية في شعر المتنبّي، ومن المعروف أن معظم المباحث البلاغية عند الأندلسيين كانت تتجه إلى هذه الأغراض[66].

ولعلّ أُطْرَفَ الشروح الأندلسية التي وقفنا على خبرها هو شرح أبي الحسن فضل ابن فضيلة المعافري الأوريولي الذي فسّر شعر المتنبّي تفسيراً صوفياً، وقد سمى هذا التفسير «شرح الأبيات الكندية، على الطريقة الصوفية»[67]. والعنوان في تركيبه شبيه بعنوان «المآخذ الكندية، من المعاني الطائية» لابن الدهّان، ولكن منحى هذا الأخير شيء آخر.

وشرح ابن فضيلة مفقود على ما يبدو، ولذلك فإنّنا لا نعرف الأبيات التي اختارها من شعر المتنبّي ولا طريقته في تفسيرها ولا بدّ أنه وجّه معانيها توجيهاً صوفياً وشرحها شرحاً إشارياً، ومثل هذا العمل ليس بمستغرب، فقد جرت عادة أهل التصوّف أن يؤوّلوا بعض الغزليات والخمريات ويصرفوها إلى الحب الإلٓهي والخمرة الصوفية، وقد وجدناهم يستشهدون بشعر المتنبّي في مقامات ومناسبات صوفية كما في «التشوف»

(65) المصدر نفسه.

(56) مقدمة ابن خلدون: 1385 تحقيق د. وافي.

(67) الذيل والتكملة 5 :541 حاشية رقم 1.

للتادلي[68] و«روضة التعريف» لابن الخطيب[69].

كان ابن فضيلة يجمع بين التصوف والأدب، وكان «أوحد عصره» في الطريقة الصوفية وقد ألف شرحه هذا في غرناطة بني نصر التي أوى إليها مع أهل شرق الأندلس الذين طردوا من ديارهم، وكان منهم آل سيد بونه أصحاب هذه الطريقة الصوفية التي ولدت في ظل تلك الأوضاع المؤلمة الداعية إلى الزهد والاعتبار، وكان لهذه الطريقة تأثيرها الكبير في المجتمع الغرناطي[70]، وكأني بهذا الأديب المتصوف أرادَ أن «يوظّف» شعر المتنبّي - بما له من سلطان - في خِدْمة طريقته الصوفية ويحوّلَ معانيه الدنيوية إلى معان دينية.

يقول الأستاذ بلاشير في كتابه عن المتنبّي ما ترجَمَتُه: «لم تر الأزمان التي تلت سقوط الموحدين أي كتاب جديد عن ديوان أبي الطيب لا في المغرب ولا في الأندلس»[71].

فأمّا في الأندلس فقد رأينا هذا الشرح الصوفي الذي كتب في عهدِ بني الأحمر، وقد يكون ثمة غيره ممّا لم يبلغنا خبره.

وأمّا بالنسبة للمغرب فسنتحدث عنه بعد قليل.

ولم تكن عناية البيئات الأدبية في صقلية وإفريقية والمغرب بتدارس ديوان المتنبي أقلّ حظّاً ممّا رأينا في الأندلس.

---

(68) التشوف: 346, 353 تحقيق أحمد التوفيق.

(69) روضة التعريف (الفهرس) تحقيق محمد الكتّاني؛ وقد ذكر ابن شاكر أن ابن تيمية كان ينكر على المتنبي في مبالغته ويقول: في شعره شيء لا يصح أن يكون إلا لجناب الله تعالى؛ قال: وربما قلت في سجودي من شعره:

يا من ألوذ به فيما أؤمّله ... ومن ألوذ به ممّا أحاذرُه

لا يجبر الناس عظماً أنتَ كاسِرُه ... ولا يهيضون عظماً أنت جابره

راجعهما في الديوان 2 :122 ط. البرقوقي.

(70) راجع الإحاطة ورحلة ابن بطوطة وأطروحة الدكتور محمد مفتاح.

(71) ديوان المتنبّي في العالم العربي: 52.

وممّا بلغنا عينه أو أثره من ذلك شرح أبي القاسم على ابن القطاع الصقلّي، وقد بقيت منه قطعة حققها الدكتور محسن غياض ونشرها بعنوان: شرح المشكل من شعر المتنبّي[72]. ومن الشروح الصقلية شرح أبي علي الحسين بن عبدالله الصقلّي، وتوجد منه نسخة نفيسة بمكتبة ولي الدين بالآستانة، ويقوم بتحقيقها أحد الباحثين[73].

أما الشروح الإفريقية (التونسية) فمنها كتاب ما أخذ على المتنبي، وكتاب أبيات المعاني في شعر المتنبي للقزاز، وقد يستفاد من عنوان الكتاب الأول أنّه كان من خصوم الشاعر أو المتأثرين على الأقل بابن وكيع، وقد أشار القزاز في كتابه: ما يجوز للشاعر في الضرورة إلى بعض المآخذ على المتنبّي[74].

وهنالك تونسي آخر من أهل القرن الثامن الهجري «كتب على ديوان المتنبّي كتابة جيدة» حسب عبارة ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة، وهو أبو عبدالله محمد ابن القويع، وقد عرف شرحه في مصر حيث استقر وتوفي سنة 738 هـ[75].

وَأما في المغرب الأقصى الذي عانى قديماً من إهمال المؤرخين فأقدم من نعرف أنه اشتغل بخدمة ديوان المتنبّي هو النحوي الكبير أو موسى الجزولي مؤلف الكراسة المشهورة.

ولعل ولعه بالإيجاز هو الذي حمله على اختصار الفسر لابن جني، وقد وصل هذا الاختصار إلى المشرق واطلع عليه ابن خلكان، قال في الوفيات: «ورأيت له مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي»[76].

---

(72) مجلة المورد ـ العدد الخاص بالمتنبي.

(73) انظر في هذا الشرح: رائد الدراسة عن المتنبّي: 64.

(74) انظر المآخذ في الكتاب المذكور من ص 28 إلى ص 35 تحقيق المنجي الكعبي.

(75) نيل الابتهاج: 232 - 233 وبغية الوعاة 1 :228.

(76) وفيات الأعيان (ترجمة الجزولي) والرائد: 59.

ونقدّر أن الحياة الأدبية في المغرب عرفت مظاهر أخرى من الانشغال بديوان المتنبي في أيام الموحدين والمرينيين بدليل تأثيره الملموس في شعراء تلك الأيام غير أنّنا لَمْ نقف في المظانّ على شيءٍ من ذلك، وعلينا أن ننتظر زمن السعديين لنشهد حركة أدبية حول ديوان الشاعر الكبير، وسنتحدث عنها فيما بعد.

ج ـ لعل أكبر معركة نقدية في تاريخ الأدب العربي القديم هي التي قامت حول المتنبي بين أنصاره وخصومه، ويكفي أن أشير إلى أسماء الحاتمي وأبي العباس النامي والصاحب ابن عباد وابن جني وأبي العباس الأزدي وأبي القاسم الأصبهاني والوحيد البغدادي وابن وكيع التنيسي والقاضي الجرجاني والثعالبي والعميدي والمعري وابن فورجه وغيرهم من أهل النقد في المشرق[77].

وقد انتقلت هذه المعركة النقدية حول المتنبي إلى بلدان المغرب والأندلس، فكان القزاز من منتقدي المتنبي فيما يبدو، وكان بقية أدباء مدرسة القيروان ونقادها كعبد الكريم النهشلي وإبراهيم الحصري وابن رشيق وابن شرف وأبي الطاهر التجيبي من أنصار أبي الطيب على العموم، فالنهشلي وجه تلقيبه بالمتنبي توجيهاً يدل على إعجابه به، واختار له في كتابه الممتع جيد شعره[78]، ومثله في هذا الحصري[79]، وابن رشيق ـ في العمدة والقراضة ـ يذكر المتنبي كثيراً مستحسناً لشعره ومدافعاً عنه في غالب الأحيان، وقد قال فيه كلمته المشهورة: «ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس» وقال في منصف ابن وكيع: «وسمى كتابه المنصف مثلما سمي اللديغ سليماً، وما أبعد الإنصاف منه»[79م].

---

(77) انظر على سبيل المِثال: تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس من ص 252 إلى 335.

(78) انظر الممتع تحقيق د. المنجى الكعبي.

(79) راجع زهر الآداب.

(79م) راجع العمدة.

وكذلك دافع أبو الطاهر التجيبي عن المتنبي في كتابه «الرائق» ووسم ابن وكيع بالتكلّف، ووصفه بالتعسف في تحامله على المتنبي[80].

وخصّص ابن شرف حيزاً مهما للمتنبّي في رسالة الانتقاد ومما قاله فيه: «وأما المتنبّي فقد شُغِلت به الألسن، وسهرت في أشعاره الأعين، وكثر الناسخ لشعره، والآخذ لذكره، والغائص في بحره، والمفتش في قعره، عن جمانه ودرّه، وقد طال فيه الخلف، وكثر عنه الكشف، وله شيعة تغلو في مدحه، وعليه خوارج تتعايا في جرحه، والذي أقول إنّ له حسنات وسيئات، وحسناته أكثر عدداً، وأقوى مدداً، وغرائبه طائرة، وأمثاله سائرة وعلمه فسيح، وميزه صحيح، يروم فيقدر، ويدري ما يوردُ ويُصْدر»[81] وقد انتقد في كتابه أبكار الأفكار ابن وكيع وقال في حق كتابه «المنصف» إنه «أجور من سدوم»[82].

وأما الأندلس فقد وصل إليها التراث الذي أسفرت عنه المعركة النقدية حول المتنبي في المشرق، سواء فيه ما ألّفه خصومه أو ما كتبه أنصاره، فمن ذلك «المنصف» لابن وكيع، وقد وقف ابن عبد الملك المراكشي على نسختين أندلسيتين منه بخط ورّاق من ذرّية عبد الرحمن الأوسط كان حيّاً سنة 425 هـ[83]، واقتبس منه الشريشي في شرح المقامات الفصل المتعلق بأحكام السرقات[84]، ووصفه ابن دحية وغيره بالجور وعدم الإنصاف[85]، ومن ذلك أيضاً مؤلفات الحاتمي خصم المتنبي اللدود، وقد أشار إلى بعضها ابن حزم في الجمهرة[86] وغيرها، وثمة نقول غير منسوبة

(80) راجع المختار، من شعر بشار، وهو الرائق.
(81) راجع الذخيرة.
(82) نصرة الثائر، للصفدي تحقيق د. سلطاني.
(83) الذيل والتكملة 96:6.
(84) شرح المقامات 2 :205 - 212 نشر د. خفاجي.
(85) المطرب: 69. تحقيق الأبياري.
(86) راجع الجمهرة والرسائل.

في ذخيرة ابن بسام تدل على استفادته من شرح الوحيد البغدادي وردوده على ابن جني، والوساطة للجرجاني[87]، وأشار الأعلم وابن سيدة إلى شرح ابن جني وشرح الوحيد أيضاً[88]، وكانت «الموازنة» للآمدي متداولة في الأندلس كذلك[89]؛ وكان من أثر هذا كله أن ظهر في الأندلس منتصرون لأبي الطيب ومنتقدون عليه.

وقد كان ملوك الطوائف الأدباء من المعجبين بشعر المتنبّي، فالمعتمد كان ينشد بانتشاء قوله:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنثني وبياض الصبح يغري بي[90]

وقد ردّد في أحد مجالسه باستحسان بالغ قول المتنبي:

إذا ظفرت منك العيونُ بنظرَةٍ
أثاب بها معيي المطي ورازِمُهْ

فقال ابن وهبون ارتجالاً:

لئن جادَ شعْرُ ابن الحسينِ فإنّما
تجيدُ العَطايا واللُّها تفتح اللّها
تنبأ عُجْباً بالقريضِ ولو دَرَى
بأنّك تروي شعرَه لتألَّها[91]

والمظفر ابن الأفطس مؤلف الموسوعة الأدبية المعروفة بالمظفّرية كان

(87) الذخيرة: 480/2.
(88) شرح شعر الصبا للأعلمي (مخطوط القرويين) وشرح مشكل شعر المتنبي (الفهرس).
(89) يدل على ذلك النسخة القديمة المحفوظة في القرويين والنقول الموجودة في الذخيرة.
(90) نفح الطيب 4 :261.
(91) وفيات الأعيان 1 :124 والمطرب: 118 ونفح الطيب 3 :194، 235 ط. صادر.

«ينكر الشعر على قائله في زمانه ويفَيِّل رأي من ارتسم في ديوانه، ويقول: من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت»[92].

وهكذا كان شأن المأمون ابن ذي النّون في التشيع للمتنبي، فقد ذكر ابن بسام في الذخيرة أن ابن شرف «قال يوماً للمأمون بن ذي النون أيام خدمته إياه، واستشفافه صُبابة عمره في ذراه، وقد أجروا ذكر أبي الطيب، فذهبوا في تأبينه كل مذهب: إن رأي المأمون ـ لا فارق العزة والعُلا ـ أن يشير إلى أي قصيدة شاء من شعر أبي الطيب حتى أعارضه بقصيدة تنسي اسمه، وتعفي رسمه، فتثاقل ابن ذي النون عن جوابه، علْماً بضيق جنابه، وإشفاقاً من فضيحته وانتشابه، وألح أبو عبدالله حتى أحرج ابن ذي النـون وأغراه، فقال له: دونك قوله: لعينيكِ ما يلقى

فخلا بها ابن شرف أياماً فوجدَ مركبها وعراً، ومريرتها شزراً ولكنه أبلى عذراً، وأرهق نفسه من أمرها عسراً، فما قام ولا قعد، ولا حل ولا عقد. وسئل ابن ذي النون بعد: أي شيء اقصده إلى تلك القصيدة؟ فقال: لأن أبا الطيب يقول فيها:

بلغتُ بسيفِ الدّولةِ النورِ رتبةً
أثرتُ بها ما بينَ غربٍ ومشْرِقِ

إذا شاءَ أنْ يلْهُو بِلحْيةِ أحمقٍ
أراهُ غُباري ثُمّ قالَ له الحقِ»[93]

وهي حكاية تنسب أيضاً للخالديين مع سيف الدولة[94].

وقد تطور هذا الإعجاب إلى مواقف نقدية تمثلَت في بعض الأعمال الأدبية، ومنها كتاب «الانتصار لأبي الطيب» من تأليف أبي القـاسم ابن عبد

(92) الذخيرة ق 2 :641.

(93) الذخيرة 1/4: 23 - 24.

(94) راجع الصبح المنبي.

الغفور الكَلاعي، ورسالة «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب» والكتاب الأول مفقود وعنوانه يدل على موضوعه واتجاهه، وقد نقل عنه مؤلفه في كتابه إحكام صنعة الكلام[95]، وأشار إليه ابن الأبار وابن عبد الملك في الذيل والتكملة[96]؛ وأما روضة الأديب فقد أشرنا إليها في الفصل الأول من هذه الدراسة، وسنتحدث عنها بشيء من التوسّع في الفصل القادم.

أما ابن بسام فقد ترجّحَ بين الإعجاب والانتقاد وساق أخباراً تشير إلى إعجاب الأدباء بشعره وعجز بعض الشعراء عن معارضته كَخبر ابن شرف وخبر ابن رشيق، وعلق على من أراد أن يتبع طريقة أبي الطيب في استعمال التصغير بقوله: «ولكن هيهات ما كل من أَجْرَى سبق، ولا كل من ارتجل نطق». كما نقل شيئاً من قدح أهل النقد فيه، وعاب عليه استعمال ألفاظ الفلاسفة وقال مشيراً إلى ذلك: «وإني لأعجب من أبي الطيب على سعة نفسه، وذكاء قبسه، فإنه أطال قرعَ هذا الباب، والتمرّس بهذه الأسباب»[97].

وثمة كتاب نشر في تونس عنوانه: سرقات المتنبي وشكل معانيه، ونسب إلى ابن بسّام النحوي، وظنّ محققه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ظنّاً قوياً أنه لابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة، والحقيقة أنه ليس من تأليف الشنتريني صاحب الذخيرة وإنّما هو لِشنتريني آخر هو محمد بن عبد الملك السرّاج[98]، وهو ليس كتاباً مستقلاً ولكنه جزءٌ من كتاب عنوانه:

---

(95) راجع أحكام صنعة الكلام.

(96) التكملة 2 :462 والذيل والتكملة 6 :394.

(97) الذخيرة 2 :480.

(98) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 6 :410.

«جواهر الآداب، وذخائر الشعراء والكتّاب» ويبدو أنه الكتابُ الّذي اختصر فيه ابن عبد الملك الشنتريني كتاب العمدة لابن رشيق ونبّه على أوهامه فيها مع زيادات مفيدة منها هذا الجزء في سرقات أبي الطيب، وهو يؤلّف الجزء الرابع من هذا الكتاب الذي يُوجد مخطوطاً بمكتبة الأسكوريال رقم 352.

والحقُّ أن الشيخ ابن عاشور إنّما أخذ بما هو مسطر ومكرّر في النسخة المشرقية من نسبة الكتاب إلى ابن بسام وأنه صاحب الذخيرة[99].

ولا نعرف منشأ الخطأ في نسبة هذا العمل إلى غير صاحبه، ونقدر أن يكون الناسخ نقل هذا الجزء من أصل الكتاب ولم يثبت اسم المؤلف إلّا بعد أن غاب عنه الأصل وبقي في حفظه وذاكرته شيء منه كالنحوي الشنتريني مثلاً، فنسبه إلى ابن بسّام لأنه أشهر شنتريني، وورود صفة النحوي قد تعزز هذا الافتراض، لأن الذي اشتهر بالنحو وتعليمه هو ابن عبد الملك السرّاج الشنتريني فقد «كان نحويّاً حاذقاً» وهو شيخ ابن برّي النحوي المصري المشهور وألّف في النحو وأقرأه بالأندلس ومصر واليمن[100]؛ ويضاف إلى هذا أن الرجلين البلديين كانا متعاصرين، وجمعتهما سكنى إشبيلية بعد خروجهما من شنترين إلّا أن صاحب الذخيرة ظل بالأندلس بينما كتب لابن عبد الملك أن يرحل إلى المشرق ويعرف فيه وتنتسخ مؤلّفاته به.

أما إفراد جزء السرقات بالانتساخ دون بقية الكتاب في النسخة المشرقية فلعلّه جاء من ولع الناسخ بجمع الأشباه والنظائر في مجموع واحد، والمجموع المشرقي الذي توجد فيه يشتمل على «رسالة للحاتمي في مناظرة بينه وبين المتنبي، ورسالة له في أخذ المتنبي معاني عدة أبيات

---

(99) انظر مقدمته: س.
(100) الذيل والتكملة.

من كلام الحكيم أرسطاطاليس»[101].

وقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى ما ذهب إليه الشيخ ابن عاشور من اعتبار ابن بسام صاحب الذخيرة مؤلفاً للكتاب الذي نشره وقال: «ليس في الكتاب أية قرينة تدلُّ على أنّه من تأليفه»[102] والواقع أنه حتى قبل الوقوف على «جواهر الآداب» فإن بعض القرائن تدلّ على أنه ليس من تأليف ابن بسّام، وأهمها في نظري اختلاف الكتابين في شواهد السرقات وأصولها، فقد ذكر ابن بسام في الذخيرة من أَبْيَات المتنبّي المسروقة قوله:

للسّبْي ما نكَحوا والقتْلِ ما وَلَدوا
والنّهْبِ ما جمَعوا والنّارِ ما زَرَعوا

وقوله:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَتْ ظنونُهُ
وصدّقَ ما يعْتادُه مِنْ تَوهّمِ

وقوله:

تبخلُ أيدينا بأرواحِنا
على زمنٍ هُنّ مِنْ كَسبِهِ
فهذِه الأَرْواحُ مِنْ جوّهِ
وهذه الأجْسامُ مِنْ تُرْبِه
يموتُ راعي الضأن من جَهْلِه
ميتةَ جالينوسَ في طبّهِ

(101) المصدر نفسه: س.

(102) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 506 - 507 (حاشية رقم 4).

وهذه الشواهد كلّها موجودة في الذخيرة[103] ولا وجود لها في كتاب السرقات مع أن صاحبه قصد به أن يكون معجماً شاملاً لأبيات السرقات في شعر المتنبي.

ومن القرائن أيضاً ترتيب أبيات السرقات على حروف المعجم حسب الاصطلاح المشرقي، وهذا شيء غير معهود في الأندلس والمغرب، مما يشي بأن الكتاب ليس لابن بسّام وأنه ألف في المشرق، ومن الملاحظ أن نسخة الأسكوريال ـ وهي بخط مغربي ـ تتبع الترتيب المشرقي كذلك، وقد وقف الشيخ ابن عاشور عند أمر هذا الترتيب، وقال: «وهذا محلّ نظر، ويحتمل أنه تابع فيه ترتيب أبي الفتح ابن جنّي[103م]».

إن صنيع السرّاج الشنتريني هو كما قلت بمثابة معجم مرتب على الحروف قصد به حصر أبيات المعاني أو الأبيات المشكلة، مَعَ أبيات السرقات، وقد جمع فيه السرّاج جهود سابقيه في هذا المجال منذ ابن جني إلى وقته، وزاد عليها حتى بلغ عدد الأبيات المذكورة نحو خمسمائة وأربعين بيتاً.

وقد أشار في المقدمة إلى هذا الجزء من كتابه فقال «والجزء الرابع في سرقات أبي الطيب ومشكل معانيه، وأنما ألحقت هذا الجزء بالكتاب لما في معرفته من العون على التصرف والتنبّه لمشكلات المعاني، واقتصرت على شعر أبي الطيب لكثرة ذلك فيه ولأنه أشهر، واستعمال الناس له أكثر» وذكر هذه السرقات «على ترتيب القوافي ليسهل بذلك طلب ما احتيج إليه منه» كما يقول في أول الباب، وباختصار فإنّ عمل الشنتريني ضرب من ضروب التبويب والترتيب، والتتميم والتكميل لهذه المادة التي كانت متفرقة في المصادر المشرقية؛ وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذا العمل قد أفاد منه بعض الشراح الذين يعنون بتتبع المآخذ والسرقات، ومنهم العكبري الذي يتابعه في عددٍ من المواطن ولكنه لا يسمي الكتاب ولا صاحبه.

(103) الذخيرة ق 2: 409، 421، 481.

(103م) مقدمة سرقات المتنبي: ي.

إن إسهام الأندلسيين والمغاربة في الحركة النقدية حول المتنبي يتسم دائماً بمراعاة الحساسية الدينية التي كانت شديدة في البيئات المغربية على العموم، وإذا كانَ الأندلسيون والمغاربة قد أعجبوا بشاعرية أبي الطيب فإنهم لم يتساهلوا معه فيما يمس الحساسية الدينية، ومن هذا القبيل أن الفقيه الأديب الحافظ ابن عبد البر استشهد بشعر المتنبّي في كتابه: «بهجة المجالس» ولكنه كان ينظر إليه بمنظار الدين ويزنه بميزان الشرع، فقد أورد قوله:

والظّلم من شيم النفوس فإن تجِدْ
ذا عفّةٍ فلعلّة لا يظلِمُ

وقوله:

وَمَنْ عرفَ الأيّامَ معْرفتي بها
وبالنّاسِ روَّى رُمْحَهُ غَيْرَ راحِمِ

وعلق عليهما بقوله: «وهذه الأخلاق أخلاق الفُسّاق ومن لم يتأدب بأدب القرآن ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة»[104].

ونجد مثل هذا عند ابن سيدة، فعندما أورد قول المتنّبي:

طلَبْنا رِضاهُ بتَرْك الّذي
رَضِينا لَهُ فترَكْنا السُّجودَا

علق عليه بقوله: «قبحاً لكلامِه، ونهْراً في هذا الموضع وأشباهه لِنظامه».

ومثل هذا أيضاً عند ابن عبد المنعم الحميري مؤلف الروض المعطار

(104) بهجة المجالس لابن عبد البر.

الذي يقول في معرض حديثه عن تهامة: «وأمّا قول المتنبّي لممدوحه من قصيدة:

وأشْهَــرُ آيـاتِ التِّهــامي أنّــهُ
أبوكَ وأجْدى ما لَكُمْ مِنْ مناقِبِ

فعنى بالتهامي النبي ﷺ، وهذه العبارة تقتضي جهله أو قلّة أدبه، فضّ الله فاه»[(105)] ونعوت ابن عبد البر الفقيه المحدث ودعاء ابن عبد المنعم الجغرافي تعكس تلك الحساسية الدينية عند المغاربة الـذين لم يكونوا يتساهلون فيما يتصل بالدين أو الأخلاق وقد انتقـد الأديب الشاعر الناقد ابن رشيق غلوّ المتنبّي وقال في التعليق على بيت المتنبي:

كَأنّي دَحَوْتُ الأرْضَ مِنْ خبْرتي بِها
كأنّي بَنَى الاسكندرُ السّدَّ مِن عَزْمي

«فشبّه نفسه بالخالق، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً»[(105)].

ومن أجل هذا كان الأعلم الشنتمري يكفّ عن تدريس شعر المتنبي إذا دخل شهر رمضان وينهى طلبته عن قراءته خلال الشهر المعظّم بينما كان يستمرّ في إقراء شعر أبي تمّام وغيـره[(106)].

وقد لاحظ صديقنا الكبير الدكتور إحسان عباس تفاوتاً في الذوق الأندلسي تجاه المتنبي في القرن السابع الهجري وقال: «فبينا يتأخّر المتنبّي عن شعراء القرون الثلاثة الأخيرة في قدرته على الإبداع التصويري لدى ابن سعيد وربما لَدى المدرسة الإشبيلية كلها نجده أكبر شاعر في نظر حازم ابن المنطقة الشرقية»[(107)].

---

(105) الروض المعطار: 142 تحقيق د. إحسان عباس.

(105م) العمدة 2 :63.

(106) انظر روضة الأديب في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(107) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 537.

ويبدو لي أن هذه الملحوظة قابلة للمراجعة فإنّ رسالة «روضة الأديب» لابن لبال الشريشي التي عثرنا عليها تبيّن مدى إعجاب المدرسة الإشبيلية بالمتنبّي وتفضيلها إياه على غيره.

د ـ إن إعجاب الأندلسيين والمغاربة بالمتنبي وحذو معظم شعرائهم حذوه في القصائد كان يثير أحياناً ردود فعل لدى بعض الشعراء؛ وقد رأينا ما قاله ابن وهبون للمعتمد، وما حاوله ابن شرف في مجلس ابن ذي النون، وما قاله أحمد بن طلحة الشقري، ومن هؤلاء الشعراء أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي الذي يقول في مدح إحدى قصائده:

لَوْ جادَ فكر ابنِ الحُسينِ بمثلِها

صحّتْ نبوته لدى الشّعراء[108]

ويقول الشاعر الجراوي متحدّثاً عن نفسه:

لَوْ كَانَ يوماً في بني حَمْدان لَمْ

تبهَجْ بأحمدِها بنو حَمْدانَ[109]

ونجد مثل هذا عند الشقندي الذي أورد أبياتاً من رائية ابن درّاج المشهورة وقال: «وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات، من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسَلاَ بِه عن مدح شاعره الذي سادَ كُلّ شاعر، ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كلّ ما تفنّن فيه كل ناظمٍ وناثر»[110].

ونلحظ هذا المنزع في قول الكاتب الشاعر ابن المرخي الذي جاوب ابن بسام بقصيدة على وزن قصيدة المتنبي:

---

(108) زاد المسافر.

(109) المصدر نفسه.

(110) نفح الطيب (رسالة الشقندي).

قــرأتُ الـكتــابَ أعــزّ الـكُتُبْ

وقال في آخرها:

قــوافٍ تــعــطّلُ فــي وزنــهــا:

«قــرأتُ الكتــاب أعــزّ الكُتُبْ»

وإنْ تـكُ أحْمَـد هــذَا الـزمَــانِ

فَــأيْـنَ عليٌّ لَـنــا أوْ حَـلَبْ[111]

وفي قول ابن القزّاز:

فَخَـر الـزّمـانُ بِنـا لأنّــكَ حـاتِمٌ

في جُــوده وَلأنّـني الْمُـتَـنبّي[112]

وفي قول أبي عامر ابن مسلمة:

يــا حــاتــمَ الــكُـرَمــاءِ

وأحْــمَــد الــشُّــعــراءِ[113]

وفي قول أبي بكر ابن عبادة مخاطباً ابن بسّام:

أوْ تــذمّ الــزمــانَ وهْــوَ بعيــدٌ

فـأبو الـطيّبِ الْبعيدُ الْمَـرامي[114]

وقد بالغ بعضهم فذهبوا إلى أنهم أشعر من أبي الطيب وأبي تمام مثل ابن طلحة الشقري، وقد مرّ قوله. ومثل ابن خفاجة الذي يَصِفُ شعر أحد أصدقائه بقوله:

بــرَعْتَ فــرُعْتَ فَمَنْ ذا حبيــبٌ

لَـهُ الـويـلُ أمْ من أبــو الــطيّب

(111) الذخيرة 2 :541.

(112) المصدر نفسه.

(113) المصدر نفسه.

(114) المصدر نفسه.

ولــو جــارَيَــاكَ إلــى غــايَــةٍ
لفُــزْتَ وكــانــا من الخُيّــب[115]

هـ ـ من التقاليد الأدبية عند شعراء الأندلس والمغرب محاكاة النماذج الشعرية السائدة ومعارضة القصائد المشهورة، وغالباً ما تكون معارضاتهم «نتجة الإعجاب بالآثار السابقة»[116] ولكنهم قد يطمحون أحياناً إلى طلب المضاهاة أو نشدان التفوق، ومن هنا ذهب بعض النقاد إلى أن رائية ابن دراج التي مطلعها:

أجود من رائية أبي نواس[117]:

وأن نونية ابن زيدون المشهورة:

أَضْحى التنائي بديلاً من تدانينـا
ونـاب عن طيب لُقيانـا تجـافينـا

أحسن من نونية البحتري[118] التي يقول في أولها:

يكـادُ عـاذِلُنـا في الحبِّ يُغْـرينـا
فمـا لَجـاجُــكَ في لَـوْمِ المُحبّينا

لقد رأينا في الفصل السابق شيئاً من معارضات الأندلسيين والمغاربة لأبي تمّام، ونعرض الآن لبعض معارضاتهم في شعر المتنبي، وهي أكثر من غيرها لأن المتنبي كان عندهم المثل الأعلى والنموذج المحتذى أو «الطائر المحكي» كما يقول في شعر له وسوف نقتصر على الإشارة إلى

(115) ديوان ابن خفاجة.
(116) الموازنة بين الشعراء.
(117) رسالة الشقندي ومفاضلة ابن فضل الله العمري بين القصيدتين والموازنة بين الشعراء.
(118) شرح الرسالة الهزلية لابن نباتة.

المعارضات التي توجهت إليها النية وتوفرت فيها شروط الموافقة في البحر والقافية والموضوع.

ولعلّ أقدم من عارض المتنبي هو متنبىء المغرب ابن هانىء، وقد عرفنا مما سبق وقوفه على ديوان زميله، وتبـدو معارضتـه له في بعض قصائده، ومنها قصيدته:

ألا كـلُّ آت قـريـبُ الـمَـدَى
وكـلُّ حـيـاةٍ إلـى مُنْـتَـهَـى[119]

فهي تنحو في شكلها منحى مقصورة المتنبي:

ألا كـلُّ مـاشـيـةِ الـخَيْـزَلَـى
فِـدا كُـلِّ مـاشـيـةِ الْهَـيْـدَبَى

وقد توارد مَعَهُ في عدد من قوافيها، وهذا أمر لا بدّ أن يقع في المعـارضات، وإذا كان ابن هانىء لم يفصح عن ذهابه إلى المعارضة فإن قصيدة الأعمى التطيلي التي أولها:

إلى اللَّهِ أشكـو الّذي نحنُ فيـه
أسـىً لا يُنَـهْـنِـهُ مـنْـهُ الأسَـى

تشي بالمعارضة المقصودة، وذلك أنّه ضمنها أشهر بيت في قصيدة المتنبي وهو:

وَمـاذَا بمِصْـرَ مِـن المُضْحكـاتِ
ولكنّـه ضَـحِـكٌ كـالْبُـكـا[120]

ولكنه استبدل مِصـر بحمص ويقصد بها إشبيلية.

---

(119) ديوان ابن هانىء.

(120) ديوان الأعمى التطيلي.

وفي ديوان ابن هانىء قصائد على وزان:

«ليالِيَ بعدَ الظّاعنينَ شُكولُ» و«أعلى الممالِك ما يُبْنى على الأَسَلِ» و«إذا كانَ مدحٌ فالنسيبُ المقدَّم»[121].

ويأتي بعده ابن دراج القسطلّي الذي «كان بصقع الأندلس كالمتنبّي بصقع الشام» فقد عارض قصيدة المتنبي التي أولها:

بـادٍ هواكَ صَبَـرْت أمْ لَمْ تصْبِـرا
وبُكاكَ إنْ لَمْ يجْرِ دمـعُكَ أوْ جَرَى

بقصيدةٍ مطلعها:

بشراكَ من طولِ الترحّلِ والسُّرى
صبـحٌ بروح السَّفْـر لاحَ فَأسْفَـرا

وقد احتذى في بعض أبياتها حذو أبي الطيب وذهب مذهبه كما يقول ابن بسّام[122]، والمعارضة واضحة في القسم الذي يقول فيه:

وليعـلَمِ الأمــلاكُ أني بـعــدَهُمْ
ألفيتُ كلَّ الصيدِ في جَوْف الْفَرا

ففي هذا القسم ذكر لأيام العرب وأعلامها ومفاخرها، ولكأنَّ ابن درّاج يَرُدُّ على المتنبي في قوله:

مَنْ مُبْلغُ الأعـراب أنّي بعْـدَهـا
جـاورْتُ رسْـطالِيسَ والاسْكَنْـدرا
وملِلتُ نحْـرَ عشارِهـا فـأضـافَني
من ينْحَرُ البدرَ النُّضارَ لمَنْ قَرَى

---

(121) انظر ديوان ابن هانىء.

(122) الذخيرة.

وأشهر من رائية ابن درّاج رائية ابن عمّار:

أدر الزّجاجَةَ فالنّسيمُ قد انبرى[123]

وقد ذاعت معارضة ابن عمّار هـذه وأصبحـت هي نفسها نمـوذجاً للمعارضة.

وعارض ابن سهل رائية المتنبي أيضاً بقصيدتين إحداهما في مدح سعيد بن حكم صاحب منـرقة والأخـرى في مـدح ابن خـلاص والي سبتة[124].

وكان ابن زيدون ريان من شعر المتنبي يستشهد به في نثره[125]، ويقتبس منه في شعره، وقد عارض قصيدته التي مطلعها:

بـم التـعلّلُ لا أهــلٌ وَلَا وَطَـنُ
وَلا نــديمٌ ولا كــأسٌ ولا سَكَنُ

وذلك في قصيدته التي أولها:

هـلْ تذكـرونَ غريبـاً عادَه شَجَنُ
مِنْ ذكرِكُمْ وجَفا أجفـانَهُ الْـوَسَنُ

وضمّن في آخرها مطلع المتنبي على طريقة الوشّاحين فقال:

إنْ كـانَ عادكمُ عيـدٌ فـربّ فتىً
بالشّوقِ قَدْ عادَهُ منْ ذِكْركُمْ حَزَنُ
وأفْــردَتْــهُ الليــالي مـن أحبّـتِـهِ
فبـاتَ يُنْشدُهـا مِمّـا جَنى الـزّمَنُ

---

(123) نفح الطيب.

(124) ديوان ابن سهل.

(125) راجع رسالتيه الجدية والهزلية.

«بم التـعلّلُ لا أهــلٌ ولا وطَـنُ
ولا ندِيمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ»[126]

أما معاصره ابن عبدون فلعلّه أقرب شعراء طبقته إلى أسلوب المتنبي في الجزالة وإرسال المثل والحكمة، وقد أورد ابن بسام في الذخيرة نماذج من نظره إلى معاني المتنبي وأخذه منه، كَما أنَّهُ عمد إلى معارضَةِ بعض قصائده فمن ذلك معارضته لقصيدة:

من الجـآذرُ في زي الأَعـاريب
حُمْر الحلَى والمَطايـا والجَلابيبِ

وذلك بقصيدته التي مطلعها:

ساروا ومِسْكُ الدّياجي غَيْر منهوب
وطُرّةُ الشرْقِ غُفْلٌ دون تهْذيبِ[127]

وفيها يقول:

هَيْهاتَ لا أبْتَغي منكُمْ هوىً بِهوىً
حَسْبي أكونُ مُحِبّاً غَيْرَ محْبـوبِ
فَمَـا أراحُ لـذكْـرى غيْـرِ عـاليـةٍ
ولا ألَـذّ بِـحُبٍّ دونَ تـعْـذيـبِ
وَلا أُصالحُ أَيّـامي عَـلَى دخَـنٍ
ليسَ النِّفـاقُ إلى خُلْقي بمَنْسوب
يا دَهْرُ إن توسع الأحرارَ مَظْلمَـةً
فـاستَثْنِني إنّ غَيْلي غَيْرُ مقْـروبِ

---

(126) ديوان ابن زيدون.

(127) الذخيرة.

وَلا تَخَــلْ أنّني أَلقَــاكَ مُنْفَــرِداً
إنّ القَنـاعَـة جَيشٌ غَيــرُ مغْلوب

فهذه القوافي ناظرة إلى هذه القوافي من قصيدة المتنبّي:

أنتَ الحبيبُ ولكـنّي أعــوذُ بِــه
من أكــون مُحِبّـاً غيْــرَ مَحْبـوب
إذا غَــزَتْــهُ أعــاديــه بمَسْــألــةٍ
فَقـدْ غـزتْـهُ بجيشٍ غَيْـر مَغْلوب
ومِنْ هَوى الصّدِق في قَوْلي وعادتِه
رغبْتُ عنْ شَعَرٍ في الرأسِ مَكْذوب[128]

وعارض القصيدة التي مطلعها:

كَفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافياً
وحسْبُ المنـايـا أنْ يكنَّ أمـانيـا

ببقصيدته التي يقولُ فيها:

مَضوا يظـلمـونَ الليلَ لا يلبسـونَهُ
وإن كانَ مِسْكي الجلابيبِ ضافِيا[129]

وعارض البائية التي مطلعها:

بغيــركَ راعيــاً عبـث الــذِّئــابُ
وغيــرك صــارمــاً ثلَمَ الضّــراب

بقصيدة أولها:

---

(128) المصدر نفسه.
(129) المصدر نفسه.

عَـزيـمٌ لا يُسـدُّ عـليـه بـابُ
وقـلْبٌ لا يُفـلُّ لَـه ذُبـابُ[130]

وعارض عبدالله بن خليفة القرطبي قصيدة المتنبّي:

دروع لملك الروم هذي الرسائل

بقصيدة في وزنها ورويّها في مدح علي بن مجاهد وقد انتقده ابن بسّام لأنه اهتدم فيها معاني المتنبّي[131].

ونحا أبو محمد ابن عبد الغفور في معارضة المتنبّي منحىً يعترض فيه على ألفاظه ومعانيه ويعـرّض بقلّة لباقته في المدح، قال يمدح ابن تاشفين:

سِـرْ حَـلّ حيث تـحلُّه الـنـوار
وغَـمـامـةٌ لَا ديـمـةٌ مِـدْرارُ
تَنْفي الْهَجيرَ بظلّها وتُنيمُ بـالـرّ
شّ الْقَتـام وَكَـيْفَ شئـتَ تـدارُ
وقضَى الإلَـهُ بـأنْ تعـودَ مـظفّـراً
وقضَتْ بسَيْفِـكَ نحبَها الكفّـارُ

فقد اقتبس مطلع شعر للمتنبّي في مدح سيف الدولة وتصرّف في بعض لفظه ثم عقّب على ذلك بقوله:

«هذا ما تمناه الولي، لا ما تمنّاه الجعفي، فإنّه قال: حيث اتجهت، وديمه، ما تكاد تنفذ معها عزيمه، وإذا سُفِحت على ذي سفر، فما أحراها بأن تعوق عن الظفر، ونعَتها بمدرار، وكان ذلك أبلغ في الإضرار»[132].

(130) المصدر نفسه.

(131) المصدر نفسه.

ويشبه ابنَ عبد الغفور في هذا الانتقاد معاصرُه ابن خفاجة، فقد اعترف بأن قوله من قصيدة:

فلويتُ أعْنــاقَ المَـطِي مُعَــرِّجاً
ونــزلْـتُ أعتـنِقُ الأراكَ مُـسَلِّمـا

ينظر إلى قول أبي الطيّب:

نـزلْنا عن الأكـوارِ نَمْشي كـرامـةً
لِمَنْ بـانَ عنـهُ أَنْ نُلِمَّ بِـهِ رَكْبـا

ووازن بين بيته وبيت أبي الطيب وانتقد عليه كلمة «لمن» في فقرة طويلة ثمّ قال: «وربّما حملَ علينا حامل فقال إنّ هذا الرجل يتعاطى رتبة في الشعر فوق رتبة المتنبي، وليس الأمر كذلك لأنه لم يعترضه في جملة شعره، وإنما اعترضه في لفظة، وهذا ليس بمستنكر ولا مستكره»[133] وقد سبق ابن سيدة في شرح مشكل المتنبي إلى مثل هذا وتكررت عنده مثل هذه العبارة: ولو قال كذا لكان أحسن[134]. وابن سيدة مسبوق في هذا الصنيع بابن وكيع الذي نجد عنده مثل هذه الاقتراحات[134م].

ومن شعراء الموحدين الذين عارضوا أبا الطيب ابن المنخّل الشلبي، فقد عارض البائية التي مطلعها:

فَدَيْناكَ مِنْ ربْعٍ وإن زِدْتَنا كَـرْبا
فإنّكَ كُنتَ الشّرْقَ للشّمسِ والْغَرْبـا

ببائية يمدح فيها عبد المؤمن، ومطلعها:

---

(132) انظر القلائد والخريدة والمغرب.

(133) ديوان ابن خفاجة.

(134) شرح مشكل شعر المتنبي.

(134م) المنصف لابن وكيع.

فَتَحْتُم بلادَ الشّرْقِ فاعْتَمدوا الْغَرْبا
فإنَّ نَسيم النّصْرِ بالْفَتْحِ قَـدْ هَبّا

ويقول في آخرها مضَمّناً مطلع المتنبّي:

وَإِنْ يَقْضِ نَحْباً منهُمُ ذو بسالَـةٍ
فمن نفْس جبّارٍ لكُمْ يقْتَضي النّحْبا
ويسْتَنْشِدُ البطريقُ في عَرَصاتِكُمْ:
«فديْناكَ مِنْ ربْعٍ وإن زدْتنا كَرْبا»[135]

وفي ديوان ابن سهل قصيدتان في معارضة «بادٍ هواك صَبَرْت أم لَمْ تَصْبرا»، وثالثة في معارضة «ألا لا أرى الأحْداثَ مدحاً وَلا ذمّاً» ونشير إلى أن ابن سهل درس شعر المتنبي مع زميله ابن سعيد العَمّاري في حلقة الشلوبين بإشبيلية[136].

وفي العصر الغرناطي كان أبو الطيب الرندي يترسّم في مدائحه طريقة كنيه، فقد اختار له في باب المدح من كتابه الوافي القصيدة التي مطلعها:

أجابَ دَمْعي وما الدّاعي سِوَى طَلَلِ
دعـا فلبّاهُ قبـلَ الخيـلِ والإبِـلِ

وساق بعدها قصيدةً ذكر أنه قالها في عروض قصيدة أبي الطيب، ومطلعها:

مَنِ الظّباءُ تـروعُ الأُسْدَ بـالمُقلِ
وما رمَتْها بغَيْرِ الغُنْجِ والكَحَلِ[137]

---

(135) المن بالإمامة.

(136) انظر ديوان ابن سهل، واختصار القدح المعلّى.

(137) الوافي لصالح بن شريف الرندي (مخطوط).

وخمّس الأديب أبو عامر بن الأصيلي القصيدة التي أولها:

أُطاعنُ خيلاً مِـنْ فوارسِها الدَّهرُ
وحيداً وما قولي كَذا ومَعي الصَّبْرُ

وهذا نموذج من تخميسه:

وربّ أميـرٍ مُفْـرطٍ في اخْتيـالِـهِ
قبضتُ يميني نخـوةً عنْ شِمـالِـهِ
ونـزّهت نَفْسي رِفْعـةً عَنْ نَـوالِـهِ
«ومَنْ يُنفق السّاعاتِ في جَمْع مالِهِ»
مخافةَ فَقْرٍ فالّذي فَعَلَ الفقر»[138]

وكانوا يضمّنون شعرهم أحياناً شطراً أو بيتاً من شعْر المتنبّي اعتماداً على شهرته وسيرورته، وقد رأينا أمثلة من ذلك ومنه أيضاً قول عبدالله بن حماد المراكشي:

يـا منْ إليه في الحـوادث يسنـدُ
وعليـهِ ألـويـةُ المحـامــد تُعقـدُ
إنّي أتيتُ بشَــطْر بـيتٍ ســائــرٍ
«الْيَوْمَ موعِدُكُمْ فأَيْنَ الْمَوْعِدُ»[139]

وبنى ابن خفاجة على بيت المتنبّي قطعة له بدأها بقوله:

صممتُ سمْعاً فما أُصْغي إلى العَذَلِ
وهمْتُ قلباً فما أَصْحو عَن الْغَزلِ

---

(138) الذخيرة.

(139) الخريدة.

وختمها ببيت المتنبّي:

خُذْ ما تَراهُ ودَعْ شيئاً سمِعْتَ بهِ
في طَلْعَة الشّمسِ ما يُغنيكَ عَنْ زُحَلِ (140)

وصنع هذا الصنيع أبو بكر ابن العربي في قطعة له بدأها بقوله:

إليك إلَـهَ الخلق قـامـوا تعبّـدا
وذَلّوا خُضوعاً يَرْفَعُـون لَكَ اليـدا

وختمها بقول المتنبّي:

أزِلْ حسَـدَ الْحُسّـاد عنّي بكفّهِمْ
فأنتَ الّذي صَيّرتَهُم لِيَ حُسّدا(141)

وضمّن ابن الخطيب مطلعاً للمتنبّي في آخر شعر له يقولُ فيه:

لا أعدمَ اللَّهُ دارَ الملْكِ مِنْكَ سَنـاً
يُجْلَى بِهِ آلْحالِكانِ: الظّلْمُ والـظُّلَمُ
وأنشـدتـكَ اللّيـالي وهْيَ صـادِقَـةٌ:
«المجـدُ عُـوفِي إذْ عـوفيتَ والكَـرَمُ

وضمّن ابن الحكيم الوزير بيتاً مشهوراً للمتنبي وأحسن التضمين، وذلك في قوله (الإحاطة: 2 :463).

ولمّـــا رأينـــا مـن ربــوع حبيبنـــا
بيثـربَ أعـلامـــاً اثـرن لنــا الحبـا
وبـالتـرب منهـا إذ كحلنـا جفــوننـا
شفينـا فلا بـاسـاً نخـاف ولا كـربـا

(140) ديوان ابن خفاجة.

(141) بغية الملتمس: 87.

وحين تبــدّى للعيــون جمــالُهــا

ومن بُعْـدِهـا عنـا أديلت لنـا قـربـا

«نـزلنـا عن الأكـوار نمشي كـرامـةً

لمَنْ حـلّ فيهـا أن نلم بــه ركبـا»

واقتبس الشريف العقيلي الغرناطي صدر مطلع للمتنبي إذ يقول في ميميته الطويلة على لسان ملكه مخاطباً صاحب فاس وأزهار الرياض) :

إيـهٍ حَنـانَيْـكَ يـابْنَ الأكــرَمين على

«ضَيْفٍ ألَمّ بفــاسٍ غيــر مُحْتَشِـم

وقد كان ابن الخطيب مولعاً بتضمين شعر المتنبي في نثره، أو التلميح إليه مما يدلّ على استظهاره واستحضاره له كقوله في «خطرة الطيف» : وسرْنا ودُرُّ اَلْحَصى بساط لأرجل ركابنا، ودنانير أبي الطيب تنثر فوق أثوابنا» وكرر هذا التلميح في موضع آخر، وهو يشير إلى قوله :

وَأَلْقَى الـشّــرْقُ مِنْـهــا في ثـيــابي

دَنــانــيــراً تــفِــرُّ مــن الــبَـنَــانِ

وقوله في أبي إسحاق الساحلي الأندلسي نزيل مالي : «فحلّ بها محل الخمر في القار، والنور في سواد الأبصار، وتقيد بالإحسان، وإن كان غريب الوجه واليد واللسان» وهو يشير إلى قول المتنبي : «ومن وجَد الإحسانَ قيداً تقيّدا» وإلى قوله :

وَلَـكِـنّ الْـفَـتَـى الْـعَــرِبـيّ فـيــهــا

غَــريبُ الْــوَجْــه واليَــدِ واللّســانِ

وهكذا أصبح شعر المتنبي مورداً عذباً ومجنى رطباً لشعراء الأندلس والمغرب ينهلون من صفوه، ويقطفون من ثمره، وغدا ـ وهو الذي طالما أسرف خصومه في اتهامه بالسرقات ـ مرجعاً خصباً لهؤلاء الشعراء المتملّئين من شعره والذين لم يكونوا يستطيعونَ ـ بوعي أو بدون وعيٍ ـ الخلاصَ من

إسار محفوظه، ومن هنا عُني الشرّاح والنقّاد الأندلسيون بتتبع تواردهم على معينه، ونظرهم إلى ألفاظه أو معانيه؛ ومن هؤلاء ابن بسام في الذخيرة[142] والشريشي في شرح المقامات[143] والشريف السبتي في شرح المقصورة[144] والرُّندي في الوافي[145] وغيرهم، وهذا باب كبير لا أريد أن أفتحه تجنّباً للإثقال أو الإملال، وقد كان المترسّلون أيضاً يستشهدون بشعره، أو يعمدون إلى حلّه ونثره، والأمثلة في الذخيرة وغيرها كثيرة، وما هذا كله إلا لأنّ القوم كانوا يستظهرون ديوان المتنبي ويتمثّلونه، ويجدون فيه ما يسعفهم في التعبير عن أغراضهم ومواقفهم، وقائمة الذين كانوا يحفظون الديوان طويلة، وفيهم الطبيب كابن زهر[145م] والفيْلسوف كابن رشد[146] والفقيه كابن العربي[147]، والمؤرخ كابن خلدون[148]، والأديب كالبياسي[149] وغيرهم؛ وللدّلالة على مدى حفظ الديون في الأوساط الأدبية بالأندلس والمغرب نورد حكاياتٍ لا تخلُو من طرافة في هذا المجال.

جاء في المعجب لعبد الواحد المراكشي عقب ذكر أبي جعفر الحميري: «وأبو جعفر هذا، آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس، لزمته نحواً من سنتين، فما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث، ولا أذكر بحكاية تتعلق بأدب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعة مستحسنة منه رضي الله عنه وجازاه عنا خيراً. أدرك جلة من مشايخ الأندلس فأخذ عنهم علم الحديث والقرآن والآداب، وأعانه على ذلك طول عمره وصدق محبته وإفراط شغفه بالعلم.

---

(142) راجع فهارس الذخيرة.
(143) انظر شرح المقامات.
(144) انظر رفع الحجب المستورة.
(145) انظر الوافي.
(145م) انظر ترجمته في الذيل والتكملة.
(146) انظر ترجمته في الذيل والتكملة.
(147) انظر نفح الطيب.
(148) انظر التعريف بابن خلدون.
(149) انظر ترجمته في وفيات الأعيان.

قال ولده عصام ـ وقد رأيت عنده نسخة من شعر أبي الطيب، قرئت عليّ أو أكثرها فألفيتها شديدة الصحة، فقلت له: لقد كتبتها من أصلٍ صحيح وتحرزت في نقلها فقال لي ما يمكن أن يكون في الدنيا أصل أصح من الأصل الذي كتبت منه! فقلت له: أين وجدته؟ قال: هو موجود الآن بين أيدينا وعندنا! وكنا في المسجد (بإشبيلية) في زاوية، فقلت له: أين هو؟ فقال لي: عن يمينك! فعلمت أنه يريد الشيخ، فقلت: ما على يميني إلا الأستاذ! فقال لي: هو أصلي، وبإملائه كتبت، كان يملي على من حفظه! فجعلت أتعجب، فسمع الأستاذ حديثنا. فالتفت إلينا وقال: فيم أنتما؟ فأخبره ولده الخبر فلما رأى تعجبي قال: بعيداً أن تفلحوا! يعجب أحدكم من حفظ ديوان المتنبي والله لقد أدركت أقواماً لا يعدون من حفظ كتاب سيبويه حافظاً ولا يرونه مجتهداً»[150].

وختم الشقندي رسالته المعروفة في فضل الأندلس بالحكاية التالية: «وأنا أحكي لكَ حكايةً جرت لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر ابن زهر، وذلك أني كنت يوماً بين يديه، فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان، وكان ابن زهر يكرمه، فقلت له: ما تقول في علماء الأندلس وكتابهم وشعرائهم؟ فقال: كبّرتُ، فلم أفهم مقصده، واستبردت ما أتى به، وفهم مني أبو بكر ابن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر، فقال لي: أقرأت شعر المتنبي؟ قلت نعم، وحفظت جميعه، قال: فعلى نفسك إذن فلتنكر، وخاطرَك بقلة الفهم فلتتهم، فذكرني بقول المتنبي:

كَبّـرْتُ حَوْلَ ديـارِهِمْ لَمّـا بـدتْ
مِنْها الشُّموسُ ولَيْس فيهَا المَشْرِقُ

(150) المعجب للمراكشي وترجمة الحميري ومصادرها في الذيل والتكملة وترجمة ولده عصام ومصادرها في الذيل والتكملة.

فاعتذرت للخراساني، وقلت له: قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي، حين لم أفهـم نبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشموس، وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤوس»[151].

وجاء في الصبح المنبي ما يلي:

«وحكى صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ في قلائد العقيان فقال فيه: «رمد عين الدين، وكمد نفوس المهتدين، لا يتطهر من جنابة، ولا يظهر مخايل إنابة».

فبلغ ذلك ابن الصائغ فمر يوماً على الفتح ابن خاقان وهو جالس في جماعة فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح وقال له: إنها شهادة يا فتح، ومضى فلم يدر أحدٌ ما قال إلا الفتح فتغير لونه، فقيل له ما قال لك، فقال إني وصفته كما تعلمون في قلائد العقيان فما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو مني بهذه الكلمة، فإنه أشار بها إلى قول المتنبّي:

وإذا أَتتـكَ مـذمّتي مِنْ نـاقصٍ
فهْي الشّهـادةُ لي بـأنّي كـامِـلُ»

وجاء فيه أيضاً: «حدّث بعض المغاربة قال: كنا عند ملك المغرب فـورد عليه مكتوب من بعض ثغوره يتضمّن أن أعداء المسلمين خرجوا من البحر، وفتكوا بعساكر ذلك الثغر، حتى لم يبق منهم من يحمل السلاح، وصارت القتلى كالآكـام على البطاح، وكان ببادية ذلك الثغر أمير تهابه الحتوف، وتفرق من ملاقاته الألوف، وسار إليه أعداء الدين، بجمع لا يبلغ عشر من قتلوا، فتلقّاهم بـالبيض المشرفيـة والسمر الخـطية، فـانهزمت أرواحهم إلى النار، وثبتت أجسامهم كالأحجار، وعمد إلى سفنهم فأغرقها وإلى أشلائهم فأحرقها، فلمّا تمّت قراءة الكتاب قال رحم الله أبا الطيب، ومراده قوله:

---

(151) نفح الطيب 3: 222، 4: 208.

فلَيْس تـأكُـل إلا الميتـة السّبُـعُ»

ونلمس هذا الاستظهار في تمثل ملوك الغرب الإسلامي ورؤسـائه بشعر المتنبّي في المخاطبـات والمواقف، فقـد تمثل الحكم المستنصـر الأموي عندما أعجب بحركات الزناتيين على خيولهـم بقوله:

فكـأنّمـا وُلِـدتْ قِيـامـاً تَحْتَهُمْ
وكَأنّهُمْ وُلِدوا عَلَى صَهَـواتِها[152]

وكتب أبو القاسم الزبيدي إلى الوزير ابن حزم كتاباً تمثل في آخره بقول المتنبي:

ومن نكَد الدّنيا على الحُرِّ أنْ يَرَى
عـدُوّاً لـه مـا مِنْ صَـداقتِـه بُـدُّ

فوقع الوزير ابن حزم على ظهره ولم يزد:

ومن نكَدِ الدُّنيا على الحرّ أن يَرَى
صَديقاً لَه ما منْ عَـداوتِهِ بُـدّ[153]

ولمـا بلغ الكاتب ابن البنّـاء الإشبيلي موت عدوٍّ لَهُ تمثـل بمطلع المتنبي:

قالوا لَنا ماتَ إسحاقٌ فقلتُ لَهُمْ
هذا الدّواءُ الذي يَشفْي منَ الْحمُقِ[153م]

(152) المقتبس: 193 تحقيق عبد الرحمن الحجي.

(153) جذوة المقتبس: 98 - 99.

وكان حمّو بن ملّيل يقتصر في مكاتبة خصمه تميم بن المعز بن باديس على شعر المتنبّي، فقد كتب إليه مرّة متمثلاً بقول أبي الطيب:

إذا كــانَ أعــجَـبَـكُـمْ عــامُـكُـمْ
فَعـودوا إلَى حِمْص في الْقـابِـلِ
فــإنَّ الحســامَ المُصيبَ الّــذي
قُتِلْتُمْ بِــهِ في يـدِ الْقــاتِــلِ(154)

وكتب إليه في مناسبة أخْرى متمثلاً بقوله:

كَمْ قَدْ دُفنتُ وكَمْ أقبرتُ عنْدَكُمُ
ثُمّ انتَفَضْتُ فَـزالَ الْقَبْـرُ والْكفَنُ
مـا كلُّ مـا يتمنّى الْمَرءُ يـدركُـهُ
تَجْري الرّياحُ بما لا تَشْتَهي السّفُن(155)

واكتفى يوسف بن تاشفين في مجاوبة الأدفونش بهذا البيت:

وَلا كُتب إلاّ الْمَشْــرِفِيّـة والقَنــا
وَلا رُسُلٌ إلاَّ الْخميسُ العرَمرَم(156)

وكان المهدي ابن تومرت يتمثّلُ بقول المتنبّي:

إذا غــامـرتَ في شَــرَفٍ مَـروم
فَــلا تَقْنَــعْ بمــا دونَ النّجــومِ
فــطعْمُ المـوتِ في أمــرٍ حَقيـرٍ
كـطَعْم الْمَـوْتِ في أمــرٍ عَـظيم

(154) رحلة التجاني: 72.

(155) المصدر نفسه.

(156) إحكام صنعة الكلام للكلاعي.

وبقوله أيضاً:

ومَنْ عـرفَ الأيـامَ مَعْــرفتي بهـا
وبـالنّاس رَوّى رُمْحَـه غَيْرَ راحمِ

فليسَ بمـرحـومٍ إذا ظفِــروا بِـهِ
وَلا في الرّدى الْجاري عليهِم بآثمِ

وبقوله أيضاً:

ومــا أنــا مـنْهُـم بـالعيشِ فيهمْ
ولكن مَعْـدن الذّهبِ الـرّغـامُ(157)

ومن أطرف ما وقع لهم في التمثل بشعر أبي الطيب هذه الحكاية التي ذكرها ابن خلدون وغيـره مـن المؤرّخين المغاربة وهي أن العادل الموحدي لمّا وصل قصـر المجاز عـائداً من الأنـدلس بسبب اضطراب الأحوال لقيه أبو محمد عبدالله بن أبي حفص فسأله العادل عن الحال فأنشد متمثلاً:

حــالٌ مَتى عَلم ابْنُ مَنْصورٍ بِهـا
جــاءَ الـزمــانُ إليّ منْهـا تــائبـا

فاستحسن العادل تمثل المذكور بهذا البيت لموافقته للحال إذ العادل هو ابن منصور فولاه إفريقية مكافأة له بسبب هذا البيت، وكان ذلك مبدأ الدولة الحفصية(158).

يتجلى ممّا عرضناه في هذا الفصل مبلغ العنـاية بشاعـر العربيـة الأكبر في الغرب الإسلامي وهي عناية ظلّت مستمرة إلى وقتنا.

وفي العصور الأخيرة التي تدعى بعصور الانحـطاط أصبـح المغرب

---

(157) وفيات الأعيان 5 :54.

(158) العبر لابن خلدون وتاريخ الدولتين للزركشي : 21.

الأقصى المركز الأول لقراءة ديوان المتنبي وحفظه ودراسته، ولا سيما بعد ضياع الأندلس وقيام الترك في تونس والجزائر، فقد كان السلطان السعدي محمد الشيخ «يحفظ ديوان المتنبّي، عن ظهر قلب» ويروي النّاصري في الاستقصا سبب حفظه له فيقول:

«لما غدرت به قبيلة المنابهة وأنجاه الله من غدرتهم كتب إلى شيخه عبدالله ابن عمر المدغري يشكو له الحال فأجابه: أين أنت من قول أبي الطيب:

غاضَ الْوفاءُ فَما تلْقاهُ في عدَة
وأعْوزَ الصّدْقُ في الأَخْبار وَالْقسَمِ

فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنبّي حتى حفظه ولم يعزب عنه بيت واحد»[159].

ويحدثنا عبد العزيز الملزوزي عن شغف السلطان المذكور بشعر المتنبي فيقول: «وكان أشدهم به ولوعاً، وأحناهم عليه ضلوعاً، أشبههم كلاماً برقته، وألهجهم لساناً بحكمته وأنضاهم يوم الروع لسيف جزالته، وأجرأهم في الإقدام في حومة الهِياج والكفاح على دلالته، وأحسنهم إيراداً لأمثاله، وأرشقهم بسهام الرأي المصيب ونباله، وأنفذهم في الملحدين لوعيده، وأعطفهم على المؤمنين من رعايا الله وعبيده ملك الملوك، وفخر المالك والمملوك، مولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين، وناصر الدين، أبو عبدالله محمد الشيخ المهدي قدس الله نفسه، وطيب بأنفاس المغفرة والرحمة رمسه، كان كثيراً ما يتعاطاه على شغف، ويعرب بذوقه السليم عن حكم أنيقة القرط والشنف، ويجلّي بفوارس الإدراك غرره، ويستخرج بفهمه الثاقب من بحور معانيه الزاخرة درره، حتى اشتمل عليه حفظاً ودراية، ورفع للشهرة بمعرفته الراية، وما زال رضي الله عنه يوصي بحفظه

(159) انظر الاستقصا.

ودرايته إلى أعقابه الكرام وبنيه، ويشير بذلك على كتّابه وأدباءِ وقته وذويه»[160].

وبلغت العناية بديوان المتنبي في المغرب ذورتها في عهد المنصور الذهبي، فقد ورث الشغف بديوان المتنبي عن أبيه محمد المهدي، يقول كاتبه عبد العزيز الفشالي: «فإنه اليوم أيّده الله كالخليفة أبيه كلف بصناعته ومغرم، وولوعه المنيف قد طاف بمعاطاته وَأَحْرَم، وما زال على المدى مطلعاً لشموس حكمه ونوادره في كريم ناديه، ومجيلاً لقداح المحاورة فيه مع جهابذة هذا الشأن وأهل واديه، حتى فاز من سهام المعرفة بمعانيه وأساليبه ومبانيه بالقدح المعلّى، وصار في حفظه وحفظ الأدب على الجملة ودرايته آيةً تتلى»[161].

وتمثل شغف هذا السلطان العظيم بالشاعر الكبير في شيئين:

أحدهما: أنه جمع في خزائنه العلمية الحافلة عدداً كبيراً «من نسخ هذا الديون العتيقة المنسوبة المروية».

وثانيهما: أنه «أشار بتحرير نسخة منها تشتمل على نظمه المروي المجاز، وشعره الذي ليس في صحة روايته احتمالٌ ولا مجاز، وأمر أيده الله ونصره، وأسعدَ آصالَه وبُكَرَه، بترتيبه على حروف المعجم على طريقة المغاربة واصطلاحِهم، والجري في وضعها على بيانهم وإيضاحهم، ليرتفع بهذا التحرير العجيب عن شعره المروي الشك والارتياب، ويسهل بهذا الترتيب اهتداء المطالع إلى محل الحاجة من الكتاب»[162].

---

(160) ترتيب ديوان المتنبي للفشتالي (مخطوط).

(161) المصدر نفسه.

(162) المصدر نفسه.

وكان الباعث على إشارة المنصور أنه «نظر إلى هذا الديوان نظر مشفقٍ على بضاعته، وغيور على صناعته، فرأى أيده الله عدم ترتيبه، وإغفال تبويبه، وخلوّ جمعه من ضابط، وعُرُوّ موصوله من صلة ورابط، نقصاً في إحسانه، وحصراً في لسانه وعاهة في شخصه وإنسانه، إذ يعسر بذلك على مطالعه الاهتداء إلى قصده، والعثور بديهة على ما يشاء من هزله وجده»[163].

إن عمل المنصور السعدي في الأمر بترتيب شعر أبي الطيب على نحو جديد شبيه بما ذكرنا سالِفاً من تكليف الناصر الأموي أدباء وقته بجمع شعر أبي تمام وترتيبه.

وقد كلف السلطان السعدي بهذا العمل كاتبه المجيد وشاعره الخنذيذ عبد العزيز الفشتالي وأمره بمقابلة النسخ التي تشتمل عليها خزائنه، «والإتْيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجبر ما أغفله السّاهي».

وقد تفرغ الفشتالي لهذا العمل وعكف على شعر المتنبّي يرتبه ويقدم له ويعارضه بالأصول التي وضعت بين يديه، وفيها أصول عتيقة ونسخ متداولة، وفيها روايات أندلسية قدم بها العهد وظلت محفوظة إلى ذلك الوقت، فقد أشار الفشتالي إلى رواية ابن العريف القرطبي هكذا: «وقال في كافور ولم يرو ابن العريف هذه الأبيات» وذكر مرّات رواية ابن قادم القرطبي، منها مرة في ص 46: «وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا هي في النسخ المتداولة» ومرة ثانية في ص 241: «وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا ثبتت في أصل الديوان» ويشير الفشتالي إلى أصول أخرى بدون تعيين كما في ص 228: «وقال وليست مما ثبت في أصل الديوان» وكما في ص 260: «وقال مما لم يثبت له في الأصول المنتسخ منها».

(163) المصدر نفسه.

يبدو من هذا أننا أمام نسخة موثّقة أو نقدية كما يقال اليوم، وقد نعتبرها أول نسخة نقدية لشعر المتنبّي في بداية التاريخ الحديث.

ويشير الفشتالي في مقدمة ترتيب الديوان إلى أن بعض الفضلاء «كان قد فوق إلى هذا الغرض نِباله، وأشرع إليه نصاله، وجرى في ترتيبه على حسب ما في وسعه ومقدوره، ونظم في قلادة جمعه ما التقطه من فرائده وشذوره، فقل أن كان [مستوفياً] في ترتيبه لشعره المشهور، ومستقصياً في جمعه لنظمه الذي صحّحَه أئمة المنظوم والمنثور، إذ كان اقتصر على ما صحّت عنده روايته، ووقف في الاجتهاد حيث وقفت في مجال الدراية رايته»(164).

ولا نعرف من هو هذا الفاضل الذي يشير إليه ولعلّه أحد فضلاء زمنه ووطنه، ويبدو من عبارة له أن عمل هذا الفاضل رفع إلى السلطان ولكنه لم يقنعه «فآثر أيده الله الإتيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجبر ما أغفله الساهي»(165).

ومهما يكن الأمر فقد أنجز الفشتالي عمله حسبما أشار عليه المنصور، وقد وصلت إلينا نسختان من هذا الترتيب: إحداهما في الخزانة العامة بالرباط (رقم 609 ج) والثانية في الخزانة العامة بتطوان (رقم 524) ولكنها نسبت إلى أبي جمعة الماغوسي معاصر الفشتالي وأحد كتاب المنصور، وتتصدّر ديباجتها هذه العبارة: «هذا إنشاء الأديب الشهير أبي جمعة المراكشي المعروف بالمغوسي رحمه الله».

لقد ذكر هذا الكتاب ونسبه إلى الفشتالي ابن القاضي في درة

---

(164) المصدر نفسه.

(165) المصدر نفسه.

الحجال إذ يقول: «ألّف مقدمة لترتيب ديوان المتنبّي على حروف المعجم الذي أمر بترتيبه على ذلك المنهج المخدوم مولانا أبو العباس المنصور، وقد ذكرت صدور التأليف المذكور في المنتقى المقصور»[166] وكذلك المقري الذي يقول في روضة الآس:

«ومنها أيضاً: «ترتيب ديوان أبي الطيب» أحمد بن الحسين الكندي الشهير بالمتنبي، رتبه على حروف المعجم، وجعل له خطبة، أمره بذلك أمير المؤمنين نصره الله»[166م].

يمتاز عمل الفشتالي بما يلي:

- ترتيب شعر المتنبي على حروف المعجم حسب الترتيب المغربي.

- تحقيق المتن بالاعتماد على نسخ أصلية كثيرة أصبح بعضها مفقوداً.

- التمهيد للقصائد بما يشرح المناسبات التي قيلت فيها.

- إغناء النسخة بطرر - وهي الحواشي في اصطلاح المغاربة - ومعظم هذه الطرر تتعلق بالسرقات، وقد اشتملت هذه الطرر على أبيات السرقات الواردة في المنصف لابن جني وغيره، ويمكن القول بأنها أوسع ما وضع في سرقات المتنبي على الإطلاق، وإذا كانت هذه الطرر للفشتالي فإنّها تدل على غنى مكتبة المنصور التي ورثها ولده زيدان ثمّ غرّ بها القدر إلى الاسكوريال حيث ما تزال بقيتها إلى اليوم.

وينقل الفشتالي عن مصادر مفقودة بل لا ذكر لبعضها في تراجم أصحابها، فقد نقل رواية في سبب مقتل المتنبّي عن رسالة لأبي هلال العسكري

(166) المصدر نفسه.

اسمها «التكملة المختارة في تتبع الوساطة» ولم نجد لهذا الكتاب ذكراً فيما وقفنا عليه من مصادر، وهو يمثل حلقة مفقودة من حلقات المعركة النقدية حول المتنبي، ولا بد أن أبا هلال العسكري رد في رسالته المذكورة على القاضي الجرجاني، والعسكري كما يؤخذ من كتاب الصناعتين كان من خصوم المتنبي، فهو يقول فيه: «ولا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبّي، فإنه ضمّن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها» ويقول في ابتداءات المتنبي إنها «ابتداءات لا خلاق لها»[167].

وتتميز نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 609 ج بتوقيفات على بعض الأبيات يبدو أنها بخط المنصور الذهبي، وهذا مستفاد من مقارنة خطوط التوقيفات بخطوط المنصور الموجودة وكذلك من التعليق الذي كتبه الأديب السيد محمد غريط ونصّه: «الحمد لله، يقول الواضع اسمه عقب تاريخه سامحه الله بمنّه: إني سمعت سيدي الوالد رحمه الله يقول غير ما مرة: إن المنصور السعدي كان مولعاً بديوان المتنبّي وكانت له نسخ منه، وكان يوقّف على ما أعجبه من أبياته ويجعل مكان الرمل سحيق الذهب تنبيهاً على كثرته لديه، وأن نسخة من تلك النسخ عند السادة الشرفيين، ولا شك أنها هذه لما فيها من التوقيفات المذهبة. وقيد في 25 ربيع النبوي عام 1347 هـ».

ولهذه التوقيفات فائدة في الدلالة على ذوق السلطان المذكور ومقياس اختياره ـ وكان كما هو معروف أديباً ناقداً ـ وقد وجدناه يوقف في الغالب على أبيات حِكَمية أو غزلية كما يوقّف على أبيات في وصف الخيل والمعارك، وقد يوقف على بعض المطالع التي تعجبه أو على بعض الأبيات التي انتقدت على المتنبي كهذا البيت:

---

(167) كتاب الصناعتين.

فقلْقَلْتُ بالهمّ الذي قَلْقلَ الحشا
قـلاقِـلَ عيسٍ كلّهنّ قـلاقِـلُ

ومعظم الأبيات التي وقف عليها هي من أبيات المتنّبي السـائرة، وربما كان المنصور ينشدها ويردّدها في المواقف المناسبة، وربما وجد في بعضها ما يعبّر عن واقع حاله كهذا البيت الذي وقّف عليه:

وما كنتُ ممّن أدرَكَ المُلْكَ بالمُنَى
ولكن بـأيّـامٍ أشَبْن نـواصِيـا

وسنثبت هذه التوقيفات مع مقدمة هذه النسخة السعدية وزيـاداتها وبعض طررها في فصل آتٍ.

وإذا كان الفشتالي قام بترتيب الديوان وتخريج نسخة مغربية له فإن محمد بن علي الهـوزالي الملقب بالنابغة وضع شرحاً على الديوان توجد منه نسخة في إحدى الخزائن الخاصة، ولم نتمكن من الإطلاع على هذا الشرح، ولا بدّ أنه أهداه إلى المنصور.

ونتساءل عن دواعي بعث ديوان المتنبي وإحياء قراءته ودراسته؟

وقد يكون أول هذه البواعث إعجاب المنصور وسلفه بالشاعر الكبير، وتطلعه إلى تكوين طبقة من الشعراء في مستواه لتسجيل مفاخره وتخليد مآثره، وهذا ما حصل بالفعل، فقد ظهر عدد من فحول الشعراء، ومنهم الهوزالي الذي كان ينزع منزع المتنبي وعبد العزيز الفشتالي وغيرهما.

ومن الملاحظ في تاريخ الأدب الأندلسي والمغرب أن العناية بشعر المتنبي تقوى مع ظهور كبار الملوك الذين تحتاج وقائعهم إلى من يخلّدها بشعر يكون في مستوى شعر المتنبي في وقائع سيف الدولة، فمن ذلك ظهور ابن هانىء متنبي المغرب مع المعز الفاطمي، وفي عهد المنصور بن

أبي عامر نبغ ابن دراج «وكان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام»(168) وأخيراً نجد في عهد المنصور السعدي هذه العناية بشعر المتنبي التي أنجبت الشعراء المذكورين وغيرهم.

وكان الطابع العربي لهذه الدولة المغربية الشريفة من أسباب إحياء شعر المتنبي والآداب العربية على حين غدت التركية لغة الدواوين في معظم العالم الإسلامي.

كما أن المنصور الذهبي في هذا العصر الذي تقهقرت فيه الثقافة العربية والإسلامية رأى أن يحيي مجموعة من أصول هذه الثقافة، فكما كلّف كاتب دولته بوضع نسخة جديدة من ديوان المتنبي كلّف أيضاً علماء الحديث في عصره بعمل نسخة مقابلة ومعارضة بالأصول من صحيح البخاري «وقد ضمّن قائده أبو الحسن الشيظمي تاريخ الفراغ من هذه النسخة في آخر الأبيات التالية:

لـلَّهِ مـنـهـا درّة قـد بـدَتْ
في غـايـةِ الإِحْكـام والاحْتِفالْ

نسْخَـة مَنْ فـاقَ الْـوَرَى هِمّـةً
وخَـصّـه الـلَّـهُ بـإِرْث الْـمَعـالْ

وَأَكْسبَ الـمـأثـورَ فَخْـراً بِـه
وألْـبَسَ الـرُّواة بُـرْدَ الْـجَـمـالْ

الملكُ المَنْصـورُ مُحْيي الهُـدَى
ابْنُ رسـولِ الله وافي الْكَمـالْ

جـادَتْ بهـا الأيّـامُ في طـالـعٍ
أفـادَ عيْن الـدِّين أوفى اكتحـالْ

---

(168) يتيمة الدهر.

متى تشـــأ تـــاريـــخ إتـحـافـه
بالمُلْك قل آل النبي خير آلْ[169]

وندب علماء حضرته إلى تخريج تفسير ابن عرفة الذي كان يؤثره، وأشار بوضع شروح ومؤلفات سمى بعضها الفشتالي في مناهل الصفا وابن القاضي في المنتقى المقصور حتى لقد اشتملت «الخزانة الكريمة العلية الإمامية الشريفة اليوم على عددٍ جم من تصانيف أهل العصر في كل فن حتى في الطب والهندسة»[170] وكان يرسل العطايا الجزيلة للمؤلفين المشارقة الذين كانوا يهدون إليه مؤلفاتهم[172]، واشتغل هو نفسُه بالتأليف، فألف كتاباً في السياسة، وجزءاً في الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، وتقييداً في علم المعمّى من فنون الشعر ومعرفة طرقه وأسمائه وألقابه، وجمع أشعار العلويين من أمهات الأدب والدواوين الشعرية، وبالجملة فقد كان المنصور مغرماً بالشعر «لا تكاد داووينه تفارق راحته، ولا يرى في غير واديه أنسه وراحته»[172] ولهذا كله لا نعجب إذا رأينا منه هذا الاهتمام بشعر المتنبي «والانفراد بمعرفة ديوان أبي الطيب واستحضار حكمه وأمثاله» كما يقول الفشتالي في المناهل، وفي ديباجة النسخة المنصورية أيضاً شرح لأسباب اهتمامه بالدّيوان.

وقد استمرت العناية برواية شعر المتنبي وحفظه في العهد العلوي حيث كان عبد القادر الفاسي والحسن اليوسي وابن سليمان الروداني وأحمد بن خالد الناصري وغيرهم من حفاظ ديوان المتنبّي[173]؛ وما يزال علماء الغرب الإسلامي إلى اليوم ينشدون شعر المتنبي في المناسبات

(169) المنتقى المقصور (مخطوط).

(170) مناهل الصّفا. نشر د. كريم.

(171) ريحانة الألبا: 113.

(172) راجع مناهل الصفا. 294 - 303.

(173) ديوان المتنبي في العالم العربي: 54.

والمجالس العلمية، ومن ذلك ما أنشده أخيراً العالم السنغالي الشيخ عبد العزيز جوب في آخر درسه الديني الذي ألقاه في حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله (رمضان 1405) وكان جلالته محفوفاً بولي العهد سيدي محمد وصنوه مولاي رشيد ومن ضمهم ذلك المجلس العلمي، وبعد أن أنهى الشيخ درسه ختمه بالدعاء وإنشاد هذين البيتين وهما للمتنبي:

أمـا تَـرى مـا أراهُ أيُّهـا الملِكُ
كـأنّنا في سَمـاءٍ مـا لَهـا حُبُـكُ
الفـرقدُ ابنُـك والْمصْباحُ صـاحِبُهُ
وأنْتَ بدر الدُّجى والمجلسُ الفَلَكُ

ونشير في ختام هذا الفصل إلى أن أدباء المغرب احتفلوا بذكرى المتـنبّـي عندما احتفلت بها الأوساط الأدبية في العالم العربي سنة 1935 وقد سجلت صحف ذلك الوقت ومجلاته ما كتبوه في تلك المناسبة(174).

وإذا كانت العودة إلى المتنبي في العالم العربي لم تتم إلا في مطلع النهضة الحديثة فإن مكانته في المغرب ظلت محفوظة ـ كما رأينا ـ طوال مختلف العصور.

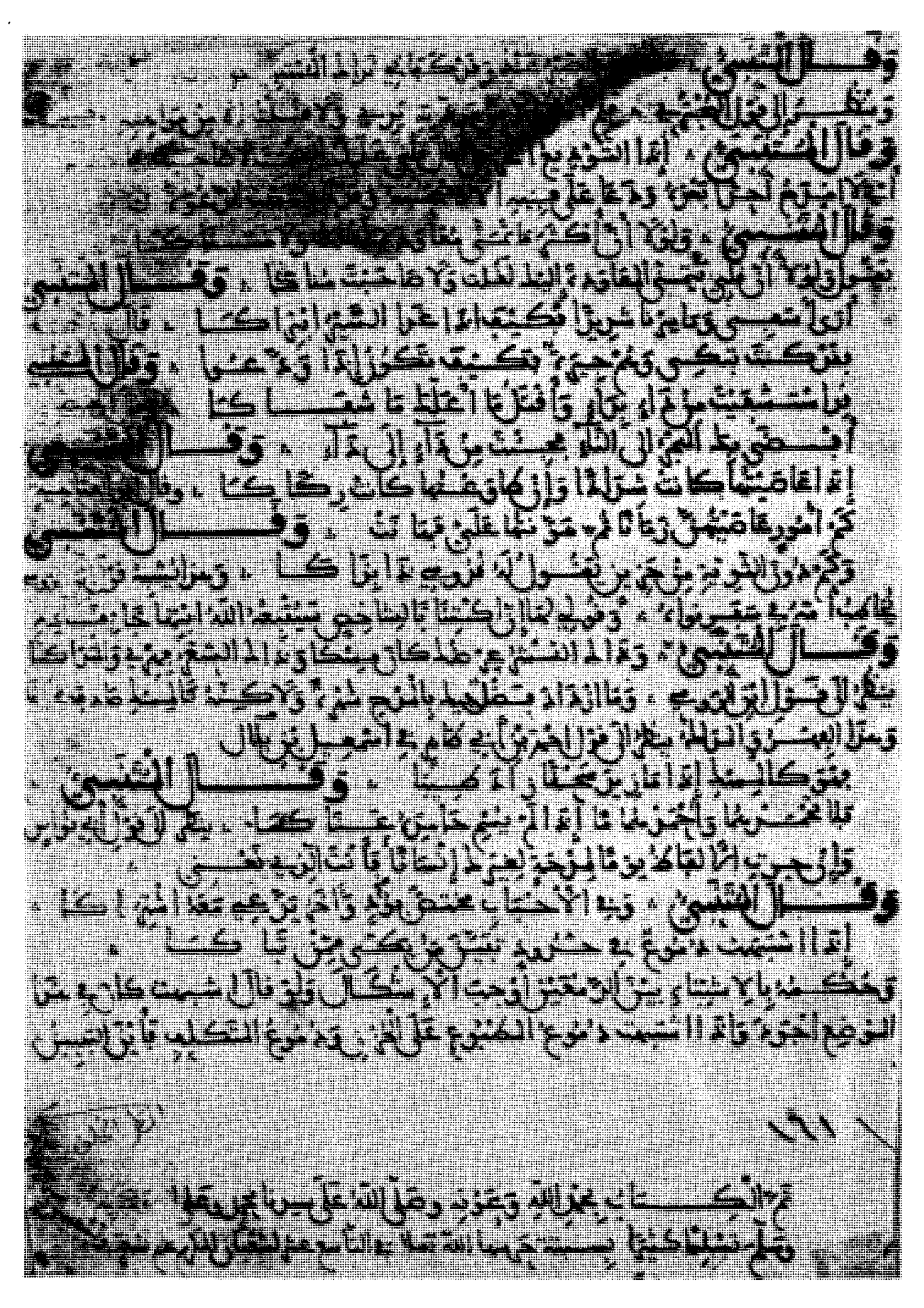
(174) نذكر منها على سبيل المثال العدد الخاص من مجلة «المغرب الجديد» العدد المزدوج 9 - - 10 فبراير ـ مارس 1936.

الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث.

من جواهر الآداب لابن لسراج الشنتريني

الصفحة الأولى من الجزء الرابع من كتاب.

ابن السراج الشنتريني



نسخة من شرح الوحيد لديوان المتنبي منتسخة في سبتة (مخطوط الأسكوريال).

الفصل الثالث

مُؤلّف رَوْضَـــة الأديب
في التفضيل بَين المتَـنبي وَحَبيب

مؤلف الرسالة هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي المعروف بابن لبّال الشريشي، ورفع ابن عبد الملك المراكشي نسبهُ إلى عبد مناف فقال: «علي بن أحمد بن علي بن فتح بن لبال بن إسحاق بن أمية بن عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف»[1].

ولم يشر ابن عبد الملك إلى مصدره في هذه السلسلة على خلاف عادته، ولعلّه اعتمد فيها على ابن لبال نفسه الذي كان ـ كما يقول ـ «حافظاً للتاريخ والنسب»[2].

ويقول أبو الخطاب ابن دحية الذي عرف ابن لبال وسَمِع منه بمنزله في شريش: «أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح وهو لبّال بن أمية بن إسحاق القرشي الأموي»[3] وإذا لم يكن في هذا النص المطبوع خلل فإن كلمة لبال بما تحمله من مسحة عجمية إنما هي لقب لفتح أحد أجداد المترجم، وهذا يخالف ما رأيناه عند ابن عبد الملك من عده جدّاً آخر بعد فتح.

(1) الذيل والتكملة 5: 169.

(2) المصدر نفسه.

(3) المطرب: 97 تحقيق الأبياري.

أما الآخرون الذين ترجموا لابن لبال فهم يقفون في تعداد نسبه عن جده علي، ولكن الجميع يتفق على نسبته الأموية.

وإذا صح النسب الذي ساقه ابن عبد الملك بكون ابن لبال من عقب عبد الرحمن الداخل ومن ذرية ولده عبدالله البلنسي، وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة أنه بقي في وقته «من ولد عبدالله البلنسي رجل يعرف بابن الخدين»[4].

ولد ابن لبّال بمدينة شريش سنة ثمان وخمسمائة ويستفاد من قائمة شيوخه أن جلّ دراسته كانت بإشبيلية، فقد قرأ القرآن بالقراءات السبع وسمع صحيح البخاري على ابي الحسن شريح شيخ القراء والمحدثين بإشبيلية والأندلس في زمنه[5]، وروى الموطأ عن أبي بكر محمد بن طاهر وأبي بكر ابن العربي بإشبيلية أيضاً[6]، ودرس بها النحو واللغة والأدب على أبي الحسن علي بن مسلم[7] وأبي الفضل ابن الأعلم[8] وأبي بكر محمد ابن فندلة[8م]، وقد نص في رسالته على قراءته على هؤلاء بإشبيلية، وسمع ببلده شريش مقامات الحريري على أبي القاسم عيسى ابن جهور الذي أخذها ببغداد عن الحريري[9] نفسه. ومن شيوخه أيضاً أبو الطاهر التميمي السرقسطي مؤلف «المسلسل» و«المقامات اللزومية»[10] وأبو الحجاج يوسف

(4) الجمهرة: 95 تحقيق عبد السلام هارون.

(5) ترجمته في الصلة: 229 والغنية: 273 وبغية الملتمس رقم 849 وغاية النهاية 1 :324 ووفيات الأعيان 7.

(6) ترجمتهما في الصلة: 557 - 558 وغيرها.

(7) ترجمته في الذيل والتكملة 5 :180، 392 والتكملة رقم 1848.

(8) ترجمة أبي الفضل حفيد الأعلم في المطمح: 64 - 67 والصلة: 552 وبغية الملتمس رقم 609 وبغية الوعاة 1 :161 ونفح الطيب.

(8م) ترجمته في الصلة: 552 وبغية الملتمس رقم 210.

(9) ترجمته في الصلة: 416 وصلة الصلة رقم 79 وبغية الملتمس رقم 1140.

(10) ترجمته في الصلة: 556 والمعجم لابن الأبار: 140 وبغية الوعاة 1 :279.

القضاعي الأندي[11] وأبو مروان ابن مسرة[12] وأبو الحسن خليل بن إسماعيل[13]، وأبو العباس بن أبي مروان[14] وغيرهم.

قد تهيأتْ لابن لبّال بهذه الدراسة الجادة ثقافة عامة عريضة، وتكونت لديه مشاركة واسعة في علوم متنوعة، «وكان معتنياً بالقراءات مجَوّداً لها، وافر الحظ من الآداب، حافظاً للتاريخ والنسب، متقدماً في علم العربية، عاقداً للشروط ضابطاً لها»[15].

ولما انتهى زمن الطلب والدراسة بإشبيلية عاد ابن لبّال إلى بلده شريش واستقرّ به منتصباً للتدريس متطوّعاً به ومشتغلاً بالتوثيق متعيشاً منه، ومهتماً بالتدوين والتأليف ونقدر أن عودته إلى شريش كانَتْ في آخر العقد الرابع من القرن السادس أي حوالي 540 هـ وهذا التاريخ يمثل نهاية عهد المرابطين في الأندلس وبداية عهد الموحدين، وقد كانت مدينة شريش أسبق مدن الأندلس إلى الدخول في الطاعة والمبادرة إلى مبايعة عبد المؤمن فأصبح لها بذلك وضع خاص طوال عهد الموحدين، قال ابن أبي زرع: «فكان أول مدينة فتحوها من الأندلس مدينة شريش، فتحوها صلحاً، كان بها قائدها أبو الغمر من بني غانية في ثلاثة آلاف فارس من المرابطين، فخرَج بمن معه فتلقى الموحدين وبايعهم لعبد المؤمن ودخل في طاعته، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الأولين، وحُرّرت أملاكهم فلم تزلْ محررة إلى انقضاء أيامهم، فليس في أملاكهم رباعة وجميع بلاد الأندلس مربّعة، وكان ملوك الموحّدين ـ إذا قدم عليهم وفود الأندلس للسلام في كلّ سنة ـ أول من ينادون من أهل البلاد أهل شريش، فيقال لهم: أين

---

(11) ترجمته في بغية الملتمس رقم 1446 والتكملة رقم 2076 وصلة الصلة رقم 400.

(12) ترجمته في الصلة: 348.

(13) ترجمته في التكملة: 310.

(14) ترجمته في التكملة: 58.

(15) الذيل والتكملة 5: 169.

السابقون أهل شريش يدخلون للسلام فإذا سَلّموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا، فحينئذ يدخل غيرهم، وكان فتح شريش في أول يوم من شهر ذي الحجّة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة»[16].

كان ابن لبّال في هذا التاريخ قد جاوز الثلاثين وبلغ مبلغ الرجال، وفي هذا الجو الاجتماعي الممتاز الذي أصبحت تتمتع به شريش أقبل بعزم وحزم على ما كان بصدده من التدريس ونشر العلم، واتسمت حياته منذ شبابه بسمات الفضل والخير والورع والزهد، وسرعان ما أصبح بفضل خصاله الحميدة وشيمه النبيلة «عين ذلك المصر، وفارسه في الفقه والنظم والنثر» كما يقول ابن دحية[17].

وهذا ما جعل أهل بلده يجمعون على ترشيحه لخطة القضاء عندهم، وهنا يحسن بنا أن نسوق كلام ابن الزبير قال: «وولي قضاء بلده شريش مكرهاً، وكان سبب ذلك أن والي إشبيلية كتب إلى أهل شريش أن يجتمعوا على رجل منهم يولّى القضاء بها فجمعهم والي البلد وأجمعوا عليه ولم يختلف عليه أحد منهم فحلف أن لا يكون قاضياً ورجا أن يبروا يمينه فلم يفعلوا، وكُتب عقدٌ باتفاقهم عليه ووجّه إلى إشبيلية فوصلهم كتاب ولايته، فهم بالمشي إلى إشبيلية ليستعفي فمنعوه واتفقوا على المشي معه في طلبه، وذُكر لصاحب إشبيلية أنه ضعيف الحال فرتّب له مرتّباً يأخذه من المخزن مشاهرة فاشترى منه عبداً فأعتقه كفارة ليمينه وقال في ذلك:

كنتُ مُذْ كنتُ كارهاً
أن ألي خطّةَ القَضا
لَمْ أرِدْها وَإنّما
ساقَها نحويَ الْقَضا

(16) الأنيس المطرب: 188 ط. دار المنصور ـ الرباط.
(17) المطرب: 97.

وقال حين زال عن القضاء:

حُمِلتُ عَلى الْقضاءِ فَلَمْ أُرِدْهُ
وكــانَ علَيّ أثقــلَ مِنْ ثَبيــر
فلمّا أنْ عُزِلْتُ جَعلتُ أَشْـدو
لقد أنقذت من شــرٍّ كَبير»[18]

ويشير ابن عبد الملك إلى سيرته خلال الفترة التي تقلّدَ فيها القضاء فيقول: «وكان من أفاضل قُضاة زمنه صدعاً للحق في قضائه، وقياماً بالعدل في أحكامه، لا تأخذه في الله لومة لائم»[19]. وَيَقُولُ ابن دحية: «ولي القضاء به (يعني بلده) فحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، وسارت في العدل أخباره»[20].

ولما تخلّى عن القضاء تفرغ لما كان يؤثره من الإقراء والتدريس، وقد وصف ابن عبد الملك حاله في تعليمه ومعيشته فقال: «وكان محرّضاً على طَلَبه، برّاً بطلَبَته، معظّماً لشأنه وأهله، لين الجانب لهم ناصحـاً في تعليمه، متواضعاً في أحواله، متبذّلاً في لبسته، أكثر لباسه جبّة صوف لا شِعار لها، يتولّى خدمته لنفسه، وشراء ما يحتاج إليه، وحمل خبزه إلى الفرن وسوقه منه تخاملاً وقهر نفس»[21].

أما تلاميذه فمعظمهم من أبناء بلده شريش ومن أنجبهم أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي شارح المقامات المشهور[22]، وكان شيخه ابن لبّال يثبت نسبه في بني أمية، وفي هذا ما يدل على اعتزاز الشيخ

---

(18) صلة الصلة: 109.
(19) الذيل والتكملة 5 :170.
(20) المطرب: 97.
(21) الذيل والتكملة 5 :170.
(22) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 1 :268.

بتلميذه، وقد تابع هذا التلميذ شيخه في شرح المقامات، وضمن هذا الشرح جملة من أشعار شيخه، ومن أنجبهم أيضاً الأديب الشاعر أبو عمر محمد ابن غياث الشريشي[23] وهو من سراة الأعلام، وحسنات الأيام، رق نسيم نسيبه، وراق ما اخترع من عجيب النظم وغريبه[24] وأبو بكر محمد ابن الغزّال الشريشي[25] وأبو الحسن علي ابن الفخار الشريشي[26]، وأخذ عنه من غير أهل شريش النحوي المشهور أبو علي الشلوبين الإشبيلي[27] وآخرون.

يُنْعتُ ابن لبال بالقاضي الزاهد، هكذا وصفه الرعيني أكثر من مرّة[28]، وقال ابن الزبير: «وكان... زاهداً وَرعاً فاضلاً من أفضل أهل زمانه وأورعهم». ثم قال: «وأخباره في ورعه كثيرة»[29]. وظل على حاله هذه إلى أن توفي سنة 582 هـ. وهو ابن أربع وسبعين سنة. قال ابن عبد الملك: «وكان الحفل في جنازته عظيماً والثناء عليه جميلاً، ولم يزل قبره مزوراً مرجو البركة رضي الله عنه»[30].

أما آثاره الأدبية فهي:

1 ـ شرح مفيد على مقامات الحريري. ويبدو أنه مفقود، ولعلّ شرح تلميذه أحمد بن عبد المؤمن الشريشي غطّى عليه فكتبت له الشهرة والبقاء وأحسب أنه استعان به، ولكنه لم يذكره من جملة شروح المقامات في

(23) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 6 :295.

(24) المغرب 1 :305.

(25) ترجمته في الذيل والتكملة 6 :499.

(26) ترجمته في الذيل والتكملة 5 :185.

(27) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 5 :460.

(28) برنامج الرعيني: 90، 122.

(29) صلة الصلة: 109.

(30) الذيل والتكملة 5 :171؛ هذا ويحسن التنبيه إلى أن ترجمة أبي الحسن ابن لبال كما وردت في نفح الطيب 4 :231 نقلاً عن المطمح لا علاقة لها بصاحبنا.

مقدمة شرحه ولم يصرّح بالنقل عنه إلا مرة واحدة في آخر المقامة الكرجية عند شرح بيتي ابن سكره في كافات الشتاء فقد أورد ثلاثة أبيات للشاعر الأندلسي ابن مسعود زاد فيها كافاً ثامنة وقال: «نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن لبال، قال (أي ابن لبال): ولما جمعنا في أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات قلت في ضدّها الحرّ بيتين جمعت فيها من الراءات ثمانية وهي:

عِنـدي فـدَيتـكَ راءاتٌ ثمـانيـةٌ
أُلْقى بهـا الحـرَّ وافى وإن بـردا
رق وروحٌ وريحـانٌ وريق رشـاً
ورفـرف وريـاض نـاعم وردا»[31]

ويستفاد من هذا النص أن شرح ابن لبّال على المقامات حافلٌ بالمختارات الأدبية ولا سيما الأندلسية، وأنّهُ يشتمل على نماذج من شعر مؤلّفه، كما تدلنا نقول منه وردت في كتاب الدوحة المشتبكة على أنه عامر بالفوائد الفقهية والتاريخية، وأخيراً فإن قيام ابن لبّال بوضع شرح للمقامات ينهضُ دليلاً على ثقافته الأدبية واللغوية الواسعة.

2 ـ مقدمة في العروض. وقف عليها ابن عبد الملك فيما يـظهر ووصفها بأنّهـا نافعة[32].

3 ـ روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب. وقد انفرد ابن عبد الملك بذكرها هي والمقدمة المذكورة قبلها، وهذه الروضة هي التي نقدم لها بهذه المقدّمة، وهي عبارة عن مقالة وصفها ابن عبد الملك بأنّها «مقالة نبيلة» وسنعرض لوصفها وذكر محتواها وقيمتها فيما بعد.

4 ـ شعره ونثره: قال ابن عبد الملك: «وكان يقرض مقطعاتٍ من

(31) شرح الشريشي على المقامات 3: 42.
(32) الذيل والتكملة 5: 170.

الشعر يجيد فيها، وبينه وبين جماعة من أدباء عصره مخاطبات أدبية نظماً ونثراً تدلُّ على متانةِ أدبه»[33].

أمّا مخاطباته الأدبية ورسائله الإخوانية فلم يصل إلينا شيء منها فيما وقفنا عليه، وأمّا شعره فقد بقيت منه بعض القصائد والمقطعات في أغراضٍ متنوّعة.

إن هذا الشاعر الحسيب والفقيه الورع الزاهد الذي أصبح قبره في شريش مزاراً يتبرك به[34] كانت تهزه أريحية الأدب فينقاد لدواعي القول البريء وينظم في أغراض الكلام المباح فله غزليات حلوة وخمريات عذبة، ولعلّه قالها من باب الأريحية أو على سبيل الرياضة كما يعبر المعري، وله شعرٌ في وصف الطبيعة، ومتنزّهات بلده شريش، كوصف التنزّه في النهر بالزوارق، ووصف متنزّه «الجانة» ووصف زمن العصير، وله مقطعات في الألغاز، وووصف الأدوات الحضارية كالدواة والمقص وغير ذلك.

أما شعره في الحنين إلى الديار المقدسة والشوق إلى زيارة قبر المصطفى فهو ينسجم مع تدينه وورعه وزهده.

ولعلّ من المفيد أن نثبت ما وقفنا عليه من شعره وسنسوقه مرتّباً على الحروف:

حرف التاء

قال يصف التين القوطي:

كأنَّ جَنَى القوطِي في رَوْنق الضُّحى
وقَــدْ حملتْـهُ راحــةُ الــوَرَقــاتِ

(33) المصدر نفسه.

(34) المصدر نفسه.

نهودُ عذارَى زُحْزِحَتْ عنْ مَقَرِّها
فقامَتْ عَلى الأطرافِ والحَلَماتِ(35)

حرف الحاء

وقال معارضاً البحتري:

يا بِأبي ظبيٌ إذا مارَنا
أثخنَ قَلْبي وفُؤادي جِراحْ
يفترُّ عنْ طلعٍ وعنْ جوهرٍ
وفِضّة أو حَبَبٍ أو أقاحْ(36)

حرف الدال

وقال في راءات الصيف:

عِندي فديتك راءاتٌ ثمانيةٌ
ألقى بها الحَرَّ إن وافَى وإن بَرَدا
رق ورَوْح ورَيْحانٌ وريقُ رشاً
ورفرف ورياضٌ ناعم ورِدا(37)

وقال يتشوق إلى الروضة المقدسة الطاهرة، ويسلّم على محمّد سيد ولد آدم في الدنيا وسيد الناسِ في الآخرة:

سلامٌ وَلا أقْرَا سلاماً على هِندِ
صرفتُ إذاً مَسْرايَ عن مَسْلك الرشْدِ

---

(35) شرح مقامات الحريري للشريشي 3 :65 نشر خفاجي. والتين القوطي من أنواع التين بالأندلس. انظر النفح 1 :200.

(36) المصدر نفسه 1 :62 وهو يعارض قول البحتري.

(37) المصدر نفسه 3 :42.

على قَمَرٍ لو أطلعتهُ يدُ الثّرى
لقصّر عن لألائه قمرُ السّعدِ
وأرْبَى على نورِ الغزالة نورُه
كما يفضل الحُرُّ الكريمُ على العَبْدِ
فَطابَ بهِ ترْبُ الضريح بطيبِهِ
فيعبَقُ عن مسكٍ نديّ وعن نَدِّ
ويَضحكُ عن روضٍ تُداني يد الصّبا
به صفحة السّوسانِ مِن صفحةِ الوردِ
فَطوبى لمَنْ أضحى يمرّغ لوعَةً
بتربة ذاك القَبْر خدّاً إلى خَدِّ
نبي عليهِ من تلألؤ نورِه
تَلألؤ برقٍ أسرجَتْهُ يدُ الرّعْدِ
نما من قريشٍ في ذؤابة هاشمٍ
فما شئت من فضلٍ عميمٍ ومن مجد
سلامٌ عليهِ ما تغنّت حمامةٌ
وفاحَ ذكي المسكِ من جنّة الخُلْدِ
وما أنشدَ المشتاقُ إن هبّت الصّبا:
«ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ»[38]

وقال يصف البهار وهو الذي يسمّيه أهل المشرق نرجساً:

وبهارٍ يحكى كؤوس لُجينٍ
حملتها أنامِلٌ من زبرجَدْ

(38) المطرب: 97.

سـامرتهـا الكـواكبُ الـزُّهْـرُ حَتّى
سَمَرت وسْطَها كواكبُ عَسْجَدْ[39]

حرف الـراء

وقال يصف حاله في الكبر:

قَــوّسَ ظَهْـري المشيبُ والكِبَـرُ
والــدَّهـرُ يــا عَمْــرو كُلُّه عبَــرُ
كــأنّـني والْـعَصــا تــدِبُّ مـعي
قوسٌ لَها وهْي في يـدِي وَتَرُ[40]

وقال يصف نار الكانون:

فـحـمٌ ذكـتْ فـي حـشــاه نــارُ
فــقــلتُ مــســكٌ وجُــلّنــارُ
أوْ خَــدُّ مَن قَــدْ هــويتُ لَمّــا
أطــلّ مــن فَــوْقــه الـعِــذارُ[41]

وقال في وصف ثَغر وخَصْر:

جلوتِ لنا شيئاً من الدرِّ عاطِلاً
بعيشِكِ لِمْ جنّبتِه الجيـدَ والنّحرا
فقالَتْ ولم تكذِبْ خشيت سقوطَهُ
وأومت إلى فيهــا فنـظّمــه ثَغْـرا

---

(39) شـرح المقامات للشريشي 1: 54.
(40) المصدر نفسه 1: 96.
(41) المصدر نفسه 4: 155.

كذلك إنْ عَضّ السِّوارُ بمِعْصَمي
وحاولَ أن يُدْميه حَمَّلْته الخَضْرا[42]

وقال يصف الهلال وأخذه من ابن المعتز:

انــظُر إلــى الْـهــلالِ إذْ
لاحَ بــهــي الــمَــنْـظَرِ
كــزورقٍ مــن فــضّــةٍ
وسط لــجــيــنٍ أخــضَــرِ[43]

وقال يصف متنزّهاً بشريش يسمّى إجانه:

أيـا حبذا إجـانَـةٌ كيفمـا اغْتَـدتْ
زمــان ربيــع أو زمــان عَصيــرِ
مذانبُ ماء كاللُّجين على حصىً
كــدُرٍّ بــلا ثَقــبٍ أغَــرَّ نـثيــرِ
ورملٍ إذا ما ابتلّ بالمـاءِ عِطْفُـه
غَـنينــا بِــهِ عن عَـنْبــرٍ وذَرورِ
وتينٍ كمـا قـامتْ على حَلَمـاتهـا
نهودُ عَذارى الزّنج فَـوقَ صدور
كـأنّ قِبــاتِ الْخَــزِّ فيهـا عَــرائِسٌ
على سُـرُرٍ مفـروشـةٍ بحَـريـر[44]

وقال من قصيدة حجازية:

(42) المصدر نفسه 1 :195.

(43) المصدر نفسه 1 :94.

(44) المصدر نفسه 3 :65 وانظر ما قيل في الإجانة: المغرب لابن سعيد (شريش).

متى أقــولُ وقـد كلّتْ ركــائبُنـا
من السّرى وارتكاب البيدِ في البُكَرِ
يـا نـائمين على الأكـوارِ ويْحَكُمُ
شدّوا المطي بذكر اللّهِ في السّحَرِ
أما سمعتم بحادينـا وقد سَجَعَتْ
وُرْق الحمائمِ فوق الأيكِ والسَّمُر
هذي البشارة يا حُجّاجُ قد وَجَبَتْ
غَـداً تحطّونَ بين الرُّكْنِ والحجَرِ(45)

وقال يصف حاله في الكبر:

لمّا تقوّس منّي الجسمُ عن كِبَـرٍ
وابيضّ ما كانً مُسْوَدّاً مِن الشّعَرِ
جعْلتُ أمشي كـأنّي نصفُ دائرَةٍ
تمشي على الأرض أو قوسٌ بلا وَترِ(46)

حرف الـزاي

وقال مُلْغِزاً:

معــانقَـةُ العجــوز أشَـدُّ عِنْـدي
وأقْتــلُ من مـعــانقــة الـعجــوز
ومــا ريق العَجـوز أمَـرُّ عِنـدي
وَلا بـألَـذّ من بَــوْلِ العجـوز(47)

---

(45) المطرب: 99.
(46) تحفة القادم.
(47) المطرب: 99.

العجوز الأولى: المرأة المسنة، والثانية السيف، والثالثة الْخمر والرابعة البقرة، وبولها: لبنها.

حرف السين

وقال في وصف الخمر:

ومُدامَةٍ لبستْ غِلالَةَ نرجسٍ
وتنفّست في الكاس أيّ تنفُّسِ
باكرتها والوردُ يوقظُهُ النّدى
وَتَبلُّ خَدّيه عيون النّرجِسِ
والشمسُ تنظُرُ من وراءِ غَمامةٍ
لَبِست من الكافور أحسنَ ملبَسِ
نبّهتُها بيد المِزاجِ فأصبحتْ
ترنو إلي بأعينٍ لم تَنْعَسِ
وتورّدتْ حَتّى توقّدَ كَأْسُها
فحسبتُها في الكفِّ جذوة مقْبس[48]

حرف الطاء

نُسب إليه في المنتقى المقصور هذان البيتان:

تكاملت فيك أوصافٌ خُصصتَ بها
فكلُّنا بك مسرورٌ ومغتبط
فالسنّ ضاحِكةٌ والكفّ مانِحةٌ
والصدرُ متسعٌ والوجهُ منبسِطُ[49]

---

(48) الشريشي 2: 95.

(49) نسبهما له ابن القاضي في المنتقى المقصور و ذكر ابن خلكان أنه وجدهما منسوبين إلى أبي الشيص وكان ابن تومرك ينشدهما إذا أبصر عبد المون، و فيات 3: 238.

حرف القاف

وقال في محبرة عنّاب محلاة بالفضّة:

منعلةٌ بالهلال مُلْجمةٌ
مجدولَةٌ منَ الشّفَقِ
كأنّما حبْرُها تميّعَ في
فُرْضَتِها سائلٌ من الغَسَقِ
فأنْتَ مهما تَرِدْ تُشَبِّهُها
في كلّ حالٍ فانظُرْ إلى الأفقِ(50)

وقال في الجَلَمَيْن:

ومُعْتَنِقَينِ ما اتُّهما بعِشْقٍ
وإنْ وُصِفا بضَمٍّ واعْتِناقِ
لَعَمْرُ أبيكَ ما اجْتَمَعا لمَعْنىً
سِوَى مَعْنى الْقَطيعةِ والْفِراقِ(51)

وقال معارضاً أبيات الحريري في المقامة الثانية:

ودّعتُها ومَدامعي
تنهلُّ بالدّمْعِ الطّليقْ
فَبكتْ فأذْرَت أدْمُعاً
في صفحةِ الخَدّ الأنِيقْ
ومضَتْ تَعَضّ بنانَها
بين التلهُّف والشّهيقْ

(50) المطرب: 98 ونفح الطيب.

(51) المطرب: 98.

فـــرأيـــتُ دُرّاً ســـاقـــطاً
مـن نـــرْجِـسَـيْـنِ عـلى شَـقـيـقْ
ورأيـــتُ مـــبـيـضّ الـــلُّجـيْـ
ـنِ يـعَضّ محـمَـرّ الْعَـقـيـقْ[52]

حرف الـلام

وقال في محبرة آبنوس:

وخَـــديـمـةٍ للعلمِ في أحشـائِهـا
كلَفٌ بجمـع حـرامِـهِ وحَـلالِــهِ
لبست رداء الليـــلِ ثمّ تـوشّحَتْ
بنُجـــومِـهِ وتتـــوجت بهـلالِــهِ[53]

حرف الميـم

قال ملغزاً:

ســـبـيـئـتـــان اثـــنـتـــان هــذي
حـــلٌّ مـــبـاحٌ وذي حَـــرامُ
قُـــلْ لــذوي الـعلمِ خَـبّـروني
مـا الحـلّ مِنْهـا ومـا الْحَـرامُ[54]

وقال في الغزل:

---

(52) الشريشي 1 :61.

(53) المطرب: 98.

(54) المصدر نفسه.

مـــا كنتُ أَحسِبُ قـبـــلَ رُؤْيتِـــهِ
أن البـدورَ تـدورُ في الأغْصـــانِ
غـــازلتُـهُ حَتّى بـــدا لي ثـغــرُه
فـحسِبْتُــه دُرّاً عَـلى مَــرْجـانِ
كـم ليـلةٍ عــانقـتُـه فكـأنّـمـا
عـانقتُ من عِطفيـهِ غُصْنَ البـانِ
يَطْغى ويلعبُ عند عقْدِ سواعدي
كالمُهْرِ يلعبُ عِـنْـدَ ثَنْي عِنان(55)

حرف اليـاء

وقال:

بنَفْسي هـاتيكَ الـزوارقُ أُجْـرِيَتْ
كحلبــة خيــلٍ أولاً ثمّ ثــانيــا
وقد كانَ جيدُ النهرِ من قبل عاطِلاً
فأمسى بها في ظلمة الليلِ حالِيا
عليها لزهْر الشمعِ زهـر كواكبٍ
تخـالُ بها ضمن الغـديرِ عـوالِيـا
ورُبّ مُشــارٍ بــالجنــاحِ وآخــرٍ
برجلٍ يحاكي أرنباً خاف بازيا(56)

5 ـ روضـة الأديب، في التفضيـل بين المتنبي وحبيب: من حسن

(55) الشريشي 3 :137 .

(56) رايات المبرزين: 53 تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي.

الحظ وعجيب الصدفة أن تصلنا هذه الرسالة التي لو لم يسمّها ابن عبد الملك لما عرفناها ولا اهتدينا إليها. وقد وجدْنَاها ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ورقم المجموع 3172 ك، وهو يشتمل على أوراق من الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي العددي وورقات من رائق التحلية وفائق التورية، وورقات في سرقات البحتري من أبي تمام مقتبسة من الموازنة للآمدي، وورقات من قراضة الذهب لابن رشيق، ورسالة ابن لبال تنقصها الورقة الأولى المشتملة على جزء من الديباجة كما تنقصها ورقة أخرى من صلبها وقد اختلطت أوراقها وتداخلت مع أوراق الروض المريع وقراضة الذهب ورائق التحلية، وهذا يبدو من أرقام الصفحات التي أثبتناها كما هي الآن في المجموع المذكور. وتواريخ النسخ في هذا المجموع تعود إلى سنة ثلاث بعد الألف الهجرية وقد كتب بالحروف تارة وبالأرقام تارة أخرى، ولا ذكر لاسم الناسخ، ويبدو من أخطاء النسخ المُتعَدِّدة أنه ليس من أهل العلم والضبط، وقد جاء في آخر الرسالة ما يلي:

تم التأليف والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله أجمعين، ضحوة يوم الأربعاء غرة ربيع الثاني سنة 1003.

نخرج من قراءتنا للرسالة بالملحوظات الآتية:

أ ـ أنها في الأصل إملاء من ابن لبال على أحد تلاميذه ولهذا نجد اسمه يذكر دائماً مصحوباً بتحليته والدعاء له كهذه العبارة: «قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن ابن لبّال أدام الله رفعته» وقد تكرر مثل هذا في أول كل فصل من فصول الرسالة.

ب ـ يتميز أسلوب الرسالة بالتزام السجع والتقيد به من أول الرسالة إلى آخرها، ومن شأن هذا الأسلوب المسجوع أن يحدّ من امتداد النفس، ويؤثر على استرسال القول، ويخرج بالنقد من مجال التفصيل والتحليل إلى

مجال الإجمال والتعميم، وهذا هو الأسلوب الغالب في الرسائل والمقامات النقدية الأندلسية والمغربية كرسائل الانتقاد لابن شرف ومقامات السرقسطي وغيرهما.

ج ـ جل هذه الرسالة آراء وأقوال لشيوخ ابن لبّال وشيوخ شيوخه أو نقول من بعض كتب النقد وأمهات الأدب، فأما الشيوخ فهم علي بن مسلم الإشبيلي وأبو بكر بن فندلة والأعلم الشنتمري وأبو الفضل ابن الأعلم وأبو مروان ابن سراج.

وأما كتب الأدب والنقد التي نقل منها فهي العمدة لابن رشيق والأمالي لأبي علي القالي والذخيرة لابن بسّام ومقامات السرقسطي والموضحة للحاتمي والكامل للمبرد وغيرها.

وله تعقيبات على هذه الأقوال والنقول تفتتح دائماً بمثل هذه العبارة: «قال الفقيه الأستاذ المشاور أبو الحسن ابن لبال أدام الله عزه» وهي تعقيبات يؤيد بها مذهبه في المفاضلة بين الشاعرين.

د ـ الرسالة ليست موازنة منصفة بين أبي تمام والمتنبي أو مفاضلة عامة بينهما، وإنما هي من أولها إلى آخرها تفضيل صريح للمتنبي على الطائي، ولذلك اقتصر ابن لبال على الآراء والأقوال التي تشهد لكلامه وتخدم وجهه نظره، ويبدو أن لرسالة ابن لُبّال علاقة مّا برسالة عنوانها: «نزهة الأديب، في سرقات المتنبي من حبيب» وقد ذكرها البديعي في الصبح المنبي، ونسبها إلى من سماه بابن حسنون المصري[57]، ويفترض بلاشير أنه من أهل القرن الخامس[58] وظن د. عبدالله الجبوري أنه هو عبدالله بن الحسين بن حسنون البغدادي نزيل مصر[59]، ولم ينتبه إلى أن هذا توفي

(57) الصبح المنبي 1 :426 (بهامش شرح العكبري).

(58) انظر: ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين. ترجمة أحمد بدوي ص 32.

(59) له ترجمة في تاريخ بغداد 9 :442 - 443 وغاية النهاية 1 :415. وانظر كتاب المتنبي في آثار الدارسين.

سنة ست أو سبع وثلاثمائة أي قبل أن يظهر المتنبي، ويبدو لي أن في الاسم تحريفاً وأن كلمة المصري محرفة عن الحميري وأن الأمر ربّما يتعلق بابن حسنون الحميري[60] معاصر ابن لبال، ولكن هـذا مجـرد افتراض لأن التأليف المذكور وهو مفقود لم يشر إليه في مكان آخر.

ومهما يكن الأمر فإن ابن لبال في تفضيله أبا الطيب على أبي تمام مسبوق في الأندلس بأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي مؤلف كتاب «الانتصار لأبي الطيب» وهو كتاب ضائع يدل اسمه والنقول القليلة على إعجاب صاحبه بالمتنبي وتعرضه لبعض معايب أبي تمام[61]، ويبدو من رسالة ابن لبال أنه لم يقف على هذا الكتاب فلو اطلع عليه لاحتج بكلامه أو أشار إليه، والظاهر من رسالة ابن لبال وغيرها أنّ تفضيل المتنبّي على أبي تمام هو الاتجاه الغالب عند الأندلسيين.

هـ ـ وهو يفضّل المتنبّي على أبي تمام بما يلي:

ـ أنه أطبع من أبي تمّام في رأي النقّاد وهو بذلك أشعر «لأن ما كان من الشعـر طبعاً لا تكلّفـاً جاء أحسن ومـا كان منـه تكلّفاً جـاء أصعب وأخشن»[62]. وألفاظ هذا الكـلام تشي بوقـوف ابن لبال على مـا ذكره الجرجاني في مـوضـوع المطبوع والمصنوع أو المتكلّف من الشعر والتكلّف الذي يعاب به شعر أبي تمّام وإن لم يشر إلى ذلك.

ـ لما في شعره من «الغزل المطرب، والتشبيب المونق المعجب، حتى ليذهب بالورع، وربما أوقع من ليست له حصانة فيما يعلق به من

(60) ترجمة أبي بكر ابن حسنون الحميري في الذيل والتكملة 6 :452 والتكملة: 574 وغاية النهاية 2 :421. وفي ترجمته أنه لازم ابن القفال في العربية والأدب ولكن لم يذكر له فيها تأليف، ويستفاد من ترجمته أنه اشترك مع ابن لبال في بعض شيوخه.

(61) انظر أحكام صنعة الكلام.

(62) انظر النص.

الدّرَن والطّبَع»[63] ولهذا كان الأعلم الشنتمري ينهى طلبته عن قراءة شعر أبي الطيب في شهر رمضان.

- «ولما فيه من الاستغراق في المدح والمبالغة والغوص على المعاني الرائقة والأغراض البديعة الفائقة»[64] ويبسط ما ذكره فيقول: «وكلّما جاوز الشّاعِر في المدح وغلا، وتربّع منصة المبالغة وعلا، وأرقّ الغزل، وأضاع نفسه بين العذر والعَذَل، وتجاوز الصدق إلى الكذب، والجدّ إلى اللعِب، كان أشعر، وأسمع بدواعي ما ينتحله وأبصر؛ ألا ترى أن الشعر لو كان كذبه صدقاً وباطله حقّاً، وكان الوصف فيه على الظاهر لا على التأويل لسخف»[65]. وَوَاضح أن ابن لبّال يؤيد هنا أصحاب الرأي القائل: «أعذب الشعر أكذبه». ويذهب مع المعجبين بالمبالغة والغلو، ومن المعروف بأن أبا الطيب هو «أكثر الناس غلواً، وأبعدهم فيه همّة، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتاً واحداً وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غني وله في غيره مندوحة»[66].

- أن الشعراء يفضّلون أبا الطيب على أبي تمّام وهم أعرف بصناعتهم، «فَمِن أعلم الناس بالشعر الشعراء لأنه من صناعتهم، ألا ترى أنّ من عامل خيّاطاً فأفسد عليه ثوبه أو أبى هو من إنصافه إن كان لم يساومه فاختلفا في ذلك أو تشاجرا وارتفعا إلى حاكمٍ من الحكّام إنّما يوجّه حكمَهما في القيمة إلى أهلِ تلك الصنعة وكذلك العطّار والنجار والخراز وغير ذلك»[67].

ونلمح في هذا الكلام مسحة الفقيه الأندلسي القاضي ابن لبال، وقد

---

(63) انظر النص.

(64) انظر النص.

(65) انظر النص.

(66) العمدة 2 :63.

(67) انظر النص.

جلب في هذا الموضع أحكام بعض الشعراء وأقوالهم في غيرهم وتطرق إلى اللفظ والمعنى والطبع والصنعة بين أبي تمام والمتنبّي ورد على الحاتمي في تحامله على أبي الطيب.

ـ شعر المتنبي أقرب إلى الوضوح في معناه والسهولة في لفظه من شعر أبي تمام، ولهذا كان الأديب اللغوي ابن سراج القرطبي لا يقرىء في المجلس الواحد من شعر أبي تمّام إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرىء من شعر المتنبّي خمسة أبيات.

وإذا كان ابن لبال سار على هذا النحو في رسالته بتفضيله المتنبي على أبي تمّام فإنه لم يشأ أن يختم رسالته دون أن يضع أبا تمام في المرتبة التي يراها فقال: «ومع هذا فلا أخلي أبا تمّام من فضيلة، ولا أعريه عن خصلة جميلة، بل أعتقد أنه شاعر إحسان، وفارِس هذا الشان، وهو مع أبي الطيب كفرسي رهان، في عدة أبيات، وكثير من المقطعات»[68].

وبعد فإن هذه الرسالة لا تأتي بجديد في ميدان النقد الأدبي، وهي ترجع في معظمها إلى التراث النقدي الذي كان متداولاً في القرن السادس الهجري بالأندلس، وتكمن قيمتها عندنا في كونها تمثل حلقة من حلقات الصراع النقدي حول أبي تمام والمتنبي، وقد كانت هذه القضية تشغل الخاصة والعامة في الأندلس كما يبدو من حكاية أدباء بطليوس الذين اختلفوا في الموضوع واستقر رأيهم على أن يسألوا رجلاً جاهلاً عن أي الشاعرين أفضل «فأيهما أجرى الفال على لسانه، أجمعنا على إحسانه واستحسانه، فخرجوا متناحين خارج المدينة وإذا بحراث يحرث. . .» فسألوه أي الرجلين أشعر المتنبي أم حبيب، فقال أشعرهما الذي يقول:

(68) انظر النص.

لك يا منـازل في القلوب منازل
أقفرتِ أنت وهُنّ منكِ أواصِلُ(79)

هكذا كانت هذه القضية الأدبية تشغل بال الناس يومئذ على نحو ما ينشغل بعض الناس في زمننا بالمفاضلة بين فريقين في كرة القدم!.

ولهذه الرسالة قيمة أخرى تتجلى في اطلاعنا على شيء من تقاليد الدرس الأدبي في الأندلس كأوقاته وحدوده وما يتعلق بذلك مما سبقت الإشارة إليه.

---

(69) انظر النص.



الفصل الرابع

رَوضَة الأديب في التّفضِيل بَينَ المتَنبّي وحَبيب



... فصنّفتُ في التفضيل بينَهُما هذا الدّفْتَر الذي رسمتُ فيه ما قَيّدت عن شيوخي وقلَدْت[1]، وأثبتتُه منْ حفظي في صُحُفي وخلّدت، مع ما تكلّم فيه العُلماء، وأثبتَهُ في تواريخِهمْ المتأخّرونَ والْقُدماء.

فأوّلُ ما أذكرُه ما قالَ الأستاذ النّحوي أبو الحسن علي بن مُسلم[2] عندما سألناهُ وقْتَ قراءتِنا عليه شِعْر حَبيبِ وأبي الطيّب، قُلْنا لَه: يا أُستاذ، بالّذي يُبقيك للعِلْم ترفعُ شرائعَه، وتَمْلِكُ عَصِيَّه وطائعَه، أيُّهما أطيبُ شِعْراً، وأنفس دُرّاً، فقال: حبيبٌ أصْنَع، وأبو الطّيّب أطْبَع. وهذا لعَمْري فَرْقٌ بيّنٌ دالٌّ على أن المُتنبّي أشعرُ، لأنّ ما كانَ منَ الشعر طبْعاً لا تكلّفاً جاءَ أحْسَن، وما كانَ منْهُ تكلّفاً جاء أصْعَبَ وأخْشَن، ولأنّ غيْرَ المطْبوعِ إذا تكلّفَ ضِدّ طِباعِه في شيْء عليهِ تعذّرَ، وأَبى وتنكّر، [فاضطُرّ] إلَى التصَنّع، ونَفِر عن الطّبْع إلى التطبّع، وللّهِ دَرُّ أبي الطّيّب حيثُ يَقول:

وأَسرعُ مفعولٍ فعلْتَ تَغيّرا
تكلّفُ شيءٍ في طباعك ضدُّه[3]

(1) وقلدت: جمعت، يقال: قلدت أقلِدُ قلْداً أي جمعت ماء إلى ماء.

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد بن مسلم مولى المعتمد بن عباد، كان من جلة النحويين، وشهر بجودة التأديب وإنجاب التلاميذ، وكان حيّاً سنة 539 هـ له ترجمة في التكملة رقم 1848 والذيل والتكملة 5: 392 (وص 180) وينبغي أن تكون قراءة ابن لبّال على هذا الشيخ في إشبيلية خلال العقد الرابع من القرن السادس.

(3) الديوان 2: 142 وضع البرقوقي.

وكذلك قوله:

لأنَّ حِـلْمَـك شيءٌ لا تـكـلّفـه
ليسَ التكحُّلُ في العَيْنيْنِ كالْكَحَلِ [4]

وما أحسنَ قولَ سالِم بْنِ وابصة: (11).

يـا أيّـهـا المُتحلّي غَيْـرَ شيمتِـهِ
إنّ التخلُّقَ يـأتي دونَهُ الخُلُـق [5]

وأنشدوا لأم الهيثم:

ومَنْ يتخِذْ خيماً سِوى خيمِ نفسِه
يدَعْه ويغْلِبْهُ على النَّفْسِ خيمُهـا [6]

وقالَ ذو الإصبع:

---

(4) المصدر نفسه.
وللمتنبي أيضاً في هذا المعنى:
يـرادُ مـنَ الـقـلب نسِـيـانُكـم وتـأْبى الـطّبـاعُ عـلى الـنـاقِـلِ
وله كذلك فيه:
ومـكـلّف الأيـام ضـدّ طِـبـاعـهـا
(5) نسبه أبو تمام في الحماسة لسالم بن وابصة الأسدي ولكن صدر البيت في الحماسة كما يلي:
عليكَ بالقصْدِ فيما أنتَ فاعلُه
ونسبه الحصري في زهر الآداب إلى العرجي ورواه هكذا:
ارجعْ إلى خلْقِك المعْروفِ وارضَ به إن الـتـخـلّق يـأتي دونَـه الـخُـلُق
وسالم بن وابصة تابعي دمشقي شاعر توفي في آخر خلافة هشام بن عبد الملك. انظر الأعلام للزركلي 3: 116 ط. أولى.
(6) في لسان العرب: أبو عبيد: الخيم: الشيمة والطبيعة والخلق والسجية وأنشد:
ومَنْ يبتـدعْ ما ليسَ مِنْ خيمِ نفْسِـه يَـدعْـه ويغلِبْـه على النفسِ خيمُهـا
وورد البيت غير منسوب أيضاً في عيون الأخبار 3 :5 والعقد 3 :3.
وسمعه المبرد من أم الهيثم الكلابية، وعن الكامل ينقل المؤلف وقال المرصفي في رغبة الأمل 1: 90: نسبه بعض الناس لسليمان بن المهاجر.

كـلُّ امرئٍ راجـعٌ يومـاً لشيمتِـهِ
وإن تـخلّق أَخْـلاقـاً إلى حيـن[7]

وقالَ قُدامة:

رأسُ الخَطابة الطّبْع، وعَمودها الدُّرْبة، وجناحاها اللفظ. ورؤوس الأشياء أنْفَسُها وأعلاها، وأحقّها بالفَضْل وأَوْلاها. وقالَ ابنُ رشيق في كتاب العمدة[8].

ومن الشِّعْر مَطْبوعٌ ومَصْنوع، فـالمـطْبـوعُ الذي وُضـع أولاً وعَلَيْه المَدار، والْعَرَبُ لا تَنْظُر في أَعْطَاف شِعْرها بأن تجنّسَ أو تُطابق أو تُماثل بل تنظُرُ في فَصـاحة الكـلام وجَزالتـه مَعَ بسْط المعنى وإبْـرازه. وإنما استطرفوا ما جاءَ من الصّنعـة في البيت والبيتين في القصيد النـادر بين القصائد، وأما إذا كثر فهُوَ عَيْب يشْهَد بخلاف الطّبْع وإيثار الكُلْفة.

قال الفقيه المشاوَر الأستاذ أبو الحَسَن بن لُبّال أدامَ اللّهُ رِفْعَته: وسألْنا الوزيرَ أبا بكرٍ محمّد بْنِ عبد الغَني بْنِ فندلـة[9] كاتب الرّشيـد[10] وقْتَ قراءتنا عليه عامَ اثنين وثلاثين [وخمسمائة] فقال وكان شيخاً كبيراً كَتب للرشيد، ورَكَضَ مع أعيان الكتاب في ساحة القصر المشيد: يا بَنِيّ، مِنَ

(7) ذو الإصبع العدواني حرثان بن الحارث شاعر جاهلي مشهور، والبيت من قصيدة له مشهورة يعاتب فيها ابن عمه. انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام 2: 184 وقد جمع شعره في ديوان نشر بالعراق.

(8) انظر النص في العمدة 1: 129 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وقد أورده ابن لبال بتصرف واختصار، وهذا إما لأنه ينقل عن بعض مختصرات العمدة أو لأنه يعتمد على محفوظه وذاكرته وهذا ملاحظ في عدد من نقوله.

(9) أبو بكر ابن فندلة هذا من بيت إشبيلي مشهور، كان من كبار أصحاب الأعلم الشنتمري، وكان أديباً لغوياً نحوياً محدّثاً شاعراً فصيحاً. ولد سنة 444 هـ وتوفي سنة 533 هـ. انظر ترجمته في صلة ابن بشكوال: 552 - 553 وبغية الوعاة رقم 271.

(10) الرشيد هو عبيد الله بن محمد المعتمد، كان ولي عهد أبيه، توفي في حدود 530 هـ بقلعة مهدي بن توالا حيث كان منفياً وقد نيف على 70 سنة. انظر ترجمته في الحلة السيراء 2: 68 - 70.

الفرْقِ بينَهُما أنّ شيْخَنا أبا الحجّاج يوسف الأعلم الشنتمَري[11] كانَ إذا دخلَ شهْر (12) رَمَضانَ يُقْرئُنا شعْرَ حَبيب، ويَنْهانا عَنْ شِعْر أبي الطّيّب، وهذا إفراطٌ في تفضيلِ أبي الطّيّب عَلَى حَبيب، ونهايةٌ وبَلاغٌ في تقْديمِه عليْه، [و] منعُه إيّاهم منْ قراءتِهِ في رمضانَ لِما فيه من الاسْتِغْراق في الْمَدْح والمُبالَغة والغَوْص على الْمعاني الرائِقَة والأغْراض البَديعة الفائِقة، والغَزَل المُطْرب، والتّشْبيب الْمونِق المُعْجِب، حَتّى لَيَذْهَبُ بالوَرَع، ورُبّما أوْقَعَ مَنْ ليسَتْ لَهُ حَصانَةٌ فيما يعْلَق بِهِ من الدّرَنِ والطّبَع، وكلّما جاوَزَ الشاعِرُ في المَدْح وغَلا، وتربّع منصّةَ المبالَغَة وعَلا، وَأرَقّ الغزَلَ، وأضاعَ نفْسَهُ بيْنَ العُذْر والْعَذَل، وتجاوزَ الصّدْقَ إلى الكَذِب، والْجِدّ إلى اللّعِب كَانَ أشْعَر، وأسْمَع بِدواعي ما يَنْتَحِلُه وأبْصَر. ألا تَرى أنّ الشِّعْرَ لَوْ كانَ كذِبُه صِدْقاً، وباطلُه حقّاً، وكانَ الوَصْف فيه على الظّاهِرِ لا عَلى التّأويل لسَخُف؛ كما قيلَ إنّ بعْضَ الأُمراء قالَ لشاعِرٍ - أظنُّه ابْنَ هانِىء - اصنَعْ لي شعْراً ولا تكْذِبْ فيه، فقال:

الـلّيــلُ لَـيْــلٌ والـنّهــارُ نَـهــارُ
والبَغْــلُ بَغْــلٌ والحِمــارُ حِمــارُ
والـدّيـكُ ديـكٌ والـدَّجـاجـةُ مثْلُهُ
وكِـلاهُـمـا طيــرٌ لَـه مِـنْقـارُ[12]

فلم يطب - لما خرجَ عن الشعر - في الأسْماع، ومَجَّتْهُ النّفوسُ والطّباع، فلمّا قالَ:

ألِـفَ السّـقْمُ جِـسْمَــه والأنيــنُ
وبَــراه الْـهَــوى فَمــا يـسـتـبـيـنُ

---

(11) هو شيخ الأندلس في وقته في الدراسات الأدبية والنحوية واللغوية وأكثر الأندلسيين شرحاً للأشعار الجاهلية والإسلامية. انظر ترجمته ومراجعها في وفيات الأعيان 7: 81 تحقيق د. إحسان عباس.

(12) انظر على سبيل المثال في هذا: التقريب لابن حزم: 206 - 207.

لا تَــراهُ الــظّنُــون إلا ظنــونــاً
فَهْــوَ أخفى مِنْ أنْ تَراهُ الـظُّنـونُ (13)

قــد سمعْنــا أنينَــه منْ قَــريب
فـاطْلُبوا الشّيـخَ حيث كـان أنينُ
لـم يـعشْ أنّــه جـليــدٌ ولـكـنْ
ذابَ سُقماً فلم تجدْه المَنـون(13)

حَسُنَ ذلك في المَسامع، وذهَبَ طَرَبُه بِكُلِّ سامِع.

وَلِما في الشّعْرِ من الكذِب لم يُعْطَهُ النّبي ﷺ، وحاش لِلّهِ أن يكونَ كاذِباً، هذا في أحد الأقوال، وقد قيل إنّما مُنِعَهُ صلّى اللّهُ علَيْه وَسَلّم لأنّهُ لو كانَ شاعراً ما صُدِّق فيما أَتَى به؛ ألا تَرَى أَنّهُ قَدْ قيل: «شاعِرٌ نَتربّصُ به رَيْب المَنون»؛ وكانَ صَلّى اللّهُ عليهِ وسَلّم لا يُقيمُ وَزْناً وَلا يَسْتطيعُ من الشِّعْر قافِية.

قالَ الفَقيهُ الأُسْتاذُ الْمُشاوَرُ أبو الحسَن عَلي بْن لُبّال أدامَ الله عِزّه: وسألتُ الوزيرَ الْفَقيهَ الكاتبَ القاضِيَ أبا الفَضْل ابنَ الأعـلم(14) بشَريش

(14) هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف الشنتمري، حفيد الأعلم المشهور ولد بإشبيلية سنة 478 هـ وروى عن أبيه عن جده أبي الحجاج الأعلم جميع رواياته وتآليفه، وهو من أعلام الدولتين اللمتونية والمومنية وقد ولي القضاء بلبلة وشنتمرية الغرب، وبها استشهد سنة 546 هـ أو التي بعدها، ولم يذكر المؤلف تاريخ اجتماعه به في شريش واكتفى بالإشارة إلى أنه كان عند عودته من حضرة أمير المؤمنين، أما أمير المؤمنين هذا فهو عبد المؤمن بن علي، وقد قدم عليه أبو الفضل مع وفد أهل الأندلس لمبايعته، وكان هذا الوفد يتألف من نحو الخمسمائة «من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد» وكان في هذا الوفد المؤرخ ابن صاحب الصلاة الذي وصف خروجه من إشبيلية في 15 ذي الحجة سنة 545 هـ وأشار إلى مرور الوفد بشريش وجزيرة طريف والقصر الكبير ثم سلا حيث استقبلهم عبد المؤمن في رحبة دار ابن عشرة في أول يوم من عام 546 هـ وحكى ابن الملجوم أنه لقي أبا الفضل الأعلم بمراكش في سنة 645 هـ. انظر هذه الوفادة في الأنيس =

شَذونة حَرَسَها الله في دار الْفَقيهِ المُشاوَر القاضي أبي غالِبٍ أيمن بن الأيمن عند وُرودِهِ مِنْ حضْرة سَيِّدنا أَميرِ المؤمنين عَن الفَرْقِ بَيْنَ أبي الطَّيِّب وحَبيب ـ وقَدْ كنتُ قرأتُ عليهِ بإشْبيلية مُدَّةً يَسيرةً حينَ طَلَبي فيها، واقتباسي للْعِلْم في أقطارِها ونواحيها، فكانَ لي عَلَيْهِ بذلكَ إدْلال، ولَهُ إليّ هَشٌّ مِنْ ذلِك السَّبَبِ وإقْبال، فَقالَ لي: الكُتّابُ يُفَضّلون حَبيب والشُّعَراءُ يفَضّلونَ أبا الطّيّب، وهذا لَعَمْري مِنْ تفضيل أبي الطّيّب على أبي تمّام، لأنّ كُلَّ أحدٍ أعْلَمُ ببضاعَتِه[15] وَلَيْسَ للْكُتّابِ نِهايةٌ في علم الشعر لأَنّهُ ليسَ مِنْ صناعاتِهِمْ وإنْ كانَ لهُمْ بهِ بعضُ المَعْرفة لأنّهُمْ بالكتابةِ أَبْصَرُ، وباعُهُم في علْم (14) الشّعرِ أَضْيقُ وأقصر.

وممّا يزيدُ هذا وُضوحاً قولُ عُمَر بن الخَطّاب رضي الله عنهُ في كِتاب إلَى سَعْد بن أبي وقّاص: شاوِرْ في أَمْرِك عَمْرو بن معدي كرب وطلْحَة بن خُوَيْلدٍ، فإنّ كُلّ قومٍ أَعْلَمُ ببضاعَتِهم وصِناعَتِهِمْ[16]؛ ومِنْ أمثالِ العرب: الخيلُ أعلَمُ بفُرْسانِها[17]؛ فَمِنْ أعْلَم النّاسِ بالشّعْر الشُّعَراء لأنّه مِنْ صِناعَتِهِمْ؛ أَلا تَرى أنّ مَنْ عاملَ خَيّاطاً فأفْسَدَ عَلَيْه [ثَوْبَه] أَوْ أَبى هُوَ مِنْ إنصافِهِ إن كانَ لَمْ يُساوِمْه فاخْتلَفا في ذلِك أَوْ تشاجَرا وارْتَفعا إلَى حاكِمٍ

= المطرب: 192 والبيان المغرب (قطعة منشورة بمجلة المعهد المصري بمدريد جـ 20 ص 94) والعبر لابن خلدون 6: 489 والاستقصا 2: 119.

وترجمة أبي الفضل حفيد الأعلم فتوجد في التكملة: 241 - 242 وبغية الملتمس: 239 والمغرب 1: 396 - 397 ونفح الطيب 4: 31، 73 - 74، 86. تحقيق د. إ. عباس. والمطمح: 64 ورايات المبرزين: 34 والمطرب لابن دحية: 218. وخريدة القصر (قسم المغرب والأندلس) 3: 469 - 472 ط. تونس. ومعجم السفر: 117 - 119 تحقيق د. إحسان عباس. أما الفقيه المشاور القاضي أبو غالب أيمن بن أيمن فلم نقف على ترجمته، وقد يكون من أسرة بني أيمن الذين منهم وزير بني الأفطس أبو عبدالله محمد بن أيمن وولده أبو الحسن محمد بن أيمن. انظر الذخيرة والمغرب 1: 366 (ط. ثالثة).

(15) هكذا في الأصل، وسيكررها فيما بعد.

(16) انظر في أنه يرجع في كل صناعة إلى أهلها: الموازنة 1: 395 - 396.

(17) انظر المثل وتخريجه في كتاب الأمثال لأبي عبيد: 204 تحقيق د. عبد المجيد قطامش.

من الحُكّام إنّما يُوَجّهُ حُكْمَهما في الْقيمة إلَى أهْلِ تِلْكَ الصَّنْعَة وكذلك الْعَطّار والنّجّارُ والْخَراز وغَيْرُ ذلِك؛ ورَوى أبو علي الْبَغْدادي[18] أنّ بعْضَ خُلَفاء بني أمية قالَ لجَرير لمّا كان شاعِراً: أَخْبِرْني مَن أشْعَرُ النّاس فقال: ابْنُ العِشْرين يَعْني طَرَفة، قالَ: فما تَقول في ابنِ أبي سَلْمى والنّابِغَة، فقالَ: كانا ينيّرانِ الشِّعْرَ ويُسدّيانِه؛ قال: فما تقولُ في امرىء القَيْس، قلت اتخذَ الخبيثُ الشّعرَ نَعْلَيْن يَطَؤُهُما كيفَ شاء، قال: فما تقولُ في ذي الرِّمّة، قال: قدَر مِنَ الشّعْر عَلَى ما لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَد، قال: فما تقول في الأَخْطَل، قال: ما باحَ بما في صدرِه من الشّعْر حتّى مات، قالَ: فَما تقولُ في الْفَرَزْدَق، قال: بِيَدِه نَبْعَةُ الشّعْر قابِضاً عَلَيْها، قال: ما أبْقَيْتَ لِنفْسِك منْهُ شَيْئاً قالَ: كلاّ واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين، أَنا مَدينَةُ الشّعْر الّتي يَخْرُجُ منْها ويعودُ إلَيْها وأنا نَسَجْتُ في الشّعْر نَسْجاً ما نسَجَهُ أَحَد، قالَ، فما النسيج قال: نَسَبْتُ فَاطْرَبْت، (15) وهَجَوْتُ فآذَيْتُ، ومَدَحْتُ فأَسْنَيْتُ، ورملتُ فأغورتَ، ورجزت فأبحرت، فَأنا قلْتُ منَ الشّعْر ضُروباً لم يَقُلْها أَحَد.

قالَ الْفَقيهُ المُشاوَر الأُسْتاذُ أبو الحَسَن عَلِي بْنُ أَحْمَد بْنُ لبّال أدام اللَّهُ عِزّه: وحدّثني غَيْرُ واحِد أَنَّ قَوْماً أُدَباءَ خَرَجوا مِنْ مَجْلِسِ المُتَوَكّل بِبَطَلْيَوْس وَقَدْ أَجْرَوْا ذِكْـرَ حَبيبٍ وَالْمُتَنَبّي حَتّى كَثُر في التَفْضيـل بينَهُمْ الصَّخَب. ومالَ بِهِم حُبُّ التفضيل عنِ الطّرَب فقالَ بَعْضُهم: ميلوا بِنا إلى رَجُلٍ جاهلٍ نجعَلْ كلامَهُ في ذلك فالاً فَأَيُّهُما أَجْرى الفالُ عَلَى لسانِهِ، أَجْمَعْنا عَلَى إحسانِهِ واسْتِحْسانِهِ فَخَرجوا متناجِينَ خارجَ الْمَدينة وإذا بحرّاثٍ يحْرُث وكانَ ذلِكَ أَوّلَ الرّبيع، والأرْضُ تَرْفُلُ مِن الزّهر في مِثْل الوَشْي الصنيع فقالوا لَهُ وهُمْ يَظُنّونَهُ جاهِلاً، وعمّا انتَبهوا لَهُ نائِماً غافِلاً، أيُّها الْحرّاث: أَيّ الرّجُلَينِ أَشْعَرُ، الْمُتَنَبّي أَمْ حَبيب؟ فَركزَ عَصاه وقالَ: اسْمَعوا مِنّي وخُذوا عَنّي، أشْعَرُهُما الّذي يقولُ:

(18) انظر النص في الأمالي 2: 79، 180.

لَكِ يا منازِلُ في القُلوب مَنازِلُ
أقفَرْتِ أنتِ وهُنّ مِنْكِ أواهِلُ

فاسْتَنْبَلوا مِنْهُ ما اسْتَجهَلوا، وَرَفَعوا مِنْهُ ما وَضَعوا، وفَكّروا عِنْدَما انفَتَلوا عَنْهُ ورَجَعُوا، وَقالوا: واللّهِ ما بَدأ بهذا القَصيد، إلاّ لمَعْنىً مُفيد، وما رَمى عَنْ قَوْسِه إلا بالسَّهْم السّديد، فكَشَفَ لَهُم الفِكْر، وأبْدَى لَهُمُ الذّكْر، أنّه أرادَ قَوْلَ أبي الطيّب في أثناءِ القَصيدة (16):

وإذا أتتكَ مذمّتي مِنْ ناقصٍ
فَهْيَ الشّهادةُ لي بأنّي كامِلُ[19]

فرفَعوا للمُتوكّل[20] قصّتَه، ووصَفوا لَهُ صِفَتَه، فقال: آه هو ابن [مقانا][21] أغفلْناهُ واللّهِ وَأضعْناه، فأمَر النّاسَ أنْ يَجْلِسوا إلَيْه، ويَقْرأوا عَلَيْه، وأثْبَتَهُ في ديوانِهِ، وألْحَقَهُ بإخْوانِه.

(19) لم أقف على هذه الحكاية في مكان آخر، ولم يشر المؤلف إلى حكاية مماثلة تحكي عن المعري وهي أن الشريف المرتضى كان يبغض المتنبي ويتعصّب عليه، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبّي فتنقصه المرتضى وجعل يتتبّع عيوبه فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله: لك يا منازل في القلوب منازل. لكفاه فضلاً، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من مجلسه وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتكَ مذمّتي مِنْ ناقصٍ فَهْيَ الشّهادةُ لي بأنّيَ كامِلُ

تعريف القدماء بأبي العلاء 1: 76، 287، 354.

(20) هو عمرو ولد المظفر أحد ملوك بني الأفطس، انظر ترجمته وأخباره في المطرب 21 - 33 والبيان المغرب والذخيرة ونفح الطيب والحلة السيراء 2: 96 - 107.

(21) في الأصل: مفسد أو مسد، بدون نقط، وأغلب الظن أنه الشاعر ابن مقانا كما أثبت، فهو الذي اشتغل بالحرث والفلاحة ببلده القبذاق بعد أن أعياه التجوال في أقطار الأندلس، وفي ذلك يقول من قصيدة يصف فيها حاله:

تركتُ الملوكَ الخالعينَ برودَهُمْ عَلَيّ وسَيْري في الْمَواكِبِ والنّقْعِ
وأصْبحتُ في قبذاقَ أحْصدُ شَوْكَها بمِزْبرةٍ رعشاءَ نابيةِ القَطْعِ

انظر ترجمة ابن مقانا ومصادرها في الذخيرة ق 2: 786 - 796. تحقيق د. إحسان عباس.

قالَ الفَقيهُ المُشاوَر الأستاذُ أبو الحَسَن علي بْنُ لُبّال: وَعَلَى ذِكْرِ هذا ما ذكَر ابنُ بسّام في كتاب الذّخيرة في أخبارِ أهْلِ الجَزيرة، قالَ في فَصْلٍ مِنْ كتابِهِ: إن أبا عبدِ الله بْنِ شرف قالَ يوماً للمأمونِ يَحْيى بْنِ ذي النّون أيّامَ خدْمَتِه إيّاه، واستِشْفافِهِ صُبابَةَ عُمْرِه في ذراه، وقَدْ أجْروا ذكْرَ أبي الطيب، فذهَبَ في تأبينِه كُلَّ مذْهَب، وقالَ: إنْ رَأى أميرُ المؤمنين لا فارَقَ الْعِزّةَ والْعُلا أنْ يُشيرَ مِنْ شعْرِ أبي الطيّب إلى أيّ قصيدةٍ شاء أُعارضُهُ بقَصيدةٍ تُنْسي اسْمَه، وتعفي رَسْمَه، فتغافلَ عنْهُ ابنُ ذي النّون علْماً بضيق جنابِه، وإشفـاقاً مِنْ فضيحَتِـه وانْتِشابِـه فألَـحّ على ابْنِ ذي النّون حَتّى أحْرجَـه وأغراه فقالَ له، دونَكَ قَوْلَهُ:

لِعْينكَ مَا يلْقى الفُؤادُ وما لَقي

فَخَلا بها ابنُ شَرف يوماً فوجَدَ مَرْكَبَها وعْراً، ومَريرَتَها شَزْراً ولكنّهُ أبلى عُذْراً وأرْهَقَ نفْسَه من أمْرِها عُسْراً (17)، فَما قامَ وَلا قَعَد، وَلا حَلّ ولا عَقَد، وسُئِل ابنُ ذي النّون: أيّ شيءٍ أقْصَده إلى هذه الْقَصيدة، فقالَ لأنّ أبا الطّيّب يقولُ فيها:

بلغْتُ بِسيفِ الـدّولة النّـور رُتْبَـةً
أَنَرْتُ بِها مـا بَيْنَ غرب ومَشْـرِقِ
إذا شـاءَ أن يلْهُـو بلحْيَـةِ أحْمَقٍ
أَراه غُباري ثُمَّ قالَ لَـه الْحَقِ[22]

وهذِه غَريبةٌ ولَوْ صدرَتْ عن أبي العبّاس المأمون، فَضْلاً عَنْ مُنْتَزِعِ لَقَبه يَحْيى بْن ذي النّون.

وقَدْ قيل بُـدىء الشّعْرُ بكِنْدَة وخُتِمَ بكنْدَة، أيْ بُدِىء بامْرِىءِ الْقَيْس

(22) انظر هذا الخبر في الذخيرة ق 4 :23 - 24 تحقيق د. إحسان عباس وثمة حكاية مماثلة لهذه تنسب الواقعة للخالديين مع سيف الدولة. انظر الصبح المنبي.

وخُتِم بأبي الطيّب لأنّهُما كِنْدِيان[23]. وقد اتّفقَ النّاسُ عَلَى تَفْضيل امْرِىء القَيْس لطَبْعِه وسَلاسَة كلامِهِ عَلَى قِدَمِه، وَقِلّةِ تَكلُّفهِ عَلَى أعْرابية خُلُقِه وشِيَمِه.

وَأمّا قولُ الصّابي: بُدِىء الشّعْرُ بمَلِك، وخُتِم بمَلِك، يعني بُدِىء بامرِىء القَيْس، وخُتِم بأبي فِراسِ الْحَمْداني، فَإنّما قالَ ذلك لأن أبا فِراس كانَ مِنْ أرْباب الدّولة وأرادَ التصنُّع لَهُ بذلِك؛ وقَدْ قيل إنَّ قائلَ هذا إنّما هُوَ الصّاحِب. وقد أنسى ذكره المُتنبّي، ولولا قُرْبُه من الرّياسَة ما ذُكِرَ مَعَه كَما قَد أنْسَى أبو الطيّب ذكْرَ الخُبْز أرزي والصّنَوْبَري، وكان أشيخَ منْهُ وأقْدَم. هكـذا ذكرَ ابنُ رشيقٍ في كتابِ العُمْدة[24].

وقال أبو الطّاهر يوسُف بن عبدالله التّميمِي في مقاماته في تصْنيف الشعراء، قال: فما تقولُ في الطّائي الأكْبر، قالَ نِعْمَ ما صَنعَ وحَبّر، وبيسَ ما أفْصَح عن الْمَعاني وعبّر، حَتّى أذّن في شِعْرِه وكَبّر، ومن التحسْينِ والتنْجيد (18) ما يُزْري بالمُبَرّز المُجيد، وقد أَبَى النّاسُ إلاّ تقديمَه، وإنْ مَزّقوا بالذّمِّ أديمه؛ قالَ: فَما تقولُ في أبي الطّيّب قالَ: ذو الكلام الطيّب، والطّبْع الصّيّب، لَهِجَتْ بأمْثالِهِ الأفْواه، وغُذِيَتْ بِشِعْرِه الأمْواه، وسارَ بشِعْرِه الرّفاق، ووقَعَ عَلَى تَفْضيلِهِ الإصْفاق[25].

---

(23) أضاف الأندلسيون إليهما كندياً ثالثاً هو الرّمادي، قال الحميدي في ترجمة يوسف بن هارون الكندي الرمادي: «ونفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: فتح الشعر بكندة، وختم بكندة. يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون، وكانا متعاصرين». جذوة المقتبس: 347.

(24) انظر يتيمة الدهر 1: 35 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وفي عبارة المؤلف شيء من القلق والاضطراب، وها هو كلام ابن رشيق: «وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه، وكان الصنوبري والخبـزرزي مقدّمين عليه للسن ثم سقطا عنه». العمدة 1: 101.

(25) هذا من المقامة الموفية ثلاثين، وهي مقامة الشعراء في مقامات السرقسطي اللزومية، وفي عبارة المؤلف شيء من التصرف، كما أن الكلام عن المتنبي في المقامات يأتي بعد ذكر

فَمَدحَ صَنْعَةَ أبي تمّام بالشّعْر وتنْميقه إيّاه، وذمّ معانيَهُ في ذلك وجَفاه، فليتَهُ لو ذَمّ صناعَتَه، مدَحَ معانيَهُ وبراعَتَه، وإلّا فهَلْ تروى غُلّة العاطشِ خُضْرةُ أَشْجار، وبَهْجَةُ كَمائم وأزْهار، بضفّةِ نَهْرٍ مُرّ المَذاق، مُقِعّ المُلوحَةِ والحُراق، فإذا صادفَ ماءً زُلالا، قد الْتحفَ مِنْ شَجَرٍ بِهِ ظِلالاً، شَفَى عِلّته، وأرْوى بوُروده إيّاهُ غُلّته، وكذلكَ هُو شعْرُ أبي الطيّب والله لقد هُو العذْبُ الزّلال، والخَصْر السّلسال، يلْتحِفُ منْ روْنَق طَبْعِهِ بظِلال.

قال الفَقيهُ المُشاوَرُ الأستاذ أبو الحَسَن علي بْنُ لبّال أدامَ اللَّهُ رفْعَته، وقالَ ابنُ رشيق[26]: الْمَعْنى معَ اللفظِ في الشّعر كالرّوح في الجَسَد، فإذا اختلّ من الروح شيء في الجسد ضعف بعض الجسد، وجاءَ ناقِصاً وظَهَرَتْ دمامَتُه كشَلَل الْيَد والرِّجْل وغيْرِ ذلك، إذا بَطَلَ بريحٍ أوْ بعارضٍ يعْرِضُ فيه، فإذا ذهَبَ الرّوح منْهُ وهو المَعْنى بَقِي اللفْظُ لا مَنْفَعَةَ فيه كالجَسَد الخالي من الرُّوح.

وقيل[27] إنّ المَعْنى للّفْظ كالصّورةِ للثّوْب، فمَهْما كانَتِ الصّورةُ حَسَنة في الثوب الحَسَن، كان ذلك أعْلى للنّاظِر وأَوْقَع في الخاطِر، ومهما كانا قَبيحَيْن، كانا كذلك في النّفْسِ والْعَيْن، فالصّورةُ الْحَسَنة في الثّوب القَبيح أحسنُ، من الصّورة القَبيحة في الثّوْب الحَسَن، لأنّها هيَ المعنى، ومَوْقِعُها في القلْبِ أَحْلى وأسنى.

قالَ الفَقيهُ الْمُشاوَرُ الأُستاذ أبو الحَسَن علي بْنُ أحمد بْنُ لبّال أعزّه

البحتري وابن الرومي وابن المعتز. المقامات اللزومية: 229، 232 تحقيق د. حسن الوراكلي. نسخة مرقونة.

(26) ينقل المؤلف هنا عن العمدة بتصرف وتلخيص. انظر نص ابن رشيق بتمامه في العمدة 1 :124.

(27) جاء في العمدة 1: 127: «وبعضهم ـ وأظنه ابن وكيع ـ مثّل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها، وتضاءلت في عين مُبصرها».

الله تعالى، وعَلَى ذكْرِ «حتّى أذّنَ في شعْرِه وَكَبّر» هجاهُ بعضُ الشّعراء فقال:

أرادَ حبيبٌ أنْ يحــوكَ قـصيــدةً
بمــدْحِ أميــرِ المؤمنينَ فــأذّنــا
فقُلْنــا لــهُ لا تعجلَنْ بــإقــامــةٍ
فلَسْنا على طُهْرٍ فقــالَ وَلا أنا(28)

وعلى ذِكْر طَبْع أبي الطيّب وصِناعةِ حَبيب ما مثّلَه العلماءُ بيْنَ أهلِ السُّنّة والصّوفية، وذلك أنّ ملكاً من المُلوك أمَر فارِسياً وروميّاً أن يُرِيَ كلٌّ أحدٍ منهما أبْدَع صناعَتِهِ، فبَنَى لَهُما حائطَيْن ليُصَوّرَ كلّ واحد في حائطِهِ أبْدَع ما يَعْرِفُ منْ صناعَتِه وضَرَب بيْنَهُما سِتْراً لئلاّ يَرَى أحَدُهما ما يصْنَعُ الآخَر، وقالَ لهُما: ليصْنَعْ كلُّ واحدٍ منكُما أحْسَنَ ما يُتْقنُ من التّصْوير والنُّقوش والتزْويـق، فجعَلَ الفارسي يُحكِم في نـاحيته بـدائعَ الصُّـوَر، ويضاهي في لبّة الروْض قلائدَ الزّهَر، والرّومي لا يَزيدُ بَعْد تلبيس الحائط بالجصّ على الدّلْكِ فيه [بآلَةٍ؟] وقد طبَعَها، وأتْقَنَها وأبْدَعَها، ليتقبلَ بذلك كُلَّ ما صنعَ الفارسي ونقَشه، فَهذا يُصَوّر ويُتْقِن، وذاكَ يدْلك ويُمْعِن، فلمّا تَمّ لَهُم العام، وحانَ مِنْ عَمَلِهِم التّمام، قالَ لهُما المَلِك: ليُرِنا كُلُّ واحِد منْكُما ما صَنَع، لأخْبُرَ أيُّكما أبْدَع، في صناعَتِه وأبْرع؛ فـأزالا السّتْر الذي بينَهُما فَعَكَس ذلك الرّومي كُلّ ما صَنَع الفارسي لنَفْسِه، ولم يزل ذلكَ على

(28) جاء في الوافي لصالح بن شريف الرندي: ولما أنشد للمعتصم قول أبي تمام:

الله أكبـرُ جـاءَ أكبـرُ منْ جَـرَتْ ... وتـحيّـرتْ فـي كـنْـهِـهِ الأوْهـامُ

قال بعض من حضر:

أرادَ حـبيـبٌ أنْ يـقـولَ قـصيـدةً ... بِمَـدْحِ أميـرِ الْـمؤمنيـنَ فـأذّنـا
فَقُـلْتُ لَـهُ لا تـعْـجَـلَنْ بـإقـامَـةٍ ... فَلَسْنـا عَلَى طُـهْـرٍ فـقـالَ وَلا أنـا

(مخطوط الوافي) وقد نسب البيتان في الموشّح لمروان بن أبي الجنوب يقولهما في علي بن الجهم (الموشح: 527) ونسبهما ابن المعتز في الطبقات: 415 لأبي العيناء.

جصِّه، وأتى بالأَمْرِ مِنْ فَصِّه، فغلَب الرّومي[29].

وكَذلكَ أبو الطّيّب برقّةِ طَبْعِه، ورَوْنَقِ شِعْرِه، وصِقالِ لَفْظِه، وفِرَنْد مَعْناه، يضمّنُ في شِعْرِه صِناعَة كُلِّ شاعِرٍ معَ ما أُعْطِيَهُ من الطَّبْع الرَّوْنَقي، والنّور الأُفُقي.

قالَ الفقيهُ المُشاوَر الأُستاذ أبو الحَسَن علي بن لُبّال أدامَ اللّهُ عِزّته: وأما قصّةُ الحاتِمي[30]معَ أبي الطيّب ورَدُّه عليه، وتفضيلُ كلام حبيبٍ على كلامِهِ فكما قالَ عُمَرُ بن أبي رَبيعة:

حَسَداً حُمّلْنَه من أَجْلِها
وقَديماً كانَ في النّاس الحَسَد

وكما قال الآخر:

حَسَدوا الفَتَى إذْ لَمْ ينالوا سَعْيَهُ
فالنّاسُ أعداءٌ له وخُصومُ
كَضَرائر الحَسْناءِ قلْنَ لوجْهِها
حَسداً وبَغْياً إنّه لَذَميمُ[31]

وقال أبو الطيّب:

وكَمْ مِنْ عائبٍ قَولاً صَحيحاً
وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ

(29) لم أتمكن من الوقوف على هذه الحكاية في المصادر التي بين يدي.

(30) قصة الحاتمي مع أبي الطيب مفصلة في الموضحة التي حققها الدكتور محمد يوسف نجم، وانظر تحليلاً لقصة الحاتمي مع المتنبي في تاريخ النقد الأدبي للدكتور إحسان عباس: 263 - 270.

(31) ينسب هذان البيتان إلى أبي الأسود الدؤلي.

ولكن تأخذ الأذهانُ مِنْهُ
عَلَى قدْرِ الْقرائح والعُلوم

وكما قالَ ابن بسّام (21): والحسَدُ مَوْروث، وقَديمٌ لا حَديث، في قصّة صاعِدٍ اللُّغَوي مع الزّبيدي وابْن العَريف والعاصِمي بيْنَ يَدَي المنْصور ابْنِ أبي عامِر إذْ دخَلَ عليهِ بباكورةِ وَرْدٍ فقال المنصورُ لصاعِدٍ صفْها، فقال:

أَتَتْكَ أبا عامِرٍ ورْدَةٌ
يذكّرك المِسْكُ أَنْفاسَها
كَعَذْرَاء أبْصَرَها مُبْصِر
فغَطّتْ بِأكمامِها رأسَها

في قصّة طَويلة، فحسَدَهُ كلُّ مَنْ حَضَر، وقال: هذا شعر قديمٌ مُشْتَهر[32].

والذي عابَ الحاتِمي على أبي الطيّب قد احتج أبو الطيب بمِثْله من شِعْر حَبيب، وأَتى بالْعَجَب العَجيب، وليسَ هذا كُلّه بِحُجّة لأنّ الشاعِر كالغَوّاص تارةً يخرجُ بدُرّة، وتارةً بآجُرة، وتارةً بسَبجَة، وأخرى بِبَعْرَةٍ مُدَحْرَجَة، ولا بأْسَ أنْ يَنْزِلَ منَ القَوْل الفَصْل، إلى المَنْطِق الْفَسْل، في البيْتِ والبَيْتَيْن من القَصيدة، كما تُنْظَم السَّبجَةُ بجانب الْفَريدة، ولَوْلا البؤْسُ ما طابَت النّعْماء، وفي حالِك الظّلام يُعْرَف حُسْنُ الضّياء، وبضدّها تتميّزُ الأشياء.

قيل لبَشّار بْن بُرد. يا أبا مُعاذ: كم بين قولك:

يا أطيب النّاسِ ريقاً غيْرَ مُخْتَبرٍ
إلّا شَهادة أَطْراف المَساويك

(32) قول ابن بسام وقصة صاعد التي أشار إليها المؤلف في الذخيرة ق 4: 17 - 19.

يـا رَحْمـةَ اللهِ حُلّي في منـازلنـا
حَسْبي برائحة الفردَوْسِ مِنْ فيك

وبَيْنَ أنْ تقول:

إنّـمـا عَـظْم سُـلَيْمى خلّتي
قَصَب السّكّر لا عظْمُ الجَمَـلْ
وإذا قُـرّبَ مـنْـهـا بـصَـلٌ
غلَب المِسْكُ على ريح البَصَلْ[33]

فقال: إنّما الشاعِر كالبَحْر يقذف مَرّةً بصَدَفة، ومرّةً بحَشَفَة؛ وقيلَ له أيضاً كيف تقول:

إذا مـا غَضِبْنا غَضْبـةً مُضَرِيّـةً
هَتَكْنا حِجاب الشّمس أو قَطرتْ دَما
إذا ما رَفَعْنا واحداً مِنْ جَمَاعَةٍ
عَلَى مِنْبَـرٍ صلّى عليْهِ وَسَلّمـا

وهذا فيه منْ جزالةِ اللّفْظ ما لا يَخْفى عَلَى أحد، وأنت تقولُ:

حَـبَـابَـةُ رَبّـةُ الـبـيْـتِ
تـصُـبُّ الـخـلَّ فـي الـزّيْـتِ
لَـهـا سَـبْـعُ دجـاجـاتٍ
وديـكٌ حَـسَـنُ الـصّـوْتِ

---

(33) في زهر الآداب للحصري: قيل لبشار: كم بين قولك:

قـد زرتِنا مـرةً في الـدّهْـرِ واحـدةً   عُـودي ولا تَجْعليهـا بيضـةَ الـديـك

وبين قولك:

إنـمـا عـظم سـلـيـمـى خـلّـتـي   قـصـب الـسكـر لاعـظـم الـجـمـل

فقال: إنما الشاعر المطبوع كالبحر، مرة يقذف صدفة ومرة يقذف جيفة.

فقال إنّما أقولُ لكلّ واحدٍ عَلى قَدْره، وأنـا إذا قلت هذا علفتْ دجاجها ورخّمت بيْضها وأطعمتني.

وقال أبو العباس المبرد[34]: وقد يضطرُّ الشاعِر المُفْلِق والخـطيب المصْقَـع والكـاتبُ البليـغ فيقـعُ في كـلامهم اللفظ المستنكـر والمعنى المستغلق، فإذا انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه.

وإن شاء قائلٌ أن يقول بأنّ الكَلامَ الْقَبيح في الكَلام الحسَن أَظْهَر، ومجاوَرَتُه لَهُ أَشْهَر كانَ ذلك، ولكن يُغتفَر الشّيء القبيح للحسن والبعيد للقريب.

وقال المعرّي: جيّدُ قول الشعر وإنْ قلّ يَغْلِب (23) على رَديئه وإن كثُر ما لَمْ يكُن الشّعْرُ لهُ صِناعَة، ولطبعه مرناً وعادة[35].

وكَـلامُ أبـي الـطيّب كـلُّه حَـسـن، ولـكـنّ الـحُـرّ مُـمْـتَـهَـن، وَرَديء أبي الطيّب في جَيّدِه كالقَطرةِ في البحر، أو الذرّة في التّبر، فَهلاّ نَظَر الحاتِمي هذا النّظَر، وترَكَ القليلَ لِلْكَثير وغَفَر، وقارَنَ هذا الْعَيْبَ بعَيْب صاحِبه[36] فَسَتَر، أَلا تَرى أنّ الشُّجاعَ البَطَلَ رُبّمـا خَامَ[37]، وحـادَ عَن الإقْدام، إلى الإحْجام، وآثَرَ الْفِرار، عَلَى القَرار، فلا يكونُ ذلِكَ كُلُّه عَيْباً إذا عُرِفتْ بَسالتُه، وبُلِيَ كَرُّهُ في الحَرْب ومُجاولَتُه. أَلا تَرَى إلى قَوْلِ زُفَر بن الْحارِث وكانَ فرَّ يَوْم مَرْج راهِط عَنْ أبيه وَأخيه فقال:

أَيَـذْهَبُ يـومٌ واحـدٌ إن أسَـأْتُـه
بِصـالِـحِ أَيّـامي وحُسْن بَـلائيـا

(34) انظر الكامل 1: 27 ت. محمد أبو الفضل والسيد شُحاته.

(35) من خطبة سقط الزند؛ وفيه: «والجيد من قيل الرجل...» قال الخوارزمي: عنى بالقيل الشعر. انظر شروح سقط الزند 1: 24.

(36) يعني به أبا تمّام.

(37) خام: جبن وأحجم.

ولم تــر منّي زلّــةٌ غَيْــر هــذه
فـراري وتَرْكي صـاحِبَيّ وَرائِيا[38]

وقالَ عَمْرو بْنُ معدي كَرِب ولقي بني عَبْس وفيهِمْ زُهير بن جَذيمَة العَبْسي ففرّ عنهم فقال:

أجــاعِلةً أم الـثّــوَيــرِ خَــزايَــةً
عليّ فِراري إذْ لقيتُ بَني عَبْسِ
لقيت أبـا شأسٍ وشـأساً ومـالِكاً
وَقَيْساً فجاشَـتْ من لقائِهُم نَفْسي
وليسَ يعابُ المرْءُ من جُبْنِ يَوْمِه
إذا عُرِفتْ منْهُ الشّجاعةُ بالأمْس[39]

ومثلُ هذا كثير.

قالَ الْفَقيهُ المُشاوَر الأستاذ أبو الحَسَن علي بْنُ لُبّال أَدامَ اللّهُ عزّته (24) وقالَ الفقيهُ الأستاذُ النّحوي ابن مُسلم[40] عِنْدَ سؤالِنا إيّاه، واقتباسِنا منْهُ ما حَفِظَه من العِلْم ووعَاه: إنّ الْوَزير الْفَقيه الأديبَ اللّغوي أبـا مَرْوان بْن سِراج[41] كانَ لا يُقْرِىءُ مِنْ شِعْر أبي تمّام إلاّ ثلاثة أبيات، وكان يقرىء من شعر أبي الطّيّب خمْسَةَ أبيات. وهذا أيضاً شاهِدٌ على طَبْع أبي الطيّب، فقَدْ قيلَ[42]: خَيْرُ الشّعر ما ورّاكَ نفْسَه، وشَرّ الشّعْر ما سُئِلَ عَنْ مَعْناه، ولِلّـهِ دَرّ ابنِ عَمّار حيثُ يقولُ يمْدَح المُعتضِد بالفَصاحة:

(38) العقد الفريد 1: 146.
(39) المصدر نفسه 1: 146 - 147 وفي الأبيات تحريف في الأصل.
(40) تقدم ذكره والتعريف به.
(41) ترجمته ومصادرها في الذخيرة.
(42) لم أهتدِ الآن إلى صاحب هذا القول.

رَقيقُ حواشي الطّبْـع يَجْلُو بَيانُـه

وُجوهَ المعاني واضِحاتِ المَباسِمِ[43]

فلَمْ يمْدَحْهُ باستغْلاق اللّفْظ، ولا بِبُعْد الغَوْر وضَعْف المَعْنى، بلْ مدَحـه برقّة اللفظ وبَيان المَعْنى.

قالَ ابنُ رشيق[44]: لا يكونُ الكلام بليغاً حَتّى يُسابقَ مَعْناه لَفْظَه ولَفْظُه مَعْناه، ولا يكونُ لفْظُه أسْبَقَ إلى سَمْعِك، مِنْ مَعْناهُ إلى قَلْبك.

وسأل عامر بن الظرب العدواني حَمامة الدّوسي بيْنَ يـدَيْ بَعْضِ مُلوكِ حِمْير فقال: مَنْ أَبْلَغُ النّاس؟ فَقال: مَنْ جلا المَعْنى العَزيز، في اللّفْظِ الْوَجيز، وطَبّق المَفْصل قَبْل التّحْزيز.

وقيل إن أفْصَحَ الكَلام وأبْلَغ الْبَلاغة كلامٌ إذا:

سمِعْتَـه ظَنَنْتَ أنّـك تـصْنَـعُ

مثلَهُ فإذا رُمْتَه لم تقـدِرْ علَيْه[45]

وقد قيل: خيْرُ الكَلام ما فَهِمتْه العامّة ولَمْ تُنكِرْه الخاصّة[46].

---

(43) لم نقف على هذا البيت، ويبدو أنه من قصيدته المشهورة:

عَـلَيّ وإلّا مـا بُكَـاء الـغَـمـائـم وفـي وإلّا مـا نـيـاحُ الْـحَـمـائِـمِ

وهي قصيدة تنيف على 90 بيتاً ولم نقف عليها كاملة، ومنها في مدح المعتضد:

إذا رَكـبـوا فـانـظرْهُ أوّلَ صـاعـنٍ وإن نـزلـوا فـارصده آخِـر طـاعِمِ

أبَـى أن يـراه الله إلا مـقـلّداً حـميلةَ سيف أو حـمـالـة غـارمِ

هذا وللمعتضد ديوان شعر جمعه ابن أخيه إسماعيل. انظر الحلة السيراء 2: 43 والمعجب والذخيرة.

(44) انظر العمدة 1: 245 وفيها: «من حلّى المعنى المزيز» وقد تكلف المحقق في تخريجها، والصواب ما ورد هنا وفي نسخ خطية من العمدة.

(45) ؟؟.

(46) في المستطرف 1: 51: قال أبو عبدالله وزير المهدي: «البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة». وفي التقريب لحد المنطق لابن حزم: «البلاغة ما فهمه العامي كفهم الخاصي». التقريب: 204.

وقد قيل: إنّ أبلَغَ البلاغة ما لَمْ يؤْتَ السامع من إفهام المسمع ولا المسمع من فهم السامع، ذكر هذا عدة من أصحاب الكلام كقدامة وغيره[47].

وقد قيل: إنّ خَيْر الكَلام لمحة دالّة [48] وهذا كثير لأنّ الكَلامَ إذا كان قليلَ الفُضول، سَهْل الألفاظ غَيْر وَحْشِيّها، وخَرَج من اللُّغة الغريبة، إلى الأَلْفاظ المُسْتعملة الْعَجيبة، كانَ أسْلَس وأقْرَب إلى الْحُسْن.

قالَ الفقيهُ المشاوَر الأُستاذ أبو الحسَن علي بن لبّال رَحِمه الله: وقال الجاحظ: كما لا يَنْبغي أن يكونَ اللّفظُ عامّياً، ولا ساقِطاً سوقياً كذلك يَنْبغي أَنْ لا يكونَ وَحْشِياً إلاّ أنْ يكونَ المتكَلّم بدَوياً أَعْرابياً[49].

وقالَ بعضُهم لحَبيب في مجْلسٍ حافِلٍ وأراد تَبْكيته: لَمَ تقولُ منَ الشّعرِ ما لا يُفْهم، فقالَ لَهُ حَبيب: وأنْتَ لِمَ لاَ تفْهُم ما يُقال[50]، والمَطْبوع لا يُعَرّض نفسَه إلى هذا الطّعْن باستِغْلاق اللفظ وإبْهام المَعْنى كأبي الطيّب، ولذلكَ كانَ ابنُ سراج يُقْرىء مِنْ شِعْر المُتَنَبّي أكْثَرَ مِنْ شِعْر حَبيب لسُهولةِ لَفْظِه وبَيانِ مَعْناه.

وقالَ أبو العباس المُبَرّد في مثلِ هذا: «فمن ألفاظ[51] [العرب البينة القريبة المفهمة، الحسنة الوصف، الجميلة الرصف، قول الحطيئة:

وذاك فتى إن تأتِهِ في صنيعةٍ
إلى مالِهِ لا تأتِه بشفيع

(47) في البيان والتبيين 1: 101: وكان الإمام إبراهيم بن محمد يقول: «يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع» وقد استحسن الجاحظ هذا القول واعترضه التوحيدي. انظر البصائر 1: 362 - 363.

(48) الكامل 1: 17.

(50) ينسب السؤال إلى الشاعر أبي العميثل. انظر وفيات الأعيان.

(51) ما بين معقفتين صفحة بيضاء في الأصل، وقد قدّرت أن ابن لبال نقل فيها كلام المبرد في الكامل الذي أوردته ورقعة ابن ورقاء التي نقلتها من المنتقى المقصور لابن القاضي.

وكذلك قول عنترة:

يخبـرْكِ مَنْ شهِـدَ الـوقيعـةَ أنّني
أغْشى الوَغى وأعِفّ عنْد المُغْنَمِ

وكما قال زهير:

على مُكثـريهمْ رزق مَنْ يعتريهمُ
وعنـد المُقلّينَ السماحـةُ والبـذلُ

ومما وقع كالإيماء قول الفرزدق:

ضربَتْ عليكَ العنكبـوتُ بنَسْجها
وقضى عليك به الكتـاب المنزل

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف، فقال فقضى عليك به الكتاب المنزل، يريد قول الله تبارك وتعالى: وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون؛ ومن كـلامه المستحسن قـوله لجرير:

فهلْ ضربـةُ الرُّومي جـاعلةٌ لَكُمْ
أبـاً عن كليب أو أباً مثْـلَ دارِمِ

ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قوله:

ومـا مثله في النـاس إلا مملّكـاً
أبـو أمّـه حـيٌّ أبـوهُ يقـاربُـهْ

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال: وما مثله في الناس إلا مملّكاً يعني بالمملك هشاماً أبو أمّ ذلك المملّك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن

يقول وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مَمّلكٌ أبو أمّ هذا المملك أبو أم هذا الممـدوح فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير[52].

ومن الوحشي المتكلّف، والركيك المستضعف، والمعقّد البارد رقعة ابن ورقـاء ونصها:

«صين امرؤ واعين امرؤ دعا لامرأةٍ مقسئنة أولعت بأكل الطرمـوق فأصابها منه اسمئلال أن يهب لها الله اطرغشاشاً وابرغشاشاً».

وطرحها في المسجد فما][53] قرأها أحد إلا لعنه ولعن أمّه.

قالَ الفَقيه المُشاوَر الأستاذ أبو الحَسَن علي بن لُبّال أدامَ اللّهُ رفْعَته: معنى صين من الصيانة، وأعين من الإعانة أي أعانه الله، وقوله مُقْسَئِنّة، المُقْسَئِنّةُ الشّديدةُ الْكِبَر، يقال اقْسَأَنّ العُود إذا يَبِس واشتدّ يبسُه وقَوْلُـه الطّرموق، وهُو الطّفَل، فإذا قدّمت الميم على الرّاء قلْتَ الطُّمْروق، وهو الخُفّاش، والطّفَل بتَحْريك الفاء وهو الصّواب، ولا يُقال بالإسْكان، وقولُه: بالإطـرغْشـاش والإبْـرِغْشاش، يُقال: اطرغشّ الرَّجُلُ وابرغَشّ، وقَشْقَشَ إذا أفاقَ مِنْ مَرَضِه، والمُقَشْقِشتان: المُعَوّذتان قال الشاعر:

أعيــذُكَ بــالمُـقَشْـقِشَـتَيْـن مِمّــا
أحــاذِرُه ومِـنْ شَــرّ الْعُـيــونِ[54]

فهذا وإن كانَ كَلاماً عربياً يَقْبُح في الْمسامع، ويُثْقِل على كلّ سامِع، لخُشونتِه وقلّةِ استِعْمالِه، ولَنا في كتاب الله الكَريمِ قُدْوة، وكَفى به للْمُتأسّي بِهِ إسْوة.

(52) الكامل 1: 17 - 18.
(53) المنتقى المقصور لابن القاضي. مخطوط. ولم أتمكن من الوقوف على الحكاية في غيره.
(54) ورد البيت غير منسوب في كتاب ألف باء للبلوي 2: 402.

قالَ الفَقيهُ الْمُشاوَر الأستاذ أبو الحسَن علي بن لبّال:

ومَعَ هذا فَلا أُخْلي أبا تمّام مِنْ فَضيلة، وَلا أُعَرّيه عنْ خَصْلَةٍ جَميلة، بَلْ أعتقدُ أَنَّهُ شاعرُ إحْسان، وفارسُ هذَا الشّان، وهُو مَعَ أبي الطيّب كفرسَيْ رِهان، في عدّة أَبْيات، وكثيرٍ من المُقَطّعات، كقول أبي تمّام في وصْف القلم:

لكَ القَلمُ الأعْلى الّذي بشباتِه
تصابُ من الأَمْرِ الكلَى والْمَفاصِلُ

لُعابُ الأَفاعي القاتلاتِ لُعابُه
وأرْيُ الْجَنَى اشتارتْهُ أَيْدٍ عواسِلُ

لَهُ الخلَواتُ اللّاءِ لولا نَجِيُّها
لَما اختلَفَت للملك تلكَ المحافِلُ

لَهُ ريقةٌ طَلٌّ ولكنَّ وقْعَها
بآثاره في الشّرقِ والْغَرْبِ وابِلُ

فصيحٌ إذا اسْتَنْطَقْتَهُ وهْوَ راكِبٌ
وأعجم إنْ خاطبتَهُ وَهْوَ راجِلُ

إذا ما امْتَطى الخَمْسَ اللّطافَ وأُفْرِغَتْ
عليهِ شِعابُ الْفِكْرِ وَهْي حوافِلُ

أطاعَتْهُ أطْراف الْقَنا وتَقَوّضَتّ
لِنَجْواهُ تَقْويض الْخِيام الْجحافِلُ

إذا استَغْزَرَ الذّهْنَ الذكي وأَقْبَلَتْ
أعاليهِ في القِرْطاسِ وَهْي أسافِلُ

وقَدْ رَفَدَتْه الخِنْصران وسدّدت
ثلاث نواحيه الثلاث الأنامِلُ

رأيت جَليلاً شَأنُه وهْوَ مرهَقٌ
ضَنىً وسَميناً خَطْبُه وهو ناحِلُ[55]

وهذِه لعَمْري قِطْعَةٌ بديعةُ النّسْج، رائقة الدّرْج، لم يُحكْ عَلَى مِثالِها ولا نُسِج عَلى مِنْوالها.

وأَرْبى عَلى أبي الطيّب في قوله:

خَبَتْ نارُ حَرْبٍ لم تَهجْها بنانُهُ
وأَسْمَرُ عُرْيانٌ مِنَ الغُصْن أَصْلعُ
نَحيفُ الشَّوَى يَعْدو عَلَى أُمِّ رأسِهِ
ويَحْفَى فَيَقْوى عَدْوُهُ حينَ يُقْطَعُ
يَمُجُّ ظَلاَماً في نهارٍ لِسانُهُ
ويُفْهَمُ عن منْ قالَ ما لَيْسَ يُسْمَعُ[56]

وهذه لعَمْري قطْعَةٌ تدلّ على طَبْعٍ عَفْو، وماءٍ صَفْو ولكن الأُولى أعْلى، وألْيَقُ بالتقديم وأوْلى.

قالَ الفقيهُ المُشاوَر الأُستاذُ أبو الحَسن عليّ بنُ أحْمد بْنِ لُبّال أدامَ الله عزّته بمنّه وكَرَمه: وَأنا أرْغَبُ ممّنْ تَصفّح كَلامي، وتحقّقَ منْهُ سَرْدي ونِظامي، في هذا التّأليف الّذي خَرَقْتُ فيه حِجاب السّخف، ولَمْ أَستَتِرْ فيه من العَقْل بسِجف، فتعرّضتُ فيهِ للألْسِنة، ونَبّهتُ لِعِرضي مَنْ كانَ عنْهُ ذا سِنَة، وبَلّغتُ الناقدَ سُولا، ولَمْ أُرِدْ ذلكَ ولكنْ ليَقْضِي اللَّهُ أمراً كانَ مَفْعولاً.

---

(55) الأبيات من قصيدة أبي تمام التي مطلعها:

متى أنتَ عَنْ ذُهْليةِ الحي ذاهِلُ ... وقلبكَ منها مدّةَ الدّهرِ آهِلُ

انظرها في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي جـ3 ص 122 وما بعدها. وقد كان لها التفضيل والتقديم على سائر شعر أبي تمام عند الأندلسيين انظر طبقات الزبيدي: 306 - 307 والعقد الفريد 4: 192.

(56) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي جـ2 ص 421.

فَعَلى مَن اعْتَزَى إلى عِلْم، ووُصِفَ بذَكاءٍ وفَهْم، أنْ يَنْظُرَ بعَيْن الإغْضا، ويتصفّح تواليفَ مَنْ مَضى، فكَمْ في الدّفاتِر، مِنْ سخيفٍ فاتِر، وَلَو اقتصرَ المُتَأخّرونَ عَلى علْمِ المُتَقَدّمين لذَهَب عِلْمٌ كثير، وَأدبٌ غَزير، وأما الجاهِل فمَنْ ضاقَ في العِلْم ذَرْعُه، وقَصر به فهْمُه وطَبْعُه، حتّى يظُنّ أنْ لا علْمَ إلا ما وَعاه، ولا تحقيقَ إلاّ ما نَدَبَهُ فهْمُه إلى مَعْرفتِه ودَعاه، فَما دُرِيَ جَهْلُه، وأشدُّ ما جَنى عَلَى عِلْمٍ ما سَطّرَهُ السّخيفُ عَقْلُه.

وَإذا خَفيتُ عَنِ الْغَبي فَعَاذِرٌ
أَلّا تَراني مُقْلَةٌ عَمْياءُ[57]

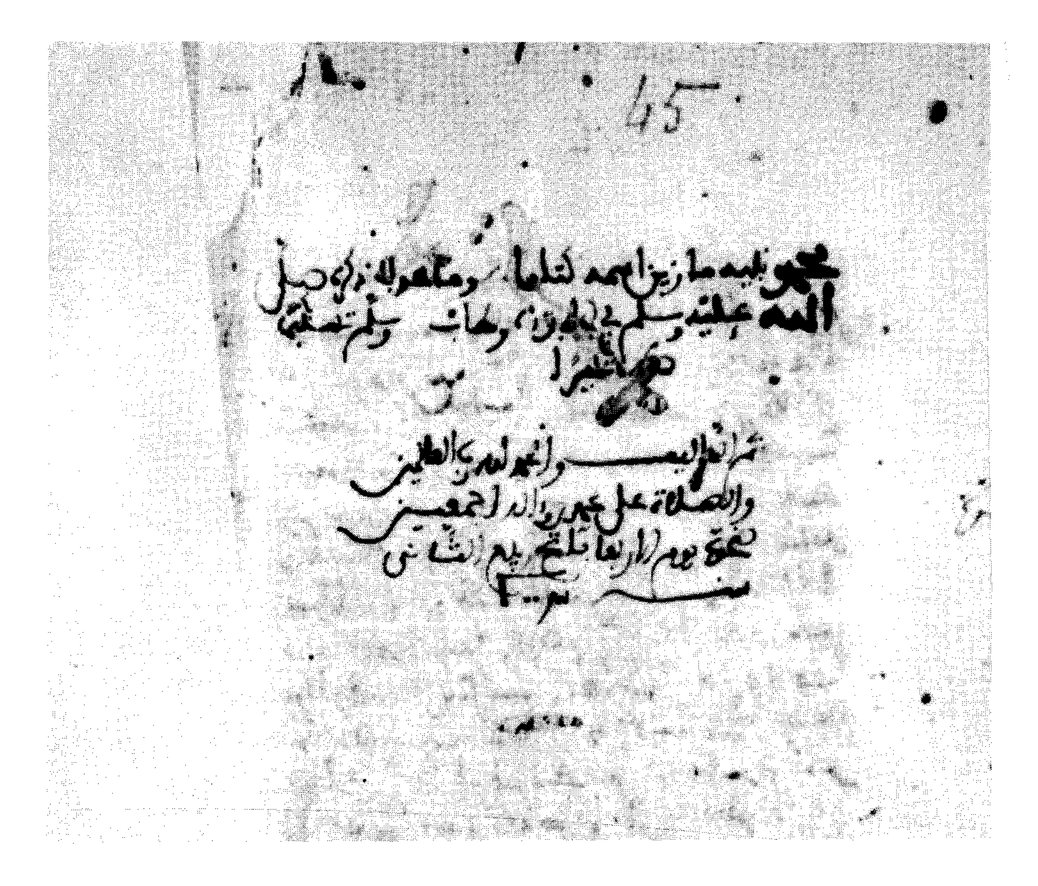
واللَّهُ المُوَفّقُ للصّواب، وصلّى اللَّهُ عَلى محَمّد نبيّه ما زُيّن بِاسْمهِ كتاب، وما عَذُبَ ذكْرُه صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم في الأفْواه وطاب، وسلّم تسليماً كَثيراً.

تمّ التأليف والحمدُ لله ربّ العالمين
والصّلاة على محمدٍ وآله أجْمعين
ضحْوة يوم الأربعاء غرة ربيع الثاني
سنة 1003 هـ

(57) المصدر نفسه 1: 18.



أول رسالة روضة الأديب في المخطوط.


والحمد لله رب العالمين
والصلاة على محمد وآله أجمعين

آخر رسالة روضة الأديب في المخطوط.

الفصل الخامس

مختارات من نسخة ديوان المتنبّي السّعديّة



ـ 1 ـ
مقدمة الديوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم وصلَّى اللَّهُ عَلَى سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ.

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى ما منَحَ منَ الْعوارِف، وما أَلْهَمَ من الْمَعارِف، وسَنَّى منَ اللَّطائف الأنيقةِ الْمَطارِف، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى رسولِهِ مُنقذِ الأمَّةِ وَهاديها، وخيرِ مَن يحْدُو لِمعالِمِهِ الْمُشَرَّفةِ بالمهْرِية القَوْدِ حاديها، وعلى آلِهِ ذؤابَة المَجد الفارِعة، وعصابة الرسالة البارِعة، وأَصْحابِهِ الذينَ جَلَوْا قتامَ الشرْكِ عن وجه السَّمْحاء، وروّضـوا بعوارض الإيمانِ بِطاحَ الْبطحاء؛ والرِّضا عن الإمام الخليفة القائم بأمر الله مُطْلِع شموس الحقّ بعد أُفولِها، ومُعيدِ معالي الخلافةِ إلى أُصولِها.

وعن نجلِه الإمام الخَليفَةِ الْمَهْدي سُورَة الْمُلْكِ وفاتحَةِ كتابِهِ، ومُحْيـي معالِمِ الخِلافَة الْمُؤَهّلَةِ بالْملوكِ الصّيدِ أعْقابِهِ، ومُصْلت سَيْف النَّصْر الّذي دانت لَه الفتوحُ الْمُتَوالِية، وخضعَتْ لَهُ الأقطارُ الدانيةُ والقاصِية؛ ودوْحة الشرف الّتي بَسَقتْ بالْمَجدِ والعُلا أفنانُها وأوْرَقتْ بالعدل المتفيّىء الظّلال عَلَى الْبَسيطةِ أغْصانُها؛ والدّعاء بنُجْح الآمال، الْفَسيحَة الْمَجال، والسَّعْد الذي لا يزالُ لِسانُه بِالبشائِرِ والتّهاني طلْق الرّوِيّة والارْتجال، لمولانا أميرِ الْمؤمنين بن مولانا أمير المؤمنين بن مولانا أمير المؤمنين عصمة الدين وهضبة شرفه العليا، وبهجة الملك وزهرة الحياة الدّنْيا أعجوبة الدهر وآيته، ومنتهى الفخر وغايته، العزيز الوجود، وعين كلّ موجود:

عُقِمَ النّساءُ فَما يلْدِنَ شبيهَهُ
إنّ النّساءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

جلّتْ مفاخِرُه ومآثِرُه عَنْ أنْ تُحْصى، ويَنْفَدُ في جانِبِها تعْدادُ الكواكِب والْحَصى:

وَمَنْ لي بحَصْر الْبَحْر والْبَحْرُ زاخِرٌ
وَمَنْ لي بإحْصاءِ الْحَصَى والْكَواكِبِ

ماضي العَضْب، وَحامي ذَمارِ الْمُسلمينَ بالأسَل والقُضْب ومجلى سُدو الرّيب، وناصِر الشّريعَة الّتي جاءَ بِها الرّسولُ عَن الرّب:

فمن كانَ أو مَنْ قَدْ يكونُ كَأحمدٍ
نظاماً لحقٍّ أو نكالاً لِمُلْحدِ

باهَتْ مَناقِبه الْغُرّ الشّموسَ سَنىً وسَنَاءً، وأنبتَتْ سَحائِبُ جوده الوَكّافة في كلِّ أرْضٍ ثَرْوة وغَناءً، إن ضحِك أبْكى بالبذل مالَه، وأنْجَح لِلْمعتفي آماله:

غَمْرُ الرّداء إذا تبسّم ضاحكاً
غَلِقتْ لضحكتِه رِقابُ الْمالِ

عَلَمُ المجْدِ وبيْتُ شَرَفه، ورفيعُ عِماد العُلى ومُشيدُ غُرَفِه، وولي السّمْحاء ونَصيرُها، وبدر الخلافة الذي ازدهى بِهِ منبَرُها وسَريرها:

ووارث المُلْكِ عن شُمٍّ غَطارفة
بهم أُنوف الخُطوبِ الشُّمّ تُجْتَدَعُ

مَأْمَن الخائِف، وكَعْبةُ الطّائف، وسَعادةُ الزّاجِر الْعائِف ورحمة الله التي أطْبَق على الخَلْق سماؤها، وأظَلّهم لواؤها؛ راقَتْ أيامُه الْغُرّ فعادت مَواسِم، وثُغورُ الأماني بها مفتَرّةٌ وبواسم:

تَـلوحُ في دولـةِ الأيـام دولـتُـهُ
كـأنّهـا ملّة الإسـلامِ في الْمِلَلِ

جنّة الوافِد، ومناخُ الرّائِد، ومُجْزلُ الفَوائد، ومُكْمِل الصّلَةبالْعائِد، أجزل الملوك نَدىً وبأساً، وأكْرمُهم مَحْتِداً ونَفْساً، وأمْنَحُهم إسجاحاً وعَفْواً، وأبعدهم في المَجْد والعلا شأواً:

تَـعِبَ الـمُلوكُ مـراهـنين وراءَه
فَتَنـاكَصـوا لا يلْحَقـونَ الشّمْـألا

بهَرت العقولَ والألبابَ آيتُه، وأربت عَلى كُلّ غَايةٍ في الفَضْلِ غايتُه، وتجاوزَ في كُلّ مأثُرَةٍ المُنْتَهى، واستَعْلى بهمّتِهِ البعيدة المرمى على هامة السُّهى؛ وغادَرَتْ فَضائلُهُ وفواضِلُه الأوهامَ حائرَة، وغدتْ بمناقبِه الأمثالُ في أقْطار المعمورِ سائرَة:

مَنْ للْمَـدائـحِ تَسْتـوفي مَنـاقِبَـهُ
وقَدْ أنافَتْ عَلى شُهْبِ السّما عَدَدا

لا زال ظِلّه المَمْدودُ على الْبَسيطة منشوراً، وذكرُهُ في ديوانِ الفخرِ مسطوراً، بحوله وقوته.

وبعدُ فإنّ ديوانَ أبي الطيّب أحْمد بْنِ الحُسين المتنَبّي رَحمَه اللّهُ لَمّا كان بحَسَب رقّة الغزَل والنّسيب كالرّوضِ باكَرَهُ الْحَيا، وجـزالَةِ الفَخْـر والْمَديح كالرّعْد اصطُكّت بصلْصَلَته مسامِعُ الدّنيا، إلَى ما ضُمِّنَهُ مِنْ حكَمٍ تقفُ منها الْفَريدَة في مَيْدانِ الْمُحاوَرَة مَوْقِف الرّسالَـة الْبارِعـة، وتنْهَضُ للمُسْتَشْهِـدِ في مقام بِهـا في مَقامِ الْمُنـاضلة بالحجّـة البالِغـة والشّهادَةِ الْقاطعة، وأمْثال، يَروق لضَرْب المَثَل بِها تِمْثال، ووَعيد يدكُّ الجِبالَ تَهْديدُه دَكّاً ويصُك الإعـذارُ بـه مَسامع الْمُرْجِفينَ صَكّاً، واستعطافٍ يَبْعث الرّحمةَ في الْقلوب القاسية، ويسْتَنْزلُ بلَطافَتِه العُصْم من قُنن الشّواهِق الرّاسِية،

صارت الْمُلُوكُ بحفْظِه مولَعَة، وَحِكَمُه وأمثاله في صدورِهم مُودَعَة وكان أشدّهُمْ به ولوعاً، وَأَحْنى عليهِ ضُلوعاً، أشبههم لَطافةً برقّتِه، وألْهَجُهُم لِساناً بحكْمَتِه، وأنْضاهُم يَوْم الرّوع لسَيف جَزالَتِه، وأجرأهم في الإقدام في حومة الهِياجِ والْكِفاح على دِلالَتِه، وأحْسَنهم إيراداً لأمثالِه، وأرْشَقَهُم لثغْرَة السّداد بسِهام الرأي المصيب ونِبالِه، وأنفذَهُم في الملْحِدينَ لِوعيده، وأعْطفَهم على الْمؤمنين مِنْ رعـايـا الله وعَبيـدِه، ملك المُلُوك، وفَخْـر المـالِـك والْمَمْلوك، مَوْلانا الإمام الْخَليفة أَمير الْمؤمنين. وناصِر الدّين أبو عبدالله مُحَمّد الشّيخ المَهْدي قدّسَ الله نفْسَه، وطيّب بأنْفاس المَغْفِرة والرُّحْمى رَمْسه، كانَ كثيراً ما يَتعاطاهُ عَلَى شغَف، ويُعْرب بذَوْقه السّليم عَنْ حِكَمٍ أنيقَة القُرْطِ والشّنَف، ويجلّي بمَدارِس الإدْراك غُرَرَه، ويسْتَخْرِجُ بفَهْمِه الثّاقب مِنْ بُحور مَعانيه الزّاخِرة دُرَرَه، حتّى اشتَمَلَ عليْهِ حفْظاً ودِراية، ورَفَعَ للشُّهرَةِ بمَعْرِفَتِه الرّايَة، وما زالَ رَضي اللَّهُ عَنْه يُوصي بحِفْظِه وَدِرايته إلى أعْقابه الْكِرام وَبَنيه، ويُشِير بذلكَ عَلَى كُتّابه وَعُلَماء وَقْتِه وذويه، فَكان أجْرَى بَنيه عَلى سَمْتِه في ذلك الـطَّلْق، وأحْرَزَهُم فيـه لخَصْل السَّبْق، أجراهم في الْجُمْلَةِ عَلى هَدْيه، وأكْثَرُهُمْ اقْتداءً بصالِـحِ عَمَله ومَشْكورِ سَعْيِهِ، بيْتُ قَصيدِهِمْ وَواسِطَةُ عقْدِهِمْ، وقُطْبُ الْمعالي الّذي علَيْهِ مدارُ شَرَفِهِمْ ومَجْدِهم، مَولانا الإمام الْخليفَة أمير المؤمنين.

فإنّه اليوم أيّدَهُ اللّه كالْخليفَةِ أبيه كلف بِمُطالَعَتِه ومُغْرَم وولُوعه الْمُنيف قَدْ طافَ بمُعاطاته وأحْرَم، وما زالَ عَلى الْمَدى مُطْلِعاً لشُمـوس حِكَمِه ونَوادِره في كَريم ناديه، ومُجيلاً لقِداح الْمُحاوَرَةِ فيه مَعَ جَهابذَة هذا الشّأنِ وَأَهْل وادِيه، حَتّى فازَ مِنْ سِهام الْمَعْرفةِ بمَعانيه وأساليبه وَمبانيه بالْقِدْحِ المُعَلّى، وَصارَ في حِفظِه وحِفْظِ الأدَبِ عَلَى الجُمْلَة ودرايتِهِ آيةً تُتْلى، ثم لمّا غَدا بالتفنن في ذلِكَ على هام الْكَواكِب نازِلاً، وصَوّرَتْ منهُ الدّرايةُ للْمَعارِف الجَمّةِ شخْصاً ماثِلاً، وأقدرَتْه الْمَلكَةُ فيها على التصرّف المُطْلَق، وفتحَتْ لَهُ إلى الإجادَة في الاختْيار كُلّ وَصيدٍ مُغْلَق، نظَرَ إلَى هذا الدّيوان نظَرَ مُشْفِقٍ عَلَى بضاعَتِه، وَغَيُورٍ عَلَى صِناعَتِه، فرَأى أيّده اللّهُ عَدَمَ ترتيبِهِ،

وإغْفالَ تَبْوِيبِه، وخُلُوّ جَمْعِه مِنْ ضابِط، وعُرُوّ مَوْصولِه منْ صِلَةٍ ورابِط، نقصاً في إحسانِه، وحَصراً في لِسانِه، وعاهَةً في شخْصِه وإنْسانِه إذْ يَعْسُر بذلكَ عَلَى مُطالِعِه الاهْتِداء إلَى قَصْدِه، والعُثورُ بديهةً عَلَى ما يشاءُ مِنْ هَزْلِه وجِدِّه. وعَلَى أنّ بعْض الفُضَلاء وإن كانَ قَدْ فوّق إلَى هذا الْغَرَض نِبالَه، وأشْرَع إلَيْه نِصَاله، وَجرى في تَرْتيبِه عَلَى حَسَب ما في وُسْعِه ومقْدورِه، ونظَم في قِلادة جَمْعِه ما الْتَقَطَهُ من فرائِدِه وشُذُوره، فقَلَّ أنْ وُجِدَ في تَرْتيبِهِ لشِعْرِهِ الْمشْهور، مُسْتقصياً في جَمْعِه لنظمِه الّذي صحّحه أئمّة الْمَنْظوم والْمَنْثور، إذ كانَ اقْتَصَرَ على ما صحّتْ عندَه رِوايتُه، ووقَفَ في الاجْتِهاد حَيْثُ وقفَتْ في مَجال الدّراية رايتُه.

فآثَرَ أيّدَه اللَّهُ الإتيانَ في ذلِك بالجَمْع المُتناهي، وجَبْرِ ما أغْفَلَهُ السّاهي، بأَنْ أمَرَ خلَّدَ اللَّهُ سُلْطانَه، ومهّدَ أوْطانَه، باسْتِقْصاءِ ما اشْتَمَلَتْ عَليه خَزائنُه الحافِلة الْعِلْميّة، واحْتَوت عليْهِ مِنْ نُسَخ هَذا الدّيوانِ الْعَتيقَةِ الْمَنْسُوبةِ الْمَرْويّة، وَأَشارَ بتحْريرِ نُسْخةٍ منْها تشْتَمِلُ على نظْمِهِ الْمَرْوِيّ الْمُجاز، وشِعْرِه الّذي ليْسَ في صحّة رِوايتِهِ احْتِمالٌ وَلاَ مَجاز، وَأَمَر أيّدَه اللَّهُ ونَصَرَه، وأسْعَدَ آصاله وبُكَرَه، بترتيبِها عَلَى حُروف الْمُعْجَم عَلى طَريقَةِ الْمَغارِبَة واصْطِلاحِهِمْ والْجَرْي في وَضْعِها عَلَى بَيانِهِمْ وإيضاحِهِمْ، لِيَرْتَفِعَ بهذا التّحرير الْعَجيب عَن شعْره المَرْوِيّ الشَّكُّ والارْتِياب، ويسهل بهذا الترتيب اهْتِداءُ الْمُطالِع إلى مَحلّ الحاجَةِ من الْكِتاب، فلبّى العَبْدُ المَأمورُ دَعْوتَه، ونَهَج إلى الْوَفاء بما اقْتَرَحَتْهُ هِمّتُه العالية جادَّتَه المُثْلَى وشِرْعَته، وَرَمَى إلَى هذا الْغَرَض عَنْ قَوْسِ ذَكائِه ونُبْلِه فَقَرْطَسَهُ، وأذْكَى عَلَى عَلَم الإجَادةِ فيه للطّالبين والرّاغبينَ قَبَسَه، فَنَجَحَ فيه بحمْدِ اللَّه الْقَصْدُ، وأنجز الوَعْد، وَساعد النية الصّالحةَ فيهِ السّعْد، واللَّهُ الْمَسْؤولُ في إثابة المَوْلى الكَريم الخَليفة عَلى اعْتِنائِه الْجميل في إحياءِ العلم ونَشْرِهِ وأن يَنْفَعه بذلك مَنْفَعَة يَجدُها أسْنى الْقُربات يومَ عرض الخَلْق وحَشْرِه، وأصلّي على سَيّد الأولين والآخرين صَلاةً دائمَةً إلَى يَوْم الدّين، وآخرُ دَعْوانا أن الحمدُ لله ربّ العالَمين.



ـ 2 ـ

الطّرر

طرر حرفي الألف والباء(*)

قافية الألف المتحركة

1 ـ فالسّلمُ يكسرُ من جناحي مالِهِ
بنوالِهِ ما تجبر الهيجاءُ

من قول أبي تمام:

إذا ما أغاروا فاحتووا مالَ مُعسرٍ
أغارتْ عليهِ فاحتوته الصّنائعُ[1]

2 ـ وهبني قلتُ هذا الصّبحُ ليلٌ
أيعْمى العالمون عن الضّياءِ

هذا البيت ينظر إلى قول ابن الرومي:

أسقط المدْحَ فيكَ أن لم يُبِنْ منْـ
ـكَ خَفيّاً وهَلْ لصبحٍ خفاءُ[2]

3 ـ تطيعُ الحاسدينَ وأنتَ مَرْءٌ
جُعلتُ فداءَه وهُمُ فدائي

(*) اقتصرت هنا على طرر حرفي الألف والباء وفي النية إخراجها كلها فيما بعد إن شاء الله.
(1) ديوان أبي تمام 4: 588.
(2) ديوان ابن الرومي 1. : 41. دار المعرفة ـ بيروت.

من قول الحصني:

فـدتـكَ نفسي ويَفْديني أعـاديكـا
بل كلُّ من فوق ظهْرِ الأرض يفديكا[3]

4 ـ مضت الـدهـورُ ومـا أتينَ بمثـلِهِ
ولقـد أتى فعجـزنَ عن نـظرائِـهِ

مأخوذ من قول حبيب:

هيهـات لا يـأتي الـزمـان بمثلِهِ
إن الـزمـان بـمثـلِه لبـخيـلُ[4]

وأخذه حبيب من قول الأول:

عقم النّسـاءُ فمـا ولـدن مثالَـه
إن الـنـسـاء بـمـثـلِهِ عُـقـمُ

5 ـ أنـتَ أعـلى مـحـلّةً أن تُـهـنّـى
بمكانٍ في الأرض أو في السّماءِ

ينظر إلى قول ابن الرومي:

أنتَ أعلى من أن يقولَ لكَ القا
ئـلُ يـهـنيـك إن ولـيـت وِلايـة

6 ـ ولـك النـاسُ والبـلادُ ومـا يسـ
ـرَحُ بـين الـغبـراءِ والـخضـراء

(3) انظر المنصف: 329.

(4) ديوان أبي تمام 4: 102.

من قول عدي:

ولـك الأهـلُ والبنـونَ ومـا تَمْـ
ـلِكُ من ثـابت ومن مُـسْـتـاق

7 ـ وبمِسـكٍ يُكْنى بـه ليسَ بـالْمسـ
ـك ولـكـنّـهُ أريـجُ الـثّـنـاء

من قول العطوي:

فليسَ نسيمُ المسكِ ما تجدانِهِ
ولكنّـه ذاكَ الثنـاء الـمُخَلّـدُ

8 ـ فـارمِ بي مـا أردت منّي فـإنّي
أسـدُ الـقـلبِ آدمـيّ الـرواء

ينظر إلى قول أبي تمام:

أَسْرى بنو الإسْلامِ فيهِ وأَدْلَجوا
بقلوب أُسْدِ في صدور رِجـالِ[9]

قافية الباء

9 ـ يزورُ الأعادي في سَماء عجاجـةٍ
أسِنَتُّـه في جـانبيهـا الكـواكِبُ

ينظر إلى قول بشار:

---

(9) ديوان أبي تمام وسرقات المتنبي للشنتريني: 8.

كأنّ مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا
وأسيافنا ليلٌ تَهاوى كواكِبُهْ[10]

10 ـ طلعنَ شموساً والغُمود مَشارقٌ
لهنّ وهاماتُ الرّجالِ مغارِبُ

ينظر إلى قول عبدالله بن المعتز:

متردّياً نصلاً إذا
لاقى الضّريبة لم يراقبْ
فكأنّه في الحربِ شمسٌ
والرؤوسُ له مغارب[11]

11 ـ دمعٌ جرى فقضى في الربْعِ ما وجَبا
لأهلِهِ وشفى أنّى وَلا كربا

هذا البيت يشبه قول الوائلي:

سأشكر الدّمعَ إنّ الرّبع كانَ لَهُ
حقٌّ فقامَ لَهُ عنه بواجبهِ[12]

12 ـ سقيته عبراتٍ ظنّها مطراً
سوائلاً من جفوني ظنّها سُحُبا

هذا ينظر إلى قول أبي تمّام حبيب:

مطرٌ من العَبَراتِ خدّي أرْضُهُ
حتى الصّباحِ ومقلتاي سماؤُه[13]

---

(10) ديوان بشار 1: 318. . . .

(11) ديوان ابن المعتز 3: 246 والمنصف: 318.

(12) المنصف: 388.

(13) ديوان أبي تمام 4: 148 والمنصف: 388، 531.

13 ـ بيضاءُ تُطمِعُ فيما تحتَ حُلّتها
وعَــزّ ذلـكَ مــطلوبـاً إذا طُلبــا

يشبه قول الآخر:

ســألتك حــاجةً فــأجبتَ عنهـا
بـأسـرَعَ مـا يكـونُ من الجـوابِ
فلمّــا رمتُهــا رمْتُ الـثــريّــا
وأبعد ما يكـون من السحاب[14]

14 ـ كأنها الشّمسُ يُعيي كفّ قابضِهِ
شُعـاعُهـا ويـراهُ الـطرفُ مُقتـربـاً

يشبه قول ابن أبي عيينة:

فقلْتُ لأصحابي هي الشمسُ ضوءُها
قـريبٌ ولكن في تناولِهـا بُعْدُ[15]

15 ـ لو حلّ خاطِرُه في مُقعَدٍ لَمَشى
أو جاهلٍ لصحا أو أخرسٍ خَطَبا

يشبه قول الآخر:

ومقعدِ قومٍ قد مشى من شرابِنا
وأعْمى سَقَيْناه مليـاً فـأبصـرا[16]

16 ـ إذا بَـدا حجبتْ عينيـكَ هيْبتُـه
وليسَ يحجبُـه ستـرٌ إذا احتجَبــا

---

(14) الوساطة: 261 العكبري 1: 112.

(15) المنصف: 391.

(16) المنصف: 392 (بدون نسبة).

ينظر إلى قول البحتري:

وإن أتى دونَـه الحُجّاب فمـا
تـحجـبُ عنّـا آلاءه حـجُبـه[17]

وكأن صدر بيت أبي الطيب من قول الفرزدق:

يُغضـي حياءً ويُغضى من مهابتِه
فَـمـا يُكَـلّم إلاّ حيـن يـبتَـسِـمُ

17 ـ تحلو مـذاقتُـه حتى إذا غَضِبـا
حالتْ فلو قطرت في الماءِ ما شُرِبا

ينظر إلى قول ابن المعتز:

لَوْ أنّ ما تبتليني الحادثاتُ بهِ
يصبُّ في الماءِ لَمْ يشرَبْ من الكَدَرِ[18]

18 ـ وتغبط الأرضُ منهُ حيث حلّ بِهِ
وتحسُـدُ الخيلُ منهـا أيّهـا ركِبـا

قوله وتحسد الخيل من قول الآخر[19]:

ومن لـه تخشـعُ الملوكُ ومَنْ
تُـزْهَى بـه الخيـلُ حينَ يـركَبُهـا

19 ـ هـزّ ٱلّلواءَ بنو عجْـلٍ بهِ فَغـدا
رأسـاً لَهُمْ وغـدا كـلٌّ لهُمْ ذنَبـا

---

(17) ديوان البحتري 1: 281 والمنصف: 15.

(18) المنصف: 395.

(19) هو ابن دريد كما في المنصف: 396 والبيت ليس في الديوان.

قوله فغدا رأساً وما بعده من قول الحطيئة:

قومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غيرهم
ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا[20]

20 ـ مبرقعي خيلِهم بالبيضِ متّخذي
هامِ الكُماةِ على أرماحِهِمْ عذَبـا

قوله متخذي هام الكماة وما بعده يشبه قول بعضهم:

من كُلّ ذي لمّة غطّت ظفائرهـا
صدر القَناة فقد كادتْ ترى عذَبا

21 ـ مـراتبٌ صعِدت والفكـرُ يتبعهـا
فجـازَ وهْـو عَلَى آثـارِهـا الشُّهُبـا

قوله فجاز وما بعده يشبه قول ابن الرومي:

وسمَتْ همّتي فجـاورت العيو
ق بُعـداً أو جـازت العيّـوقـا[21]

22 ـ مكـارمٌ لـكَ فتّ العـالَمين بِهـا
مَنْ يستـطيـعُ لأمـرٍ فـائتٍ طَلَبـا

هذا البيت يشبه قول البحتري:

أيُّهـا المبتغي مُساجلة الفتْـحِ
تبغّيت نيـلَ مـا لاَ يُنـالُ[22]

---

(20) المنصف: 398، 426.

(21) ديوان ابن الرومي 4: 1713 والمنصف: 399.

(22) ديوان البحتري.

23 ـ بكلّ أشعثَ يلْقى الموتَ مُبْتسماً
حتّى كـأنّ لـه في قَتـلِه أَرَبـا

قوله حتى كأن وما بعده يشبه قول أبي تمّام:

يستعذبونَ مناياهُمْ حتّى كأنّهُمُ
لا يَيْأسون مِنَ الدُّنيا إذا قُتِلوا[23]

24 ـ بأبي الشموس الجانحات غواربا

قوله الجانحات غواربا يشبه قول البحتري:

شمس تـألق والفراق غـروبهـا
عنـا وبـدر والصـدورُ غـوارِبُـهْ[24]

25 ـ ونصبنني غـرض الرُّمـاة تُصيبني
محنٌ أحَـدُّ من السيوفِ مضـاربا

يشبه قول الآخر:

في كل يومٍ لهـا نَبْلٌ مفـوّقة
كأنّني غرضٌ تنحـوهُ أو هَدَفُ[25]

26 ـ فكـأنّما كُسي النهـارُ بهـا دجى
ليـل واطلعت الـرمـاحُ كـواكبـا

من قول بشار:

كأنّ مثار النقـع فوق رؤُوسنـا
وأسيـافنا ليـلٌ تهاوى كـواكبـه[26]

---

(23) ديوان أبي تمّام 3: 17 والمنصف: 257، 326.

(24) ديوان البحتري.

(25) البيت منسوب للحصني في المنصف: 432.

(26) ديوان بشار 1: 318 والمنصف: 317.

27 ـ أُسْدٌ فرائسُها الأسود يقودها
أسَدٌ تصير له الأُسود ثعالِبا

من قول عبدالله بن المعتز:

أُسْدٌ فرائسُها الأسود ولا تطأ
إلا على الآسادِ يوم حروبِها[27]

وعجزه من قول بعضهم:

كم من عدوّ كان قبلك ضيغماً
حَتّى إذا ما خيفَ عاود ثعْلَبا[28]

28 ـ في رتبةٍ حجبَ الْوَرَى عن نيلِها
وعلا فَسَمّوهُ علي الحاجِبا

يشبه قول ابن الرومي:

كأنّ أباهُ حين سمّاهُ صاعِداً
دَرَى كيفَ يرْقَى للمعالي ويَصْعَدُ[29]

29 ـ كالبحر يقذف للقريب جواهراً
جوداً ويبعث للبعيدِ سَحائبا

يشبه قول مسلم:

هو البحر يغشى هوة الأرض فَيْضُهُ
ويدركُ أطرافَ البلادِ سواحِلُهْ[30]

(27) ديوان ابن المعتز: 1: 394 والمنصف: 437.
(28) البيت منسوب للمريمي في المنصف: 437.
(29) ديوان ابن الرومي 2: 591 والمنصف: 437.
(30) ديوان مسلم بن الوليد: 146 والمنصف: 438.

30 ـ شادوا مناقبهم وشدت مناقباً
وجدت مناقبهم بهن مَثالِبا

يشبه قول أبي تمّام:

مَساعٍ لأقوامٍ مَتى تقرِنوا بها
محاسن أقوام تكن كالمعايب[31]

ويشبه قول أبي المعتصم:

إذا نحن عددنا محاسنه اغتدى
محاسن أهل الأرض فيها مساويا[32]

31 ـ تدبيرُ ذي حُنك يفكّر في غدٍ
وهجوم غِرٍّ لا يخافُ عواقِبا

يشبه قول البحتري:

ملكٌ لَهُ في كلّ يومِ كَريهةٍ
إقدامُ غرٍّ واعتزام مجرّب[33]

32 ـ خُذْ مِنْ ثنائي عليكَ ما أستطيعُه
لا تلزِمَنّي في الثناءِ الواجِبا

ابن الحاجب:

جَهِدتُ فلَمْ أبلغ صفاتِك كلّها
فقلتُ على مقدار ما احتملَ الوُسْعُ[34]

---

(31) ديوان أبي تمام 1: 191 والمنصف: 439.
(32) المنصف: 439.
(33) ديوان البحتري 1: 81 والمنصف: 439.
(34) المنصف: 440.

33 ـ أبـا سعيـد جنّب العتـابـا
فـربّ رائـي خـطأٍ صَـوابـا

ينظر إلى قول منصور النمَري:

لعـلّ لَـهُ عـذراً وأنت تلومُ
وكم لائمٍ قد لام وهـو مُليم[35]

والمليم الذي أتى ما يلام عليه قال الله تعالى: فالتقمه الحوت وهو مليم.

34 ـ مـا يجيلُ الـطرْفَ إلّا حمـدَتْـهُ
جهـدَها الأيـدي وذمتْـهُ الـرّقـابُ

معنى هذا البيت أنه يصـل أولياءه وقاصديه فيملأ أيديهم معروفاً ويقتلُ أعداءه فتذمه رقابهم والبيت ينظر إلى قول العكوك:

وما مددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أحدٍ
إلّا قـضيـت بـأرزاق وآجـال[36]

وبهذا البيت احتج المأمون في قتل العكوك فإنه لما سمع قوله في أبي دُلـف:

كل ما في الأرض من عـرب
بـيـن بـاديـه ومـحـتـضـره
مـسـتـعـيـرٌ مـنـه مـكـرُمَـةً
يـكـتـسـيـهـا يـوم مـفـتـخـره

(35) المنصف: 202.

(36) ديوان العكوك: 66.

أمر بطلبه وكتب لجميع الأقطار بحبسه فحبس وعقل بالشامات وأتي به إليه فقال له كيف تجعلنا نكتسب المكارم من ممدوحك ولكن لم استحلّ دمك بهذا وإنما أستحلّه بقولك: وما مددت مدى طرف البيت. أخرجوا لسانه من قفاه فقتل سنة ثلاث عشر ومائتين.

35 ـ طاعن الفرسان في الأحداق شَزْراً
وعجاجُ الحرب للشمس نِقابُ

يشبه قول الأفوه الأودي:

تخلى الجماجمَ والأكفّ سيوفنا
ورماحنا بالطعن تنتظم الكلا

36 ـ لما نسبتَ فكنت ابناً لغيرِ أب
ثم اختُبرت فلم ترجع إلى أدب

ألمّ فيه بقول الأول:

ليس له ما خلا اسمه نسب
كأنه آدم أبو البَشر[37]

37 ـ ضروبُ الناسِ عُشّاق ضُروبا
فأعذرهمْ أشفّهمُ حبيبا

هذا البيت ينظر إلى قول سعيد ابن حميد:

قَدْ عشِقْتُ الذي إذا اعتذَر العا
شِقُ فيه فَعذرُهُ مقبولُ

---

(37) المنصف: 579.

38 ـ وَمـا سَكَني سِـوى قتْـل الأعـادي
فَهــلْ مِنْ زورةٍ تَشفي الْقُـلوبـا

يشبه قول طاهر بن الحسين:

أَطْيبُ الـطيبـاتِ قتـلُ الأعـادي
واختيـالي عَلَى متـونِ الْجيـادِ

39 ـ شَـديـدُ الـخُنْـزُوانـةِ لا يُبـالي
أصـابَ إذا تـنمّـر أو أُصيبـا

البيت من قول سعد بن ناشب المازني:

إذا هم لم يَـرْدَعْ عـزيمـة همّـه
ولم يأت ما يأتي من الأمر هائبا[38]

وكأنه أيضاً من قول عباس بن مرداس:

أكـرُّ عـلى الكـتيبـة لا أبـالي
أحتفي كـان فيهـا أم سـواهـا[39]

40 ـ كـأن الـفـجْـرَ حِـبٌّ مسـتـزارٌ
يُـراعـي مِـنْ دُجُـنَّتِـه رَقـيبـا

البيت ينظر إلى قول الأول:

وقـد لاح للساري سـهيـلٌ كـأنـه
على كلّ نجم في السماءِ رقيبُ

وقول ابن المعتز:

---

(38) الحماسة 1: 73 وهو برواية أخرى منسوباً إلى مالك بن الريب في المنصف: 608.

(39) المنصف: 608.

في ليلةٍ ما راعني فيها سوى
شبه النجوم كأعين الرقباء[40]

وزاد عليهما أبو الطيب ذكر الحب فجاء بيته أكمل.

41 ـ أقلّبُ فيه أجفاني كأنّي
أعدُّ به علَى الدّهرِ الذُّنوبا

هذا يساوي قول بعضهم:

أنا أحصي لك النجومَ ولكن
لذنوب الزّمانِ لستُ بمحصي[41]

42 ـ إلى ذي شيمةٍ شَغَفت فُؤادي
فلولاهُ لقلتُ بها النّسيبا

ينظر إلى قول أبي تمّام:

طابَ فيه المديحُ والتذّ حَتّى
فاقَ وصْفَ الديارِ والتشبيبا[42]

43 ـ قسا فالأسدُ تفزَعُ مِنْ يدَيْهِ
وَرَقَّ فنحنُ نَفزَعُ أنْ يذوبا

قوله ورق إلى آخره ينظر إلى قول أبي تمّام:

فقصرنا دونك الأبصار
خوفاً أن تذوبا[43]

---

(40) ديوان ابن المعتز 2: 13 والمنصف: 608.

(41) لم يرد في المنصف: 609.

(42) ديوان أبي تمام 1: 161. ولم يرد في المنصف.

(43) ديوان أبي تمام ولم يرد في المنصف.

44 ـ أشـدُّ من الـريـاحِ الهـوج بـطشـاً
وأسـرعُ في النّـدَى مِنْهـا هُبـوبـا

ينظر إلى قول أبي تمام:

رياحٌ كريح العَنْبر المَحْضِ في النّدى
ولكنّهـــا يـومَ اللّقـــاءِ زَعـــازِعُ[44]

وقول ابن أبي زرعة:

نَسيمُ الصَّبا للطالب الْعرفِ ريحُهُ
وللكاشحينَ الخُزْرِ نكباءُ عاصِفُ[45]

45 ـ إذا نُـثِـلَـتْ كـنـائـنُـه اسـتـبـنّـا
بــأنـصلِهــا لأنـصـلِهــا نُــدوبــا

ينظر إلى قول الآخر:

نجــلٌ يُتَبِّعْــنَ السهـــام بمِثلِهـــا
فلهنّ مِنْ تحتِ النُّدوبِ نُدوبُ[46]

46 ـ ومـــا ريـح الــريـاض لهـــا ولكن
كَسـاهـا دفنُهمْ في التـربِ طيبَـا

هذا البيت ينظر إلى قول المسيب:

ومـــا المسـكُ تـــربُ مقـامـــاتهم
وتـــربُ قـــبـــورهـــم أطـــيـــبُ

---

(44) ديوان أبي تمام ولم يرد في المنصف.
(45) لم يرد في المنصف.
(46) المنصف: 609.

47 ـ فــلا زالَــتْ ديــارُكَ مُـشــرِقــاتٍ
ولا دانيتِ يــا شمسُ الغــروبــا

عجزه ينظر إلى قول ابن الرومي :

فـيــا بــدراً ينيــرُ بــلا أُفــولٍ
ويا شمساً تضيءُ بـلا غُروبِ(47)

48 ـ لأصبــح آمِنــاً فيــكَ الــرّزايــا
كَمــا أنــا آمِنٌ فيــك العُيــوبــا

هذا البيت ينظر إلى قول بعضهم:

أســالمُ قَـدْ سلمتَ من العيــوبِ
ألا فــاسلَمْ كـذاك من الْخُـطوب

49 ـ الــطيــب ممّــا غــنيــت عنــهُ
كـفـى بـقــرْبِ الأمـيــرِ طـيـبــا

يقرب من قول ابن الرومي :

فتى لا يعدّ الطيبَ ضربَةَ لازبٍ
ولـكنّــهُ مـنْ نَـفْسِــه مـتـعَـطّرُ

50 ـ إذا نــظر الــبــازُ فــي عِــطفِــهِ
كستْــهُ شُعــاعــاً على الـمنكِبِ

ينظر إلى قول أبي نواس:

يـقـلّب طــرفــاً طَــحُــور الْـقَــذَى
يُضيءُ . . . . خَدّه

(47) البيت لابن الرومي. الديوان 1: 224.

51 ـ أعيدوا صباحي فهْوَ عند الكـواعبِ
وردّوا رُقادي فهو لحظ الحبـائبِ

هذا البيت بجملته في عجز بيت أبي تمام:

قرى دارهم مني الدموعُ السوافِكُ
وإن عادَ صبحي بعدهم وهو حالِكُ

52 ـ فـإن نـهـاري لـيـلةٌ مـدلـهـمّـةٌ
على مُقلةٍ من فقدكم في غياهِبِ

البيت ينظر إلى قول أبي تمّام:

عـــادتْ لَـــهُ أيـــامُـــهُ مـســـوَدّة
حـتّـى تـــوَهّـمَ أنـهـنّ لـيـالـــي

وإنما أخذه أبو تمّام من قول الآخر:

صبّتْ عليّ مصـــائبٌ لَـــوْ أنّهـــا
صُبّتْ على الأيـام عُـدْنَ لَيـالِيـا

53 ـ تخـوّفني دون الـذي أُمـرَتْ بـه
ولم تدرِ أنّ العارَ شرُّ العواقبِ

ألمّ فيه بقول القائل:

ومـــوتٌ لا يـكـــونُ عـليّ عـــاراً
أحـــبّ إلـــيّ مـــن ذُعـــاقِ

54 ـ إليّ لعمـــري قصْـدُ كـــلّ عجيبَـــةٍ
كأنّي عجيبٌ في عيونِ العجائبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

على أنها الأيامُ قـد صرْنَ كلّهـا
عجائبَ حتّى ليسَ فيها عَجـائبُ

55 ـ فقَـدْ غيّبَ الشُّهّادَ عَنْ كـلّ موطنٍ
وَرَدَّ إلَى أوْطـانِـه كـلَّ غـائب

هذا مليح، فأما مسلم فإنه يقول:

نفَضَتْ بـهِ الآمـالُ أَحْلَاسَ الْعَنا
واسْتـرجعَـتْ نُـزّاعَهـا الأَمْـصـارُ

56 ـ رَمَـوا بنـواصيهـا القِسِي فجُبْنَهـا
دوامي الهوادي سالماتِ الجوانبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

مسلّمـةٌ في الحربِ أكفـالُ خيلِنا
ودامـيـةٌ لبّـاتُـهـا وصـدورُهـا

57 ـ أولئـك أحْلى من حيـاةٍ معـادَةٍ
وأكثـر ذكـراً من دهـور الشبـائب

ينظر إلى قول بعضهم:

ذكـرتـك ذكــرة جـذبت ضلوعي
إليــك كـأنّهــا ذكــرى تصــابي

58 ـ وحقّ لـهُ أن يسبقَ النّاسَ جـالسـاً
ويُدركَ ما لم يُدْركوا غيـرَ طالِبِ

ينظر إلى قول ابن الرومي:

تــطاولَ أمـلاكٌ وقصّــر جهـدهم
ونالَ الثرَيّـا عفوه وهـو جالِسُ[48]

---

(48) ديوان ابن الرومي 3: 1224.

وقال آخر:

أَتَـرْجـو أَنْ تُـــدانِي سَـعْيَ قـومٍ
وهُـمْ سَبَقـوا أَبــاكَ وهُـمْ قُـعــودُ

وقال ابن الحاجب:

مـا نالَ من شـرفٍ رئيسٌ قـائمـاً
مـا نـالَـه بنـدى يــديـهِ قـاعِـدا

59 ـ ويُحْــذَى عــرانينَ المـلوكِ وإنّهــا
لِمنْ قـدمَيْـه في أجـلّ المـراتبِ

هذا من قول كثير:

وَسَعى إليّ بعيبِ عــزّةَ نــســوةٌ
جعـلَ الإلَـهُ خــدودهنّ نِعـالَهــا

60 ـ يــدٌ للزّمـان الجمــعُ بيني وبينَــهُ
لتفــريقــهِ بيني وبــين النّــوائبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

إذا العيشُ لاقتْ بي أبا دُلفٍ فقَدْ
تقــطّعَ مــا بيني وبين النّــوائِبِ

61 ـ يرى أن ما مـا بانَ منـك لضاربٍ
بـأقتـلَ ممّـا بـان منــكَ لعـائبِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

فَتىً لا يـرى أنّ الفريصـةَ مقتلٌ
ولكن يـرى أنّ العُيوبَ المقـاتِـلُ

62 ـ ألا أيّهـا المـالُ الـذي قـد أبــادَهُ
تعــزّ فهــذا فـعلُه بــالـكتــائـب

يشبه قول بعضهم:

فعلتْ بمـالِكَ فيـهِ كفّـكَ مثلَمـا
فعلتْ سيوفُكَ في الـطّلا والهامِ

63 ـ حمـالـة ذا الحُســام على حُسـامٍ
وموقع ذا السّحـاب على سحاب

صدر البيت من قول ابن الرومي:

سيفٌ ترداه سيف غير ذي طبَعٍ
كأنما الـرُّمحُ يمشي في حمـائلِهِ

وعجزه من قول البحتري:

سقى جوده جود السحاب ومن رأى
حيـا مـاطـرٍ تسقيـه ديمـة مـاطِـرِ

64 ـ ومـا ينفَـكُّ منــكَ الـدّهــرُ رَطبـاً
ولا ينفـكُّ غيثُـكَ في انسكــابِ

هذا ينظر إلى قول العكوك:

وحميــدٌ يَجــودُ في كــلِّ حيـنٍ
ولـقَــطْرِ الـنــداء وقـتٌ وحـيــنُ

65 ـ فديناكَ أهْدى النّاسِ سهماً إلى قلْبي
واقتلَهُـمْ للدّارعـينَ بــلا حَــرْب

ينظـر إلى قول عمر بن أبي ربيعة:

بـنـفـسِـيَ مـن أشـتـكـي حُـبَّـه
ومن إن شكـا الحبّ لَمْ يَكْـذِبِ

وَمَــنْ لا ســلاحَ لــه يــتّــقــي
وإنْ هُــوَ قــاتــلَ لــم يـغــلب
66 ـ تفـرّدَ بـالأحكـامِ في أهْلِه الْهَـوى
فأنتَ جميلُ الخلق مستحسنُ الكذب

ينظر إلى قول مسلم:

تكـذبُ في الوعـدِ كلّما وعـدت
حتى صــرتُ أشـتهـي الكــذبــا
67 ـ وإني لممنـوع المقاتـل في الوَغى
وإن كنتُ مبذول المقاتلِ في الحبِّ

ينظر إلى قول أبي دُلـف:

إنّــا بـأسْيــافِنـا نعْلُو أكــابــرَنــا
قهـراً وتقتلُنا الـولْدانُ بـالمُقل[49]
68 ـ لا يـحــزن الله الأميــر فــإنّـني
ســآخــذ من حــالاتــه بنصيــب

هذا البيت ينظر إلى قول أبي تمّام بل منه:

وسألتَ عَنْ حالي فسَلْ عن حالِهِ
دوني فحـالي قـطعـةٌ من حـالِـهِ
69 ـ يـعــز عـليــه أن يـخــلّ بـعــادةٍ
وتـدعـو لأمـرٍ وهْـوَ غيــر مُجيب

ينظر إلى قول الديك في جاريته:

(49) المنصف: 534.

ألاَ تُجيبينَ مَن يدعوكِ باسْمكِ يا
مَنْ كـانَ عـزّ علَيْهـا أنْ أُنـاديهـا

وقال متمم بن نويرة:

وإني متى ما أدع باسمك لا تجب
وكنت حَـرِيـاً أن تُجيبَ وتَسْمَعـا

70 ـ كفى بـصَفـاءِ الـوُدِّ رِقّـاً لـمثلِهِ
وبـالقـربِ منـهُ مفخـراً للبيب

ينظر إلى قول ابن دريد:

حـرٌّ تعبّـدَهُ اصـطنـاعُـكَ عنـدَهُ
ولشـر أحـرارِ الـرجـالِ عبيـدُه

71 ـ علينـا لكَ الإسعـادُ إن كانَ نـافِعاً
بـشقّ قـلوبٍ لا بـشَـقّ جيـوب

أخذه من قول أبي تمّام:

شقّ جيـوباً من رجـالٍ لـو اسطا
عـوا لشَقّـوا مـا وراءَ الْجُيـوبِ

وقال الوأواء:

ليسَ بالحزنِ أن تشقّ جيـوبٌ
إنّما الحزْنُ أن تشقّ الصّـدورُ

وأنشد ابن الرومي لنفسه:

ومِنْ دونِ ما ألقاهُ من لوعةِ الهَوَى
تُشقُّ جيـوبٌ بَـلْ تُشـقُّ قُلوبُ

72 ـ إذا استقبلتْ نفسُ الكريم مُصابَهـا
بُخْبثٍ ثَنتْ فـاستـدبـرتْـهُ بـطيبِ

ينظر إلى قول عبد الصمد بن المعذل:

دللت نفسي لـروعـات الـردى
وفجعـات البيْن حَتّى ما تـروع (؟)

ويشبه قوله:

وهـا أنـا مـا أبـالي بـالـرّزايـا
لأنّي مـا انتـفعـت بـأنْ أُبـالي

73 ـ فَـدَيْناكَ مِنْ ربـعٍ وإن زدتَنا كَـرْبا
فإنّكَ كنتَ الشّرقَ للشمسِ والغربا

سلك أبو الطيب مسلك أبي نواس:

ترى حيثُما كانتْ من البيتِ مشرقا
وما لم تكنْ فيهِ من البيتِ مغربا

74 ـ نـزلْنـا عنِ الأكـوارِ نَمشي كـرامَـةً
لمَنْ بـانَ عنـهُ أن نلمَّ بـهِ رَكْبـا

ينظر إلى قول أبي تمام:

دارٌ أجلّ الهوى عن أن ألمّ بها
فـي الـرّكب إلاّ وَدَمْعي مِنْ مَنائِحِهـا

75 ـ ومن صحب الـدنيا طـويـلاً تقلّبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا

كقول الحكيم: ترداد حركات الملك تحيل الكائنات عن حقائقها.

76 ـ وخلّى العَـذارَى والبطارِقَ والقُـرى
وشُعْثَ النّصارى والْقرابينَ والصُّلْبا

ينظر إلى قول أبي تمام:

أحْذَى قرابينَهُ صرْف الرّدى ومضَى
يحتث أنْجى مطاياهُ على الهَرَبِ

77 ـ ويختلفُ الـرّزقـانِ والفعـلُ واحـدٌ
إلى أنْ تَرى إحسان هذا لذا ذنبا

هذا من قول ابن دريد:

أرى السّببَ المدني السَّعيدَ إلى الغِنى
بـهِ يمنـعُ المـرءُ الشقي ويُحْـرَمُ

78 ـ تصُـدّ الريـاحُ الهوجُ عنهـا مخافـةً
وتفزَعُ فيها الطيرُ أن تلقطَ الحَبّا

ينظر إلى قول الآخر:

وكـانتْ لا يـطيـرُ الـطيْـرُ فيهـا
ولا يـســري بهــا لـلجنِّ ســار

79 ـ لأمــرٍ أعـدّتْـه الخـلافَـةُ للعِـدى
وسمته دون العالم الصارم العَضْبا

يجانس قول مسلم:

حـاطَ الخِلافةَ سيفٌ مِنْ بني مُضرٍ
أقـامَ قـائمُـه مَنْ كـانَ ذا ميـل

80 ـ ولكن نفـاهـا عنـه غيـر كـريمـةٍ
كريم الثّنا مـا سُبّ قطّ ولا سَبّا

[مأخوذ] مما أنشده أبو تمّام في حماسته:

يـا أيُّهـا المُتَمنّي أن يكـونَ فتىً
مِثْلَ ابنِ زيدٍ لَقَدْ خَلّى لك السُّبُلا
اعــدُدْ ثلاثَ خلالٍ قد عرفن به
هل سَبّ مِنْ أحدٍ أو سُبّ أو بخِلا

وفيما أنشده أبو تمام زيادة وهي نفي البخل عن ممدوحه.

81 ـ وإن كـــان ذنبي كـلّ ذنبٍ فـــإنّـه
محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

من قول الأول:

إذا اعتذرَ الجاني محا العذْرُ ذنبَهُ
وكلُّ امرىءٍ لا يقبَلُ العُذْرَ مذنِبُ

82 ـ وكَيْفَ تَنــوبُــكَ الشّـكْــوى بـــداءٍ
وأنتَ المستـغــاثُ لِمــا يَـنــوبُ

ينظر إلى قول بعضهم:

وأنتَ طبيبٌ للخـطوب فـداوهــا
إذا حــدثت أدواؤهـــا بـــدوائهـــا

وقد أخذه من قول جرير:

إذا مــرضــت قلوبـهم شـفــاهــا
نِـــطاســيٌّ بـــدائـهــمُ طـبـيــبُ

وقد أخذ منه أيضاً أبو تمّام:

كـان داءَ الإشـراك سيفُـك واشـ
ـتدّت شكاةُ الْهُـدى فكُنْتَ طبيبا

84 ـ فـقـرّظـهـا الأعـنّـة راجـعـاتٍ
فـإنّ بعيـدَ مـا طلبت قـريـبُ

من قول بعضهم:

تـرى بعيـد الشيء كـالقـريب

84 ـ بسيفِ الـدولـةِ الـوَضّـاءِ تُمسي
جُفـوني تحتَ شمسٍ مـا تغيبُ

عجزه من قول البحتري:

كـالـبـدرِ إلّا أنهـا لا تـجتـلي
كـالشمس إلّا أنـهـا لا تغْـرُبُ

85 ـ ولـلحسّـادِ عـذرٌ أن يـشـحّـوا
على نَـظَري إليـه وأنْ يـذوبـوا

ينظر إلى قول بعضهم:

واعذر حسودَك فيمـا قد حكاهُ لَنا
إنّ العُلا حسنٌ في مثلِها الحسَدُ

86 ـ فـإنّـي قَـدْ وصلتُ إلـى مـكـانٍ
عليـهِ تحسـدُ الْحـدَقَ الـقلوبُ

من قول بعض الأعراب:

أنـافس من ناجـاك مقـدار لفـظة
ويعتـادُ نفسي إن نـأيْتَ حنينُهـا

وإن وجوهاً تصطفيها بنظرة
إليكَ لمحسودٌ عليكَ عيونُها

87 ـ وما تركوكَ معْصيةً ولكنْ
يُعافُ الورْدُ والمَوْتُ الشّرابُ

ينظر إلى قول القائل:

كهجْرِ الحائماتِ الورْدَ لمّا
رأَتْ أنّ المنيةَ في الوُرودِ
تفيض نفوسُهمْ غمّاً وتخْشَى
حِماماً فهْيَ تنظر منْ بَعيدِ

88 ـ فقاتَلَ عن حريمهم وفَرّوا
ندى كفيّكَ والنّسبُ القُرابُ

ينظر إلى قول منصور النمري:

عطفتَ بأحلام الملوك وناشَدَتْ
لهم رحمٌ ما زلْتَ منْها ترمّم

89 ـ تُكَفكِفُ عنْهُمُ صمّ العوالي
وقدْ شرِقَتْ بظُعْنِهِم الشّعابُ

ينظر إلى قول بعضهم:

رددت القَنا ظمْآنَ عنهم وأُغمِدتْ
على جفْنِها بيضُ السُّيوفِ الْبواتِرِ

90 ـ وليسَ مصيرُهنّ إليكَ شيناً
وَلا في صونهنّ لديْكِ عابُ

ينظر إلى قول النابغة الذبياني:

قَــدْ عيّــرتْني بَنــو ذبْيــانَ خشْيَتَــهُ
وهــل علي بأن أخشــاهُ منْ عار

91 ـ وكيفَ يتمُّ بأسُكَ في أُنـاسٍ
تُصيبُهُمُ فيؤلمــكَ الـمُصــابُ

من قول منصور النمري في الرشيد وبني علي:

ومــا بطشتْ كفّــاكَ منهُمْ بمُذْنبٍ
بــطشْتَ بِــهِ إلاّ وقَلْبُــكَ يــألَمُ

92 ـ وإنّــهُمُ عــبيــدُك حيــثُ كــانــوا
إذا تَــدْعــو لحــادثــةٍ أجــابــوا

ينظر إلى قول ابن أبي عيينة:

ومِنْ قحـطانَ كُـلُّ أخي حفــاظٍ
إذا يُــدْعــى لــحــادِثــةٍ أجــابــا

93 ـ وجُــرْمٍ جَــرّهُ سُــفــهــاءُ قــومٍ
وحَــلَّ بغَيْــرِ جــارِمِــهِ العــذابُ

ينظر إلى قول امرىء القيس:

وَقــاهُــمْ جَــدّهُــمْ بِبَـنـي أَبيــهــمْ
وَبــالأَشْـقَيْـنَ مــا كــانَ ٱلْعَــذابُ

ومثله لغيره:

رأيتُ الحــرْبَ يَجْنيهــا رِجــالٌ
ويَــصْــلَى حَــرَّهــا قَــوْمٌ بَــراءُ

94 ـ فـمـسّــاهُــمْ وبُـسْــطهُــمُ حــريــرٌ
وصَبّــحهُــمْ وبُــسْــطهُــمُ تــرابُ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

راحــوا مُــلوكــاً ضِــرابـكُــم
يومَ الوغى خـولاً للأَعْبُـد الخول

95 ـ ومـن فـي كـفّـه مـنـهـم قـنـاةٌ
كمَنْ في كفّـه مـنهـم خِضـابُ

من قول زهير بن أبي سلمى:

ومــا أدْري وسوْف إخــالُ أدري
أقــومٌ آلُ حــصــنٍ أم نِــســاءُ

ومنه أخذ أيضاً مسلم قوله:

بـوجـوه لا يعــرف العتق فيهـا
وصــدورٍ فـيهــا قـلوب النّســاء

96 ـ أجـلُّ قـدركِ أن تسمي مؤبّنـةً
ومن يصفْـكِ فقد سَمّـاكِ للعربِ

ينظر إلى قول ابن الرومي:

يــا مَنْ إذا نــاديتُــه بـصفــاتِــهِ
دونَ اسمِـهِ بـالغتُ في تعــريفِـهِ

97 ـ طَـوى الجزيـرةَ حتّى جـاءَني خبـرٌ
فـزعتُ فيهِ بـآمالي إلى الكَـذِبِ

ينظر إلى قول مسلم:

وأخـادعُ السّمْعَ الـذكي وقد أتى
خــبــر ألـمّ بــصــادِقٍ لا يُــدْفَــعُ

98 ـ ومن مضتْ غير موروث خلائقُها
وإن مضت يدها موروثة النّشَب

ينظر إلى قول ابن الرومي:

ومن كثُرَتْ في مالِهِ شُرَكاؤُه
غَدا في معانيهِ قليلَ المُشارِكِ

99 ـ يعلمْنَ حين تُحَيّا حسن مَبْسِمِها
وليسَ يعلم إلاّ اللَّهُ بالشّنَب

ينظر إلى قول الشاعر:

لا والذي يسجد الأنامُ له
ما لي بما دونَ ثوبِها خَبَرُ
ولا بفِيها ولا هممتُ بهِ
ما كان إلا الحديثُ والنظَرُ

100 ـ وأكرم الناسِ لا مستثنياً أحداً
من الكرامِ سِوَى آبائك النُّجُبِ

من قول النابغة:

ولا أرى فاعلاً في الناسِ يشبهُهُ
ولا أحاشي من الأقوامِ من أحَدِ

101 ـ وعاد في طلب المتروكِ تاركه
إنّا لنغفل والأيّام في طلب

قوله: إنا لنغفل، ينظر إلى قول ديك الجن:

نغفل والأيام لا تغفل
وما لنا من زمن موئل

102 ـ ولا يـعـن عــدواً أنـت قـاهِـرُه
فـإنهنّ يـصِـدْن الصّـقـرَ بـالـخـرَب

قال ابن الرومي:

ما انفكّ تـدبيره يجـري عَلَى مَهَلٍ
حتّى غدا الصقرُ منصوراً على الخرَبِ

103 ـ وطـوعـاً لـهُ وابـتـهـاجـاً بِـهِ
وإن قصّـرَ الفعـلُ عمّـا وجَبْ

ينظر إلى قول ابن المعتز:

يـقـصـر جـهـدي عـن شُـكـرِهِ
ولـسـت أقـصّـر عـن حُـبّـه

104 ـ أزورهُمْ وسـوادُ الليلِ يشفـعُ لي
وأنْثني وبياضُ الصُّبْح يُغـري بي

هـذا البيت صحيح المبنى مليح المعنى ولكنه مـوجود في شعـر عبدالله بن المعتز:

لا تلْقَ إلا بليـلٍ مـن تـواصلُهُ
فـالشمسُ نمّـامـةٌ والليـلُ قـوّادُ

105 ـ أفـدى ظباء فـلاةٍ مـا عـرفْنَ بِهـا
مضغَ الكلامِ ولا صَبْغَ الحواجيب

عاب أبو الطيب مضغ الكلام وغيره يستحسنه ويمدح به النساء لأنه منهن أوقع في النفوس من الفصاحة والإعراب، وقد قال أسماء بن خارجة:

مـنـطقٌ عـاقـل وتلحـن أحيـا
نـاً وخيْرُ الكلامِ ما كـان لَحْنا

106 ـ ومِنْ هَوى كلِّ منْ ليسَتْ مموّهةً
تركتُ لونَ مشيبي غير مخضُوبِ

هذا ينظر إلى قول ابن الرومي:

كـذب الغواني في سَـوادِ عِـذارِه
وكـذبنـه فـي ودهـنّ كـذاكـا

107 ـ ليت الحوادث باعتني الذي أخذت
مني بحلمي الذي أعطت وتجريبي

ينظر إلى قول أبي تمّام:

حـلمَـتْـنِـي بـزَعْـمِـهـمْ وأرانـي
قبـلَ هـذا التّحليم كنتُ حَليمـا

108 ـ فما الحـداثـة من حلمٍ بمـانعـةٍ
قدْ يوجدُ الحِلْمُ في الشبّانِ والشّيبِ

هذا البيت يساوي قول منصور النمري:

ومـا قصّرتْ بـالرأي منـهُ حداثـةٌ
ولا مـنـعَـتْـهُ أن يـقـالَ حَـليـمُ

وقال آخر:

إن الـحـداثـة لا تـقـصـر
بـالـفـتـى الـمـرزوق ذهـنـا
لـكـن تـزكّـي ذهـنَـهُ
فـيـفـوقُ أكـبـرَ منْـهُ سِـنّـا

109 ـ مجـرّبـاً فهمـاً من قبـلِ تجـربَـةٍ
مهـذّبـاً كَـرمـاً من قبـلِ تهـذيب

ينظر إلى قول ابن الرومي:

حازم الرأي ليسَ عن طول حزم
ولبيبٌ وليس عن تَلْبيبِ

110 ـ كأنّ كل سؤالٍ في مسامِعِه
قميصُ يوسف في أجفان يعقوبِ

هذا البيت مأخوذ من قول الوائلي:

كأن كل سؤالٍ في مسامِعِه
قميص يوسف في أجفان والدِهِ

111 ـ إذا غزته أعاديهِ بمسألةٍ
فقدْ غزتْهُ بجيشٍ غير مَغْلوبِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشرٍ
أغارتْ عليهِ فاحتوته الصّنائع

112 ـ أضرتْ شجاعتُه أقْصى كتائبِهِ
على الحمامِ فما موتٌ بمرهوبِ

ينظر إلى قول العكوك:

فتىً علّمَ الإعطاءَ كل مبخّلٍ
وإقدامَ يوم الرّوْع كلّ جبانِ

113 ـ بلى يروع بذي جيشٍ يجدّلُهُ
ذا مثلِهِ في أحَمّ النّقع غربيبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

غـاديتهم بـالمشـرقين بـوقعـةٍ
صـدعتْ صواعقُهـا جِبالَ الـرُّومِ

114 ـ يـهْـوِي بمنجـردٍ ليست مـذاهِبُـه
للبس ثـوبٍ ومـأكـول ومشـروب

من قول امرىء القيس:

ولـو أنمـا أسعى لأدنى معيشـةٍ
كفاني ولم أطلُبْ قليلٌ من المالِ
ولكنمـا أسعى لمجـدٍ مؤثّـلٍ
وقدْ يُدركُ المجْدَ المؤثّلَ أمثـالي

115 ـ حتّى وصلْتَ إلى نفْسٍ محجَّبَـةٍ
تلْقى النفوسَ بفضْلٍ غَير محجوبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

من البيضِ محجوبٌ عن السّوءِ والْخَنا
ولا تحجبُ الأنواءَ من كفّه الحُجْبُ

116 ـ وكيف أكفرُ يـا كـافـورُ نعمتَهـا
وقَـدْ بلغْنكَ بي يـا كلّ مـطلوبِ

مأخوذ من قول أبي نواس:

وإذا المـطي بنـا بلغْنَ محمّـداً
فـظهورهنّ على الـرّجـالِ حَـرامُ
قرّبْنَنا مِنْ خيرِ مَنْ وطىء الحصى
فـلهـا علينـا حُـرْمـةٌ وذِمـامُ

117 ـ أنتَ الحبيبُ ولكنّي أعوذُ بهِ
من أن أكونَ مُحِبّاً غَيْرَ مَحْبوبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

كم من عدوٍّ قال لي متمثّلاً:
كَمْ من وَدودٍ ليسَ بالْمَوْدودِ(50)

وقال غيره:

ومن الضيم في هوى البيضِ عِنْدي
أن يودّ الإنسانُ مَنْ لا يوَدّه

118 ـ أغالِبُ فيكَ الشّوقَ والشّوقُ أغلبُ
وأعجبُ من ذا الوصلِ والهجرُ أعجبُ

صدر هذا البيت من قول الخبزرَزّي:

أغالبُ فيكَ الشوق والشوقُ غالِبي
وأكتمُ ما بي عن خليلٍ وصاحِبِ

119 ـ ويومٍ كليل العاشقينَ كمنتُهُ
أراقبُ فيه الشمسَ أيانَ تَغْرُبُ

من قول ابن المعتز:

أدهم مصقول سواد الجسم
قد سمدت جبهته بنجم

120 ـ وأخلاق كافورٍ إذا شئتُ مدحَهُ
وإن لم أشأ تملي علي وأكتبُ

---

(50) ديوان أبي تمام 1 :391 وفيه: ولكم عدوٌّ.

ينظر إلى قول ابن الرومي:

فلقد وجدتُ لِمَنْ مدحتُ مآثِراً
مِنْ مثلِها يفْنى المديحُ وينسخُ

فجميـع مـا حليتُـه من منـطقٍ
حسنٍ فمِنْ أفعـالِـهِ مُسْتسلخُ

121 ـ إذا تـركَ الإنـسـانُ أهـلاً وراءَهُ
ويمّمَ كـافـوراً فـمـا يتغـرّبُ

ينظر إلى قول البحتري:

ومـثـل نـداك أدهلني خـليـلي
وأكْسَبَنـي سـلوّي عـنْ بـلادي

122 ـ تـزيـدُ عـطايـاهُ على الغيثِ كثـرةً
وتلبث أمـواه السّحـابِ فتنضبُ

ينظر إلى قول أبي تمام:

ثم انصرفْتَ ولم تلْبَثْ وقَدْ لبِثَتْ
سَماءُ عذْلِكَ فيهِمْ تُمطِرُ الدّيَما

123 ـ أحنّ إلى أهْلي وأهـوى لقـاءهُمْ
وأينَ من المشتـاقِ عنقاءُ مُغْـرِبُ

عجزه من قول الحارث:

تـقـطّعـت الأرحـامُ إلاّ أقَـلّهـا
وطارتْ بذاكَ الـوُدِّ عنقاءُ مُغْـرِبُ

124 ـ فإن لم يكن إلاّ أبو المسكِ أوْهم
فـإنّكَ أحلى في فؤادي وأعـذَبُ

هذا البيت من قول البحتري:

أأتّخذُ العراقَ هوىً وداراً
ومَنْ أهواهُ في أرض الشآمِ

فلولا عزّةُ الملِكِ المرَجّى
لآثرتُ الْمَسيرَ على المُقامِ

125 ـ وكل امرىءٍ يولي الجميلَ محبّبٌ
وكلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزّ طيّبُ

صدر هذا البيت من قول ابن أبي القين:

ومحبّبينَ إلى القلوبِ سَماحةً
إنَّ الكريمَ إلى القُلوب مُحبّبُ

126 ـ وأظلَمُ أهلِ الظّلْم مَنْ باتَ حاسِداً
لمن باتَ في نعمائِه يتقلّبُ

هذا البيت ينظر إلى قول ابن الرومي:

. . . .
من بتُّ في نعمائه أتقلّبُ

127 ـ وكنت له ليث العرين لشبلِهِ
ومالك إلاّ الهندواني مخلب

عجزه ينظر إلى قول البحتري:

كالليث إلا أن هذا ضاربٌ
بمهنّدٍ ذكرٍ وذاك بمخْلَبِ

128 ـ لقيت القنا عنهُ بنفسٍ كريمةٍ
إلى الَموْتِ في الهيجا من العارِ تهربُ

ينظر إلى قول العكوّك:

فَتىً يتّقي مـأثورَ مـا يتّقي الفَتى
ويغْشى الْمَنـايـا والـرّمـاحُ دوامي

129 ـ وقـد يتركُ النّفس التي لا تهـابُـهُ
ويـختــرم الـنّفسَ الـتي تـتهـيّبُ

ينظر إلى ما أنشده معاوية في بعض بني:

كـأنّ الـجـبـانَ يَـرى أنّـهُ
يـدافِـع عـنْـه الفـرارُ الأَجَـلْ

فقـدْ تُـدرك الحـادثـاتُ الجبـانَ
ويسلمُ منهـا الشجـاع البَـطَلْ

130 ـ ويُغنيـكَ عمّـا ينسب النـاسُ أنّـه
إليـكَ تناهى المكـرمـاتُ وتنْسبُ

هذا من قول عامر بن الطّفيل:

فمـا سَـوّدتنـي عـامِرٌ عن وراثَـةٍ
أبى اللّهُ أن أسْمـو بـأمٍّ ولا أبِ

131 ـ فشـرّق حتّى ليسَ للشّرقِ مشـرقٌ
وغرّب حتّى ليس للغربِ مغـرِبُ

ينظرُ إلى قول أبي تمّام:

وغرّبْتُ حتى لم أجِدْ ذكرَ مغربٍ
وشرّقتُ حتّى قد نسيتُ المغـارِبا

132 ـ إذا قلتُـهُ لَمْ يمتنِـعْ مِنْ وُصُـولِـهِ
جـدارٌ مُعَلّى أو حِبـاءٌ مـطَنّبُ

ينظر إلى قول ابن الجهم:

فسارَ مسيرَ الشمسِ في كلّ بلدةٍ
وهبّ هبوبَ الريحِ في البَرِّ والبَحْرِ

133 ـ ليـاليَ عنْـدَ البيضِ فَـوْدَايَ فِتنـةٌ
وفخـرٌ وذاكَ الفَخْرُ عنـديَ عـابُ

هذا معكوس قول بعضهم:

أصبحتُ شيخـاً له صمتٌ وأبهـةٌ
يـدعونني البيضُ عمّـاً تـارة وأبـا
وتلكَ دعــوةُ إجـلالٍ وتكــرمــةٍ
وددت أني معتــاضٌ بـهــا لَقَبــا

134 ـ جَلا اللّونَ عنْ لونٍ هدى كلّ مسلكٍ
كما ٱنجابَ عن ضوءِ النهار ضَبابُ

ينظر إلى قول الفرزدق:

والشّيبُ ينهضُ في الشّبابِ كأنّـهُ
ليــلٌ يصيــحُ بجــانبيــه نـهــارُ

135 ـ وإنّي لنجمٌ تهتـدي صحبتي بِـهِ
إذا حالَ من دون النجوم سَحابُ

ينظر إلى قول ابن دريد:

لــم يـهــدِهِ الـنّجــم ولـكــنــه
بسَيْــره نجم الـهُــدى مقْتَــدي

136 ـ غَنِي عن الأَوْطــان لا يستفــزُّني
إلى بلدٍ ســافرتُ عنــهُ إيــابُ

ينظر إلى قول علي بن الجهم:

لا يمنعنّك خفض العيشِ تطلبه
نـزوع نفسٍ إلى أهــل وأوطـانِ
تلقى بكـلّ بـلادٍ إن حللتُ بِهـا
أهـلاً بـأهـلٍ وجيـرانـا بجيـران

137 ـ تـركنا لأطـراف القنـا كـلّ شهـوةٍ
فـليسَ لَـنـا إلّا بـهـنّ لـعـاب

ينظر إلى قول الأول في عامر ابن الطفيل:

ولاعبَ أطـرافَ الأسنّةِ عـامِـرٌ
فصـارَ لـهُ حظ الكتيبـة أجمـع

138 ـ أعزّ مكانٍ في الدّنا سرج سابـحٍ
وخيـر جليسٍ في الزمـان كِتـابُ

ينظر إلى قول الجاحظ:

نعْمَ المحـدّث والجليسُ كِتـابُ
تلهـو بِـهِ إن خـانـكَ الأحبـابُ
لا يـفشـين سـرّاً إذا حـدثـتَـهُ
ويفـادُ منـهُ حـكمـةٌ وصَـوابُ

ولابن المعتز:

جـعـلْتُ كـتـبي أنـيسـي لأنـي
لـستُ أرضـى إلّا بكــل نَـفيس

139 ـ تجـاوز قـدْرَ المـدحِ حتى كـأنّـه
بـأحسن مـا يُثنى عليـهِ يعـابُ

ينظر إلى قول البحتري:

جلّ عن مذهب المديح فقد كا
دَ يصيرُ المديحُ فيهِ هجاء

وقال الخبزرزي:

من كان مادح من كانت فضائله
تقابلُ المدحَ فَضْلاً فَهْو هاجيه

140 - وأكثرُ ما تلْقى أبا المسكِ بذلةً
إذا لم تصن إلّا الحديدَ ثيابُ

ينظر إلى قول أبي المعتصم:

يصانُ إلّا عن ظُبا
الْبيضِ وأطرافِ الْقَنا
وصونُها مبتَذَلٌ
للموتِ في يومِ الْوَغى

141 - أيا أسَداً في جسمِهِ روحُ ضَيْغمٍ
وكم أسُدٍ أرواحهنّ كِلابُ

مأخوذ من قول أبي تمام:

أسرى بنو الإسلام فيهِ وأدْلَجوا
بقلوبِ أسدٍ في صدور رِجالِ

142 - لنا عند هذا الدّهْر حق يلطُّه
وقد قلّ إعتابٌ وطالَ عِتابُ

من قول أبي العتاهية:

إذا استعتب المرءُ الحوادث لم يَجدْ
لمسْتَعْتِبٍ عنْدَ الحوادثِ إعْتابا

وأصل هذا من قول أبي ذؤيب:

أمِنَ المَنونِ وريبِها تتوجّعُ
والدهّرُ ليسَ بمعتبٍ من يَجْزَعُ

144 ـ ولا ملك إلاّ أنت والملْكُ فَضْلَةٌ
كأنّكَ سيفٌ فيهِ وهو قُرابُ

ينظر إلى قول مسلم:

وإني وإسماعيلَ يوم وداعِهِ
لكا لِغمْدِ يوم الرّوعِ فارقه النصْلُ

145 ـ وفي النّفْسِ حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ
سكوتي بيانٌ عندَها وخطابُ

ينظر إلى قول العرزمي:

وإذا طلبتَ إلى كَريمٍ حاجةً
فلُقيهُ يَكْفيكَ والتسليمُ

وقول الآخر:

أروحُ بتسليمٍ عليكَ وأغتدي
وحسبُكَ بالتسليمِ مِنّي تقاضِيا

146 ـ وإنّ مديحَ الناسِ حقٌّ وباطِلٌ
ومدْحُكَ حقٌّ ليسَ فيهِ كِذابُ

هذا البيت يشبه قول أبي القين:

إذا قـال فيهم مادِحٌ قـالَ صادقـاً
وما كلُّ ذي مدْحٍ إذا قالَ صادِقا

وقال ابن دريد:

إذا مـادِحٌ أثنى عـليـك فـإنّـه
يقـول ولـو أرْبى بمـا يتقـولُ

147 ـ إذا نلتُ منك الوُدّ فـالكـلُّ هَيّنٌ
وكـل الذي فـوقَ الترابِ تـرابُ

من قول الأول:

لكـل اجتمـاع من خليلين فـرقـةٌ
وكـلّ الذي فـوق الترابِ تُـرابُ

148 ـ ومـا كنت لولا أنت إلّا مهـاجـراً
لـه كـلّ يـومٍ بلدةٌ وصِحـابُ

من قول أبي البصير:

يـا فتـحُ دعـوةَ بـائـعٍ أوطـانَـهُ
بـذراك لـولا أنت لم يـتغـرّب

149 ـ ولكنّـك الـدنيـا إليّ حَـبيبَـةٌ
فمـا عَنْكَ لي إلّا عليْـكَ ذهابُ

يشبه قول القائل:

روحي وقلبي في يـديـك وإنّمـا
أنت الحيـاة فأينَ عنـك المَهْرَبُ

150 ـ لا جـزعـاً بـل أنـفـاً شـابَـهُ
أن يقـدرَ الـدّهْـرُ على غَضْبِـهِ

ينظر إلى قول البحتري:

ما كنتُ أحسبُ أنّ بَحرك يُرْتَقى
بالنّائباتِ ولا حِماكَ يُرامُ
قَدَرٌ عَدَتْ فيه الحوادث طورَها
وتجاوزت أقدارَها الأيّامُ

151 ـ وإنّ من بغدادُ دارٌ لَه
ليس مقيماً في ذرى عَضبِهِ

ينظر إلى قول الحصني:

وقوفُكَ تحتَ ظِلال السيوف
أقر الخلافة في دارِها

152 ـ لا بدّ للإنسانِ من ضَجْعةٍ
لا تقلبُ المضجع عن جَنْبِهِ

يقرب من قول أبي تمّام:

أنوحَ بن عمرو إن ما حُمّ واقِعٌ
وللأجْنُبِ المسْتَعْلَياتِ مصارِعُ

وقال مسلم:

فاصعَدْ إلى الغرفاتِ يومُكَ واقعٌ
بالشّامِتِينَ لِكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

وقال البحتري:

هجود لم يسل بهم حفي
ولم تقلبْ لضجعتهم جُنوب

153 ـ أستغفر اللَّهَ لشخصٍ مَضى
كانَ نداهُ منتهى ذنْبِهِ

سلك فيه أبو الطيب مسلك النابغة في قوله:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سيوفهم
بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

فجعل عيب السيوف من قراع الكتائب كما جعل أبو الطيب ندى المتوفاة ذنْبَها.

154 ـ يريد من حب العلى عيشه
ولا يريد العيش من حُبّه

ينظر إلى قول الحمّاني:

لولا الصنائع لم أحفِلْ متى هتفت
باسمي المنون ولولا الخرد العينُ

155 ـ يحسبُهُ دافنُهُ وحدَهُ
ومجدُهُ في القبْرِ من صَحْبِهِ

من قول زياد الأعجم:

إن السّماحةَ والمروءَةُ ضُمّنا
قَبْراً بمروٍ على الطريق الواضِحِ

156 ـ ومَنْ بنوه زين آبائهِ
كأنّها النّورُ على قُضْبهِ

قوله كأنها النّور على قضُبه ينظر إلى قول أبي تمام:

لمّا رأى أدباً في غيْرِ ذي كرمٍ
قد ضاعَ أوْ كرماً في غيرِ ذي أدبِ

سما إلى الرتبـة العلياء فـاجتمعا
في فعله كـاجتمـاع النّـوْرِ والعُشُبِ

157 ـ مـا كان عنـدي أن بـدرَ الـدّجى
يــوحشــه المفقــود من شهـبِــهِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

كــأن بني نبهـان يــوم وفــاتِــهِ
نجومُ سماءٍ خـرّ مِنْ بينها البَـدْرُ

158 ـ ولـم أقــل مـثلَك لأعـنــي بِــهِ
ســواك يــا فــرداً بِــلا مُـشْبِــهِ

ينظر إلى قول البحتري:

متى كان يأبى قدره أن يرى لـه
شبيـه مسـاوٍ أو نـظيـرٌ مشــاكِـلُ

ـ 3 ـ

توقيفات المنصور السعدي
(اختياراته)(*)

- ولَكَ الزمانُ من الزّمانِ وقايةٌ
ولك الحِمامُ من الحِمام فِداءُ

- وهبني قلتُ هذا الصُّبحُ ليلٌ
أَيَعْمى العالمونَ عن الضياء

- شَغَلْتَ قَلْبي بلَحْظِ عَيْني
إليكَ عَنْ حُسْن ذا الغِناءِ

- إنَّ القتيلَ مضرّجاً بدُموعِهِ
مثْلُ الْقَتيلِ مُضَرّجاً بِدِمَائِهِ

- المَوْتُ أَعْذرُ لي والصَّبْرُ أَجْمَلُ بي
والبَرُّ أوسعُ والدُّنْيا لِمَنْ غَلَبا

- أرى كُلّنا يبغي الحياةَ بِسَعْيِهِ
حَريصاً عَلَيْها مُسْتهاماً بِها صَبّا

- ضُروبُ النَّاسِ عُشّاقٌ ضُروباً
فأعذرهم أشفُّهُمُ حَبيبا

(*) آثرنا جمع الأبيات التي وقف عليها المنصور في هذه النسخة لما قد يكون لها من دلالة على ذوق المنصور واتجاهه.

- وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأحِبّة قَبْلَنَا
وَأَعْيا دواءُ الْمَوْتِ كُلّ طَبيبِ
- فربّ كئيبٍ ليسَ تَنْدى جُفونُهُ
ورُبّ كثير الدَّمْعِ غَيْرُ كئيب
- وفي تعبٍ مَنْ يحسُد الشمسَ نورَها
ويجْهَدُ أَنْ يأتي لَها بضَريب
- وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لنا
فؤاداً لِعرْفان الرُّسوم وَلاَ لُبّا
- نَزَلْنا عن الأَكْوارِ نمشي كرامَةً
لِمَنْ بانَ عَنْهُ أن نُلِمّ به رَكْبا
- أَيَدْري ما أرابَكَ مَنْ يُريبُ
وَهَلْ تَرْقى إلى الْفَلَكِ الخطوبُ
- يهزُّ الجيشُ حولَكَ جانبيه
كما نَفَضتْ جَناحَيْها العُقابُ
- وما جهِلَتْ أياديكَ البَوادي
ولكن ربّما خفي الصَّوابُ
- وما الخيلُ إلاّ كالصَّديقِ قليلةٌ
وإن كثُرتْ في عين من لا يُجرّبُ
- إذا لم تشاهدْ غيرَ حسن شياتِها
وأعضائها فالحسن عَنْكَ مَغيّبُ
- وأظلم أهلِ الظُّلْم من بات حاسداً
لمَنْ بات في نعمائه يتقلّبُ
- أعزّ مكانٍ في الدّنا سَرْجُ سابحٍ
وخير جليسٍ في الزمان كتابُ

- أنــا فــي أمَّــة تــداركـهــا الله
غــريــب كصــالــحٍ فــي ثمــودِ
- وَمَــا مــاضي الشَّبــابِ بمُسْتَــرَدٍّ
وَلا يَــوْمٌ يَــمُــرُّ بِــمُــسْــتَــفــادِ
- أَزورُهُمْ وَسَـوادُ الليلِ يشْفَـعُ لي
وأنثني وبياض الصّبحِ يُغْري بـي
- وَمِنْ هَوى الصِّدقِ في قَوْلي وعادَتِهِ
رَغِبتُ عَنْ شعَرٍ في الْوَجْهِ مَكْذوب
- فما الْحَدَاثَـةُ مِنْ حِلْمٍ بِمـانِعَـةٍ
قَدْ يوجَدُ الحِلْمُ في الشبَّانِ والشيبِ
- وفي النَّفْسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطَانَةٌ
سُكـوتي بيـانٌ عِنْـدَهـا وخِـطَابُ
- إذا نِلْتُ منـك الودّ فـالكلُّ هيِّنٌ
وكـلّ الَّذي فـوق التـرابِ تُـرابُ
- ومِنْ نكدِ الدُّنيا على الْحرّ أن يَرَى
عـدُوّاً لَـهُ ما مِنْ صَـدَاقَتِـهِ بُـدُّ
- بـذا قضت الأيامُ مـا بينَ أَهْلِهـا
مَصـائبُ قَوْمٍ عنـدَ قَوْمٍ فَـوائِـدُ
- نهَبْتَ منَ الأَعْمَارِ ما لَـوْ حَوَيْتَـهُ
لهُنّئتِ الـدُّنْيـا بـأنَّـكَ خـالِـدُ
- فأنْتَ حُسامُ المُلْكِ والله ضـارِبٌ
وأنتَ لـواء الـدِّين والله عـاقِـدُ
- ومن يجعل الضرْغامَ للصَّيدِ بـازَه
تصيّدَه الضـرغـامُ فيمـا تَصَيّـدا

- إذا أنْتَ أكـرمْتَ الكـريمَ ملكتَـهُ
وإن أنْتَ أكــرمْتَ اللَّئيمَ تمــرّدا
- ووَضْعُ النَّدى في موضع السَّيف بالْعُلى
مُضِرٌ كوضع السَّيف في موضع النَّدَى
- فلا يَنْحَلِلْ في المجْدِ مـالك كلّه
فينحـل مجدٌ كـان بالمـال عقده
ودبّــرْه تدبير الذي المـجْــدُ كَفّــه
إذا حـاربَ الأعداءَ والمـالُ زندُهُ
فلا مجدَ في الدّنْيا لمن قلّ مالُه
ولا مالَ في الدُّنيا لمَنْ قلّ مجدُه
وفي النَّاسِ منْ يَرْضَى بميْسور عيشِهِ
ومَـرْكُـوبُـهُ رِجـلاهُ والثـوب جلده
- مَنْ عَلّم الأَسودَ المَخْصِي مكرُمَةً
أَقَــوْمُـه البيضُ أم آبــاؤه السّـودُ
- ولا تحسبنّ المجــدَ زقّـاً وقينــةً
فما المجْدُ إلَّا السّيفُ والفتْكةُ البكْرُ
- وتـركُكَ في الـدنيا دويـاً كـأنّمـا
تـداولَ سَمْعَ المـرءِ أنمله العَشْرُ
- وَمَنْ ينفِق السَّاعاتِ في جَمْع مالِهِ
مخـافة فقـرٍ فالَّـذي فعَـلَ الفَقْـرُ
- فــأقبلَهــا الـمُــروجَ مُسَــوّمـاتٍ
ضَــوامِــرَ لا هــزالَ ولا شيــارُ
- تركتْ دخانَ الـرِّمث في أوطانِهـا
طلَبــاً لقـومٍ يــوقِـدونَ العَنْبــرا

- إذا اشْتَبَهَتْ دمــوعٌ فـي خــدُودٍ
تـبيَّـنَ مَنْ بـكى مـمَّنْ تَـبــاكـى
- فقَلْقَلْتُ بالهمّ الذي قلْقلَ الـحشــا
قــلاقِــلَ عيسٍ كلّهن قــلاقــل
- إذا قيلَ رفقاً قال للحِلْمِ موْضـعٌ
وحلْم الفَتى في غيْر موضِعِه جهْلُ
- ونادى النَّدى بالنَّائمينَ عنِ السُّرَى
فأَسْمَعهم هُبّوا فقَـدْ هَلَكَ البُخْلُ
- وبـقــايـا وَقــارِهِ عــافت الـنَّــا
سَ فصـارَتْ ركانـةً في الْجِبـالِ
- لك يا منـازلُ في القلوب منازل
أقفـرتِ أنت وهنّ منـكِ أوائـــل
- فـافخَرْ فـإنّ الناسَ فيـكَ ثـلاثَـةٌ
مستعْـظِمٌ أو حـاسـدٌ أو جـاهِـلُ
- وإذا أتتـكَ مـذمّتي من نــاقصٍ
فهْي الشَّهــادةُ لي بـأني كــامِـلُ
- نصيبُـكَ في حَيـاتِـكَ منْ حبيبِ
نصيبـكَ في منـامِـكَ من خَيـالِ
-خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شيئاً سَمِعتَ بِهِ
في طَلْعة الشَّمسِ ما يغنيكَ عن زُحَلِ
- وقد وجدت مكان القول ذا سَعَةٍ
فـإن وجدت لســانـاً قـائـلاً فَقُـل
- لعــلَّ عتبَـكَ محمــودٌ عــواقِبُــهُ
وربّمـا صحَّت الأجسـامُ بـالْعِلَلِ

- وليسَ يصــحّ في الأذْهـانِ شيءٌ
إذا احتـاجَ النّهـارُ إلى دلـيـلِ
- ليـالِيَ بعـدَ الـظّاعنينَ شُكـولُ
طِـوالٌ وليـلُ العـاشقينَ طـويـلُ
يبنّ لنـا البـدْرَ الـذي لا أريـدُه
ويخفينَ بـدْراً مـا إليـه سَبيـلُ
وما عشْتُ من بعْدِ الأحبـة سلوة
ولـكنّنـي للنّـائبـاتِ حَـمـولُ
- ومـا شَـرَقي بـالْمـاءِ إلّا تـذكّراً
لمـاءٍ بـه أَهْـلُ الْحَبيبِ نُـزولُ
يحـرّمُـهُ لمـع الأسِنّـة فَـوْقـهُ
فـليسَ لـظمـآنٍ إلـيـه وُصـولُ
- لا خيـلَ عندكَ تُهْـديها وَلا مـالُ
فلْيُسْعد النطْقُ إن لم تُسْعد الحالُ
- لـولا المشقّـةُ سـادَ النـاسُ كلُّهم
الجـودُ يُفْـقِـر والإِقـدامُ قتّـالُ
- تـريدينَ لقيـان الْمعـالي رخيصـةً
ولا بدَّ دونَ الشّهدِ من إبر النّحلِ
- وخفـوق قلبٍ لـو رأيت لهيبَـهُ
يـا جنّتي لـظننتِ فيـه جَهَنَّمـا
- شيخ يرى الصلوات الخَمْس نافِلةً
ويستحِلّ دم الحجّاج في الحَرَمِ
- وشـبْـهُ الشـيءِ منجـذبٌ إليـهِ
وأَشْـبَهُنـا بـدنيـانـا الـطّغـامُ

- إذا غـامَرْتَ في شـرفٍ مروم
فـلا تقنَـعْ بِمـا دونَ النّجـومِ
فـطعمُ المـوتِ في أمـرٍ حقيـرٍ
كـطعمِ المـوتِ في أمـرٍ عَـظيمِ
- ذو العقلِ يشقى في النَّعيم بعقلِهِ
وأخـو الجهالـةِ في الشَّقاوةِ ينْعَمُ
- لا يسلَمُ الشرف الرفيعُ من الأذى
حتَّى يـراقَ عَلى جـوانِبِـه الـدَّمُ
- والظلْمُ من شيم النفوسِ فإن تَجِدْ
ذا عـفَّـةٍ فـلعـلّةٍ لا يـظْلِمُ
- ومن البليـةِ عذلُ من لا يَـرْعوي
عن جهلِهِ وخـطابُ من لا يفْهَمُ
- ولـكـن الـغـيـوث إذا تـوالَـتْ
بـأرْضِ مسـافـرٍ كَـرِه المقـامـا
- وإذا كـانـت الـنُّـفـوسُ كِبـاراً
تعِبَـتْ في مُـرادِهـا الأَجْسـامُ
- ولا كُتْبَ إلَّا المشـرفيـةُ عِنْـدَه
ولا رُسُـلٌ إلَّا الخميس العـرمْـرَمُ
- يا أعدلَ الناسِ إلَّا في مُعامَلتي
فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخصْمُ والحَكَمُ
أعيـدهـا نـظراتٍ منـكَ صـادقـةً
أن تحسب الشحمَ فيمن شَحْمُه وَرَمُ
ومـا انتفاع أخي الـدنيـا بنـاظـره
إذا استـوت عنده الأنـوارُ والظّلَمُ

- فالخيـلُ والليل والبيـداء تعـرفني
والحرب والضرب والقرطاس والقَلَمُ
- يـا من يعـزّ علينـا أن نفـارقَهُم
وجـدانُنـا كلَّ شيءٍ بعدكم عَـدَمُ
- إنْ كانَ سرَّكمُ مـا قالَ حـاسِدُنـا
فَمَـا لِجـرْحٍ إذا أرضـاكُمُ أَلَمُ
- كم تـطلبونَ لنـا عيبـاً فيُعْجـزكم
ويكـره اللَّهُ مـا تـأتـون والكـرَمُ
- إذا تـرحلْتَ عن قوم وقـد قدروا
أنْ لا تُفـارِقهُم فـالـراحلونَ هُمُ
- وتعظم في عين الصغارِ صغـارها
وتصغُرُ في عين العظيم العـظائِمُ
- إذا ساءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءتْ ظُنونُه
وصـدَّقَ مـا يعتـادُهُ مِنْ تَـوَهّمِ
- فأحسن وجهٍ في الوَرَى وجه مُحسنٍ
وأيـمن كـفّ فيـهمُ كـفّ مُنْعِـم
- لمن تطلبُ الدنيا إذا لم تردْ بِها
سـرورَ مُحِبّ أو إسـاءَة مُجْـرِمِ
- رضيتُ بمـا ترْضى بـه لي محَبَّةً
وقدتُ إليك النفْسَ قـودَ المُسَلِّم
- اكتبْ بِنـا أبداً بعْـد الْكِتـاب بِـهِ
فـإنَّما نحنُ لـلأسيـافِ كـالخَـدَم
- مَن اقتَضى بِسِوى الهِنْدي حاجَتَهُ
أجابَ كُلّ سُؤالٍ عَنْ هـل بِلَمِ

- ولم تـزلْ قلَّةُ الإنصـافِ قـاطِعـةً
بينَ الرِّجالِ وإنْ كانوا ذوي رَحِمِ
- قَدْ كنتُ أشفقُ من دمعي على بصري
فـاليومَ كـلُّ عزيـز بعـدكُمْ هـانـا
- مـا كلُّ مـا يتمنَّى المرءُ يُـدْرِكُـهُ
تَجْرِي الرِّياحُ بما لَا تَشْتَهِي السُّفُن
- عــدُوُّكَ مَــذْمــومٌ بكُــلِّ لســانِ
وَلَـوْ كانَ مِنْ أَعْـدَائِـكَ الْقَمـرانِ
- كَـأَنَّ رِقابَ النَّـاس قـالت لسيفـه
رَفـيقُــكَ قَـيْسـي وَأَنْـتَ يـمــان
- وإذا لَمْ يكُنْ مِن الْـمــوتِ بُــدٌّ
فَمِنَ العجــزِ أن تكـونَ جَبــانـا
- وأَلْقى الشَّــرْقُ منْهـا في ثيــابي
دنـانيــراً تَـفِــرُّ مِـنَ الـبَـنـانِ
- حُشاشة نفسٍ ودّعَتْ يَـوْمَ وَدّعوا
فلَمْ أدْرِ أيّ الـظاعـنين أشـيّـعُ
- وعـذلتُ أَهْـل العِشْق حتَّى ذقتُهُ
فَعَجِبْتُ كيفَ يموتُ مَن لا يعْشَقُ
- وتكــادُ الـظّبــا لِمــا عَــوّدوهــا
تَنْتـضي نَـفْسَـهــا إلى الأعـنــاقِ
- أرَقٌ عـلى أرَقٍ ومِـثْــلِي يــأَرَق
وَجَــوىً يـزيــدُ وَعَبْـرةٌ تَتــرَقْـرَقُ
- أتــراهــا لِـكَـثـرةِ الـعُـشَّــاقِ
تحسب الدمع خلقـةً في المآقي

ـ ومعالٍ إذا دعاها سواهم
لزمته جنايةُ السّرّاق
ـ والغِنى في يدِ اللَّئيم قَبيحُ
قَدْرَ قُبْحِ الكريمِ في الإملاق
ـ لم تزلْ تسمع المديح ولكن
صُهال الجيادِ غير النهاق
ـ فيا أيها المطلوبُ حاوره تمتنعْ
ويا أيُّها المحرومُ يمّمه تُرْزقِ
ـ وما الحسنُ في وجْه الْفَتى شرفاً له
إذا لم يكُنْ في فعلِهِ والخلائق
ـ لَوْلا مُفارقةُ الأحبابِ ما وجدت
لَها المنايا إلى أروَاحنا سُبلا
ـ ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريض
يجد مرّاً به العذب الزّلالا
ـ آلة العيش صحة وشبابٌ
فإذا ولّيا عن المرء ولّى
ـ ذي المعالي فليعلون من تعالى
هكذا هكذا وإلّا فلا لا
ـ والعِيان الجلي يحدث للظَن
زوالاً وللمراد انتقالا
ـ وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ
طلب الطّعن وحده والنزالا
ـ إذا كنتَ ترضى أن تعيشَ بذلّةٍ
فَلا تَستعدّنّ الحُسامَ الْيمانيا

ـ ولا تستــطيلنّ الــرِّمــاحَ لغــارةٍ
ولا تستجيـدنّ العتـاق المــذاكيـا
ـ أقِـلّ اشتيـاقـاً أيهـا القلْبُ رُبَّمـا
رايتكَ تُصفي الودّ من ليسَ جازيا
ـ خلقْتُ ألوفاً لو رجعتُ إلى الصّبا
لفارقتُ شيبي موجَعَ القلْبِ باكيا
ـ وما كنتُ ممّن أدرك الملْك بالمُنى
ولكن بــأيــامٍ أشبنَ النــواصيـا
ـ ومـن جـهــلتْ نـفــسُــه قــدرَه
رَأى غـيــرُه منْــهُ مــا لا يَــرَى



ـ 4 ـ

زيادات(*)

وقال في كافور ولم يرو ابن العريف هذه الأبيات:

أَكــافــورُ قــبّـحـتَ مِـنْ خــادِمٍ
ولاقـتــكَ مُـسْــرعــةً جــائـحَــة
تـشبَّـهْتَ بــاسْـمِـكَ فـي بَــرْدِهِ
وخــالفْـتَ في اللونِ والــرائـحَــةْ
إلـى كمْ تَـعيشُ عَــرَاكَ الــرَّدَى
وقــامَـتْ عليــكَ بِــهِ نــائـحَــةْ

وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا أثبتت في أصل النسخة وهي ممّا قال في صِبـاه:

رأيـتُ المُـقــامَ على الاقـتـصــادِ
قـنــوعــاً بــه ذلَّــةً في الْـعـبــادِ
وعـجــز بــذي هِمّــةٍ أَنْ يـضِيـ
ـق بهِ عيشُهُ وُسْـع هذي البِـلَادِ
ومــا عــزبَ الــرّزقُ عنْ رائــدٍ
وَلا سـيـمــا حَــسَــنُ الارْتـيــادِ

(*) نثبت هنا مختارات من الشعر المنسوب إلى المتنبي في هذه النسخة ولا يوجد في الدواوين المطبوعة.

إذا ما الأَديبُ ارْتَضَى بالخمو
لِ فما الحظّ في الأدب الْمُسْتَفادِ
وفي الاضْطِراب وفي الاغتراب
منال المُنى وبُلوغ الْمُرادِ
وشرُّ الضَّراغِمِ ضرْغامةٌ
طوٍ شِبلُهُ وهْو في الغَيْلِ هاد
وإنْ صارِمٌ قرّ في غِمْدِهِ
حَوَى غَيْرُه الخَصْلَ يومَ الجِلادِ
وَلَوْ يسْتوي بالنّهوضِ القُعو
دُ لما ذكر اللَّهُ فَضْلَ الجهادِ
إذا النَّارُ فارقها زنْدُها
ففسحتها في فراق الزنادِ
فدَعْ موطناً واغد مسترزقاً
كذا الرّزْق غادٍ إلى كلِّ غاد
ولا يفْنِ عُمْرَكَ خوف الفرا
قِ لسُمْرٍ رقاقٍ وبيضٍ خراد
يطلْنَ البكا عند شحْط النَّوَى
ويأْسَيْنَ كلّ الأسى للبعادِ
فكمْ ترْحَةٍ منْ أسى فُرقةٍ
تعودُ سُروراً بِحُسْنِ الْمَعاد
إلَى كمْ تجمّلُ حرِّيّة
وَتَصْبِرُ والصّبْر صَعْب القياد
على نعمةٍ قوتُها خيرُها
وقوتُ المعيشة سقم الفُؤاد

بـلا حـاسـدٍ وبـلا حـامـدٍ
قـليـلة خيـرٍ كـمـاءِ الـثَّمـاد
فـلا ضُـرَّ منـهُ يخـاف العـدو
ولا نفـع يـرجـوه أهـل الـوداد
جُب الأَرْضَ شَـرْقاً وجُبْ غَـرْبَها
إلَـى كـل فـجٍّ عَـمـيـقٍ وواد
عسى أن تنـالَ الغِنى أو تـمـو
ت وعـذرك في ذاك للنَّاس بـاد
فـإن يكن الفقـر حـتمـاً عـليـ
ـك فكـابده في غيـر نـادك نـاد
ولـلمـوت أهـونُ مـن أن تـرا
ك بعين الخصاصة عين الأعادي

وقال يمدح حمزة بن الحسن الطائي وليست ممَّا ثبت في أصل الديوان:

أتـظعنُ يـا قلْب فـيمـن ظَعَـن
خـليسـاً فـأنـدبُ نـفسـي إذَنْ
ولم لا أهـابُ وحـرْبُ البسـوس
بـين جُـفـونـي وبـيـن الـوسَـنْ
وَهَـلْ أَنـا بـعـدَكُـمـا عـائشٌ
وقـد بنْتَ عنّي وبـان الـسَّكَـنْ
فـمـا للفـراق ومـا لـلجمـيـع
ومـا لـلرِّيـاحِ ومـا لـلدِّمَـنْ

فـدى ذلك الـوجـه بـدر الـدجى
وذاك الـتثـنّي تـثـنـي الـغـصـن
كـأن لم يكن بعـدمـا كـان لي
كمـا كـانَ لي بعـد أن لم يكن
ولم يسـقني الـراح ممـزوجـة
بـمـاء اللثـا لا بـمـاء المـزن
لهـا لـون خـديه في كـأسـه
وريحـك يـا حمـزة بن الحسن
ألم يكفـك الشـرف اليعـربي
وأنـت غـريبـة أهـل الـزمـن
كـأن المحـاسن غـارت عليك
فظلّت لـديـك تسـوق الـفتـن
ولـم يَـرَكَ النَّـاسُ إلاّ غنـوا
بـرؤيـاك عن قـول هـذا ابن مَنْ
ولـو قصـد الـطّفـل من طيءٍ
لـشـارك قـصـاده فـي الـلبَن
فمـا البحـر في البـر إلا نـداك
وما الناس في النـاس إلاَّ اليمَنْ

وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا ثبتت في النسخ المتداولة:

مُسْتهـامٌ ليسَ يـدْري حينَ أن
أحمـام الأيـكِ غنّـى أم تَـرِن
سـاقـه مـن حـلب نـارحـةً
رشـأ أغيـد مجـدول البـدن

وإذا عـنــدك لـم أبــغ الـغـنـى
فتفكّــر ثم قــل لـي عنــد مـن
حـيـن لا أبـت بــه مـن مــلكٍ
كلّمــا سيـل نــدىً قــال حسن
لــك فـينــا منـن مــشـكـورةٌ
عــظُـمـتْ مـنكَ عَلَى كل المِنَـنْ
أنتَ أحييت النـدى بعـد التــوى
فــأقمت الجــود من قعــر جنن

وكتب إلى أبي العباس أحمد بنَ كيغلغ من السجن وليست مما ثبت في أصل:

لـعــلَّ نهْـيَ الفـؤاد عن قـلقــه
يبــرِّد من وجــده ومن حــرقــه
سـهــد عيـن الأسيــر ظــالـمُــه
ونــامَ عــن لـيــله وعــن أرقــه
شغلي عن الــربــع أن اســائلَه
وأن أطيــل البكــاء في خـلقــه
بـالسجن والقيـد والحـديـد ومــا
يصــل عنـد القيــام من حَـلقـه
مــع كــل لص إذا خـلوتُ بــه
حـدث عن جحـده وعن سـرقـه
لــو خـلقـت رجـله كـهــامــتــه
ظــل يبـاري البــازي في طلقـه

بــدلــت سـكـيـنـه وتــكــتـه

من خط كف الأديب في ورقـه

يـا أيهـا السيـد الهمـام أبـا الـ

ـعبـاس والمستعـاذ من حـنقـه

أعـني الأمـيـر الـذي لهيبتـه

يخفق قلب الـوليـد في خـرقـه

الـمُظـهـر العـدل فـي رعيتـه

والمعتـدي حلمـه على نـزقـه

نـظرت مـن طبـعـه إلى مـلك

تعصـر خَمْر الشـآم من خلقـه

لـو سفكـه كـان مثـل قـدرتـه

كـان دم العـالَمين فـي عنـقـه

يـا من إذا استنصـر الأنـام بـه

مـات جميـع العصـاة من فـرقـه

في كـل يوم يسـري إلى عمـلٍ

في عسكرٍ لا يرى سِـوى حدقـه

تـشتـعـل الأرض مـن بـوارقـه

نـاراً وتنبـو السيـوف عن درقـه

قـد أثَّـر القيظ في محـاسـنـه

وفـاح ريـح العَبيـر من عَـرَقـه

لأنـك الـشمس لـم تـذر بـلداً

في الأرض إلاَّ طلعت في أفقـه

الله يـا ذا الأمـيـر فـي رجـلٍ

لم يبق في جسمِـهِ سـوى رمقـه

كم ضوء صبح رجاك في غَده
وجنح ليل دعاك في غسقه
ناداك من لجة لتنقذه
من بعد ما لا يشكُّ في غرقه

وقال أبو الطيب مما لم يثبت له في الأصول المنتسخ منها في خياط وسيم:

أما تبصر البدر بدر السماء
يروح ويغدو إلى سوقه
يخيط الثياب ومن هجره
يقد جلابيب معشوقه
إذا مزَّق الثوب مقراضه
تمزَّق قلبي كتمزيقه
وإن خاط سلكاً فألحاظه
تخيط الفؤاد بتحريقه
وأطيب من ريق حور الجنان
خيوط تروين من ريقه

وكتب إلى ابن كيغلغ من السجن يستعطفه ولم تثبت:

عينٌ تقسَّمت الهمومُ كراها
وجوىً تعمّدني وقلبٌ تاها
وحشاشة لم تكفها بلوى النّوى
والبين حتى زيد في بلواها
من كان منزله بحمص فمنزلي
بجهنم الحمراء لا بسواها

في مطبق كتب البلى برجاله

هذي القبور وهذه موتاها

يا ذا الأمير دعاء عانٍ عينه

رؤياك من قبل الممات مناها

يا ابن الألى حكم الإله بحكمه

ألا يرى لهم الورى أشباها

ومن احتقرت من السحاب ثقالها

لما رأيت نواله وحياها

أشكو إليك عظيم ما قد حَلَّ بي

ممن يخاف ولا يخاف الله

لو ضمني والفارقي بساطه

كيما يقوم بحجة مولاها

لم يكذب القرشي إلا بعدما

كذبت على الله اليهود سفاها

أقنى بني العباسِ أي قبيلة

هَزّامَةٍ إلَّا وأنْتَ فتاها

وعليكَ حُبِّر في الأنام ثناؤُها

وعلى عِداكَ سيوفُها وقناها

اللّه فيَ فلست أوَّل مُهْجَةٍ

فطن الأمير بدائها فشفاها

فاستبقني فأنا النذير لأمَّةٍ

بعدي تطا سلمية وتراها

ومما ليس في كتاب ابن قادِمٍ ولا رواها أكثر الرواة قصيدته في سيف الدولة :

أصـــدوداً هـــجـــرتِـــنـــا أمْ دَلالا
حينَ أُظهــرتِ جـفـوةً واعْتـــلالا
أم مللتِ الوِصالَ فاعتضتِ هَجراً
ربّمـــا أعقـبَ الــوِصـــالُ مَـــلالا
لا تُـحِلّـي دَمي فمـــا جعـلَ اللَّهُ
دمَ الـهــائم الـمَـشــوقِ حَـــلالا
مـــا لِهـذي العقيلة الـرُّؤْدِ لا
تَسْمَـح لي بالْـوصالِ إلاَّ عُـلالا
نكَسَتْني بصـــدِّها بعْـــدَمـــا قَـــدْ
كنتُ فـارقْتُ عنـدهـــا الإبـــلالا
أحـسنُ الـغـــانيـــاتِ دَلّاً وأحْـــلا
هُـــنَّ فـــي كُـــلّ حـــالـــةٍ إدْلالا
شُبِّهتْ بـــالْهِـلال حُسْنـــاً ونـــوراً
وهْي في حُسْنِهـا تفـوقُ الهِـلالا
ولقد قيلَ قَدْ نأتْ عنـكَ فاطلُبْ
لَـــكَ أُخْـــرى تُحبهـــا قلتَ لالا
طُـــلّ دمعي إثـر الظّـعـائنِ لمَّـا
خـــلَّفـــونَـي أســـائــلُ الأطْـــلالا
إنَّـــمـــا كـــانت الـــدِّيـــارُ ديـــاري
يـــومَ كـــانـــوا بـــرَبْعهـــا حُـــلّالا
أَلْـبَســـونـي الضَّـــنى كـــمـــا ألبس
الـلهُ عـــليَّـــاً مَـــهـــابـــةً وَجـــلالا
لِلتُّقى سيمـــةٌ علَيْـــهِ ولِـــلإيمـــانِ
نـــورٌ فـــي وجْـــهـــه يـــتـــلألا

مُـرْهَف الدَّولـةِ الـذي استلَّه اللَّهُ

فحـاطَ الْهُـدى وأرْدَى الضَّـلالا

والأَميرُ الْمُربي عَلَى الغيثِ سَحّاً

وانـسكـابـاً بـجـودِه وانْـهـلالا

مَلكٌ تُـظْهـرُ الملوكُ لـه الإِعْـظا

مَ طـوعـاً لـديـه والإِجـلالا

فـاقَ أسْدَ الغيـاضِ باسـاً وإقـدا

ماً وحاكى زَهْـر الريـاضِ خلالا

خَيْـرُ مَنْ أمّـه المُؤمِّـل يُـزْجي

نحـوه الشـدقـميـة الـشمـلالا

رَدّ عِـزّ الإسـلامِ غضّـاً عليـه

وكـسـا الشّـرْك سيّفُـه الإذلالا

وحمى الثغـر بعدمـا ضـاع نقصـاً

وعـفـا قـلّةً وذلّ اخـتـلالا

بـزّ تـيجـانـهـا المـلوك وأردى

الصيـد قتـلاً وفكّـكَ الأغـلالا

ليسَ يَخْشى الْـوجى إذا سـارَ

لـلَّه مُعِـزّاً وَلاَ يـخـافُ الكَـلاَلا

وَإذا ما الرِّماحُ صارتْ حِمىً في

حـومـة المـوت والسُّيـوفُ ظِـلالا

أنْعَـلَ الخيـلَ بـالجمـاجِم فيهـا

وكَسـاهـا مِن النَّجيـع جِـلالا

لا كَمَنْ أَصْبَحوا حيارى عَن الرّشْـ

ـدِ وأمْسَـوا عن الْهُـدَى ضُـلّالا

لــو تشكّى إليهمُ الـدّينُ يــومــاً
ظمــأ الصّلْـدِ مـا سَقَــوه بــلالا
فَـهُـمُ بـيـنـنـا حـضـورٌ ولـكـنْ
قَـدْ عـدَدْنـا حُضـورهمْ إخــلالا
أيُّهـا السيّـد الـذي حـلّ في قلّة
أكــرومــةً تــفــوقُ الْـقــلالا
قدْ رجوْتُ الخِـلاَل منكَ اللَّواتي
غَـمَــرتْـنـي بــالـبــرّ مــاءً زُلالا
كنت أخـشى الإقــلال حـتى إذا
زرتــك انسيتُ عنــدك الإقــلالا
ولئن فقـت في مـديحـك غيــلان
لـقــد فقـت في نــوالـي بــلالا
فــابـق واسـلم وعش ودم واحظ
وانعم واسم وابذخ وصل وطل وتعالا

وقال في كافور وأنفذها من بغداد:

أفيقـا! خُمـارُ الهَمّ نَغَّصني الخَمْـرا
وسُكْـري من الأَيّام جَنّبني السُّكْـرا
يُسَـــرُّ خَليلي بــالمُــدامــةِ والّــذي
بقَلْبي يــأبى أن أُســرّ كَمــا سُــرّا
لبسْتُ صُروف الدّهْـر أَحْسَنَ مَلْبَس
فَعــرّقَنَني نــابــاً وفَــرّيــنَني ظُفْــرا
وفي كُـلّ لحظٍ لي ومسمَـع نقمَـةٍ
يُـلاحِـظْنَنِي شَـزراً ويُسْمِعْنَني هُجْـرا

سدكت بِصَرْفِ الدّهر طِفْلاً ويافِعاً
فَأفْنَيْتُهُ عَزْماً وَلَمْ يُفْنِني صَبْرا
أُريدُ مِنَ الأَيام مالا يُريدُهُ
سِوايَ ولا يَجْري بخاطِرِهِ فِكْرا
فأسأَلُها ما لا أنالُ قَضاءَهُ
وما أنا ممّن رام حاجَتَهُ يُسْرَا
وَلي كَبِدٌ من رَأيٍ همّتِها النّوَى
تُرَكِبُني مِنْ عَزْمِها آلْمَرْكَبَ آلْوَعْرَا
أخو هِمَمٍ رَحّالَةٍ لا تزال بي
نوىً تَقْطَعُ البَيْداءَ أو أقْطَعُ الْعُمْرَا
وَمَنْ كانَ عَزْمي بَيْنَ جَنْبَيْهِ حَثّهُ
وَصَيّرَ طولَ الأَرض في عَيْنِهِ شبْرَا
صَحِبْتُ مُلوكَ الأرْض مُغْتَبِطاً بِهِمْ
وفارقْتُهُمْ مَلآنَ من شَنَفٍ صَدْرَا
ولما رأيتُ العَبْدَ لِلْحُرِّ مالِكاً
أَبَيْتُ إِباءَ الحُرِّ مسترزقاً حُرّا
ومصْرُ لَعمْري أَهْلُ كُلِّ عَجيبَةٍ
ولا مثل ذا المخصي أُعجوبَة نكْرا
يُعَدُّ إذا عُدَّ العجائبُ أوّلاً
كما يُبتدا في الْعَدّ بالإصبع الصّغْرى
فيا هرقل الدنيا ويا عبرة الوَرَى
ويا أيها المخصي من أمك البظرا
نُوَيْبِيّةٌ لم تَدْر أنّ بُنَيّها النُّوَيْبِى
دون اللّهِ يُعْبَدُ في مِصْرا

ويستخدم البيضَ الكواعبَ كالدُّمَى
وردّ العُبَديّ كَالْغطارفة الْغُرّا
قضاءٌ من اللَّهِ العلي أرادَهُ
ألَا إنّما كانَتْ إرادتُهُ شَرّا
ولِلّهِ آياتٌ وَلَسْنَ كهذِهِ
أظُنُّكَ يا كافور آيتَهُ الكُبْرَى
لَعَمْرُكَ ما دَهْرٌ بِهِ أنْتَ طيّبٌ
أيحسبني ذا الدّهْر أحسبه دَهْرا
وأكفُرُ يا كافورُ حين تلوحُ لي
ففارقتُ مذ فارقتُكَ الشّرك والكُفْرا
عَثَرْت بِسَيْري نحو مِصْرٍ فَلا لَعاً
بها وَلَعاً في السّيْرِ عَنْها وَلاَ عَثْرا
وفارقتُ خيْرَ الأَرْض قاصد شرِّهم
وأكْرَمَهُمْ طُرّاً لأَنْذلهم طُرّا
فعاقبني الخنزيرُ بالغدرِ جازياً
لأنّ رَحيلي كان عَنْ حَلَبٍ غدرا
وما كنت إلّا فائل الرّأي لَمْ أُعَنْ
بِحَزْمٍ ولا اسْتَصْحَبْتُ في وِجْهتي حِجْرا
وَقدّرني الْخنزيرُ أنّي مدَحْتُهُ
ولَوْ عَلِموا قَدْ كانَ يُهْجي بِما يُطْرا
جسرتُ على دهياء مصر فَفُتّها
ولم يكن الدهياءُ إلّا مَن اسْتَجْرا
سَأَجْلُبها أشباهَ ما حمَلَتْهُ مِنْ
أسنّتنا جُرْداً مُقَسْطلةً غُبْرا

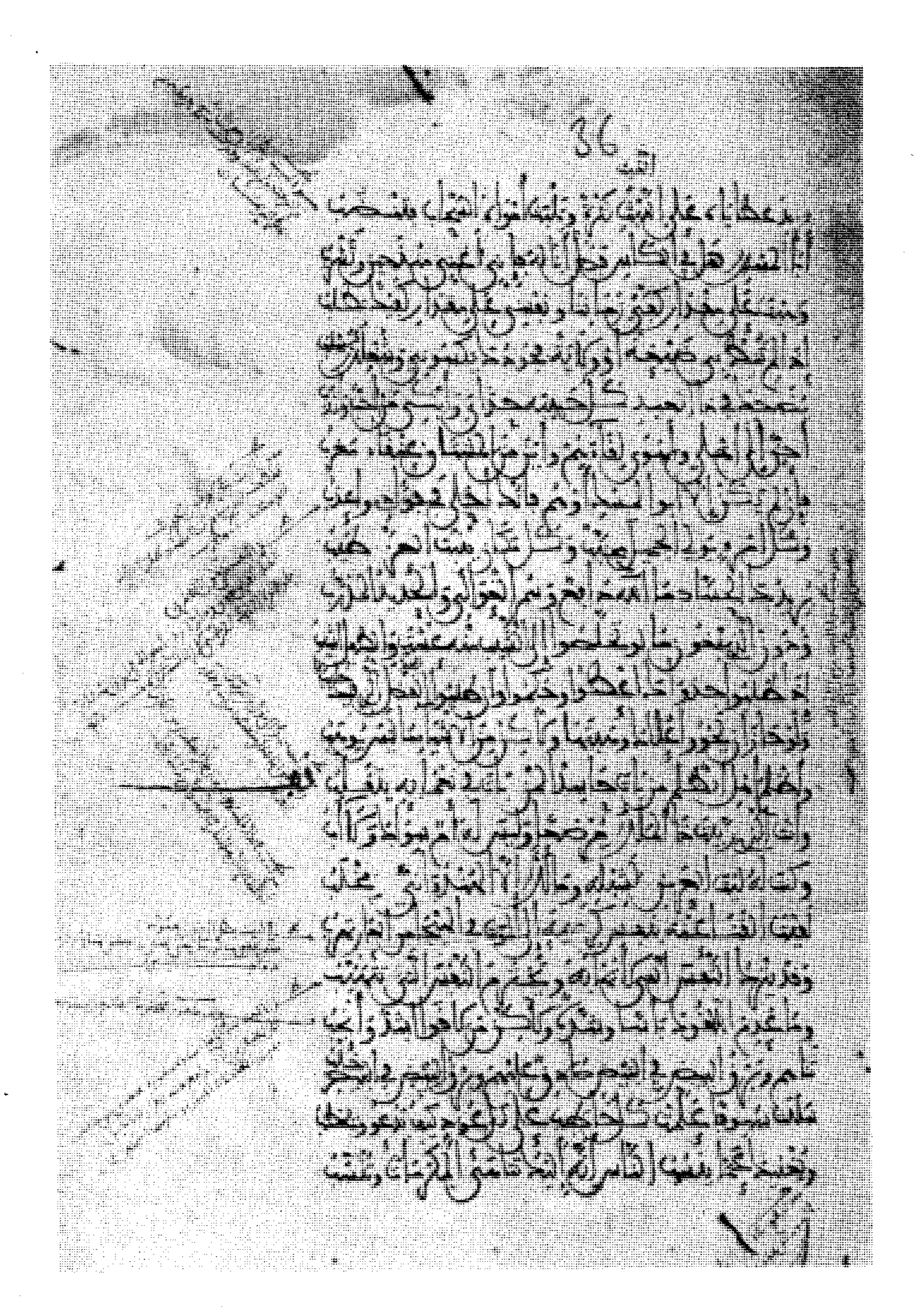
وأُطْلِعُ بيضــاً كــالشّمــوس مُــظِلّةً
إذا طَلَعَتْ بيَضــاً وإنْ غَرَبَتْ حُمْـرا
فـــإن بلغَتْ نَفْسي المُنَى فبعَــزْمِهــا
وإلّا فقَدْ أبلغت في حِرْصِها عُذْرا(*)

(*) سواء أكانت هذه القصيدة من مهمل شعر المتنبّي أم من منحوله فإنها في شكلها ومضمونها تنحو منحى شعر المتنبّي.


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

صورة الصفحة الأولى في مقدمة القشتالي نسخة الخزانة العامة بالرباط.

صورة الصفحة الأولى من مقدمة الترتيب ويظهر فيها نسبته إلى الماغوسي نسخة الخزانة العامة بتطوان.



صورة صفحة من نسخة الخزانة العامة بالرباط وتظهر فيها الطرر مع توقيف للمنصور.



فهـرس



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها: الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

رقم 78 / 3000 / 2 / 86



التنضيد الإلكتروني : كومبيوتايب - الصف الطباعي الإلكتروني

الطباعة : مؤسسة نزيه كركي